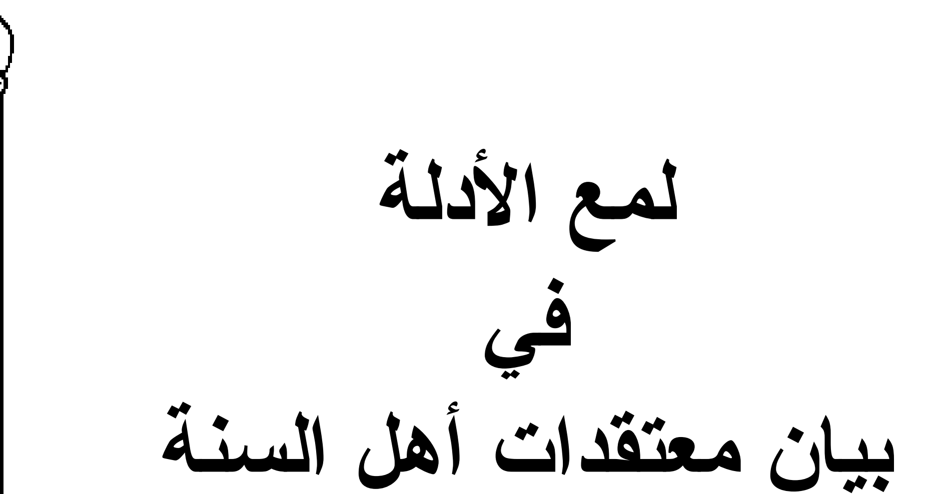


لمع الأدلة
في
بيان معتقدات أهل السنة

تأليف

أبي يحيي محمد بن عبده

المجلد الأول

سلطان

سلطان

سلطان

الطبعة الأول

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

رقم الإيداع

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ ، ونعوذُ بالله من شرُورِ أنفُسِنَا ، ومن سيئاتِ أعمالِنا .

من يهده الله تعالى فلا مُضلَّ له ومن يضللْ فلا هادي له ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب:٧٠ – ٧١] .

أما بعد ..

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدْي هديُ محمدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها وكلَّ مُحدَثَةٍ بِدْعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، نعوذ بالله من الضلال .

تقرير:

إن أصولَ الاعتقادِ لا يؤخذ عني ولا عمّن هو أكبر مني، بل الاعتقادُ يؤخذُ عن الله سبحانه وتعالى ، ورسوله ﷺ، وما أجمعَ عليه سلفُ الأمةِ .

فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاريِ ومسلم وغيرهما من الأحاديثِ المعروفةِ الصحيحةِ ، ومما ثبت عن سلف الأمة[1].

وممن تدبَّر القرآن والسنة، وكان طالبًا للهدى بحسن النية – لا ليضرب بعض القرآن المتشابه ببعض كأهل البدع – تبيَّن له طريق الحق في الاعتقاد، وهذا ما أرشد إليه القرآن .

قال تعالى : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾[محمد:٢٤]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ** ﴾ [المؤمنون:٦٨]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾ [ص : ٢٩]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ٤٤]

وقال عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ** ﴾ [القمر : ١٧]

(١) وقد أشار إلى نحو ذلك شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦١).

وقال ﷻ : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢]

وفي حديث رسول الله ﷺ الكثير يشهد لهذا المعنى .

ثم إن أهل الإيمان الذين لم يتفطَّنوا للشبه ، ولم توسوس لهم الشياطينُ بشيءٍ هم أهل العقائدِ الصحيحة والإيمان الثابت، ومَن هم إن لم يكونوا الصحابة الذين أنعم الله عليهم أصحاب الصراط المستقيم الذين قادهم صحيحُ اعتقاداتِهم، وحُسْنُ أفهامِهم إلى الجنةِ وعناهم رسولُ الله ﷺ لما قالَ عن الجنة : «**...فَقَالَتِ الْجَنَّةُ : يَا رَبِّ مَا لِى لاَ يَدْخُلُنِى إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ...**»[1].

فضربوا أروع الأمثلةِ في سلامةِ المعتقدات ، إذ بقليلِ كلامٍ يسمعونه من رسول الله ﷺ في باب القدر مثلاً الذي ضلت فيه أقوام، وحارت فيه عقولٌ واضطربت .

سمعوه ﷺ يقول : «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[2] .

---

(١) هو طرف من حديث أخرجه البخاري (٧٤٤٩) ، وانظر «فتح الباري» (١٣/ ٥٢٨) فقد استنبط نحوه ؒ من الحديث .

(٢) ففي صحيح مسلم (٢٦٤٨) أن سُرَاقَةَ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ قَالَ: لا =

وسمعوا إجابته لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**تُؤْمِن بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[١].

قالوا له: على ماذا نفعل ؟ قال ﷺ : «**عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ**»[٢]

فسُراقة بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهم منها شدة العملِ والاجتهادِ وعدم التواكل على المكتوب فيقول:«فَلاَ أَكُونُ أبدًا أَشَدَّ اجْتِهَادًا فِي الْعَمَلِ مِنِّي الآنَ» [٣].

وعمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد وردَ عنه أنه قال: يا رسولَ الله أنعملُ في أمرٍ مستأنفٍ ، أم في أمرٍ قد فُرِغَ منه ؟ قال : «**بل في أمرٍ قد فرغ منه**» .

=

بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ قَالَ فَفِيمَ الْعَمَلُ قَالَ زُهَيْرٌ ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ فَسَأَلْتُ مَا قَالَ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**» .

(١) كما في حديث جبريل المروي في الصحيحين حينما جاء يسأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فكان ممَّا قال له عن الإيمان «...**أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٦) ، وابن حبان (٣٣٨) ، وغيرهما من طريق معاوية بن صالح عن راشد ابن سعد حدثني عبد الرحمن بن قتادة السُّلَمِيّ وكان من أصحاب النبي ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ وَقَالَ هَؤُلاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي وَهَؤُلاءِ فِي النَّارِ وَلا أُبَالِي**» قَالَ : فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ ؟ قَالَ : «**عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ**»وفي إسناده اختلاف وقد رجح البخاري في «تاريخه»(٥/ ٣٤٢) الإسناد الذي يثبت صحبة عبد الرحمن، وعلى أي حال فمعنى الحديث ثابت، فما يفعله العبد لا يخرج عما قدره الله .

(٣) وقد أخرج هذا عنه ابن حبان (٣٣٧) بإسنادٍ صحيح على شرط مسلم .

فقال : ففيمَ العمل ؟

قال : «**يا عمر ، لا يُدركُ إلا بعملٍ**» .

قال : فالآن نجتهدُ يا رسولَ اللهِ [(١)].

وفي رواية : ففيم العمل إذن . فقال ﷺ : «**كل لا ينال إلا بالعمل**» . فقال عمرُ رضي الله عنه إذن نجتهدُ .

وقد أخرجَ ابنُ أبي عاصمٍ في «السنة» بإسنادٍ رجالُه مُعدَّلون[(٢)] عن سُراقة ابن مالك رضي الله عنه قال : قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَعْمَلُ لأَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ أَمْ نَسْتَأْنِفُ العَملَ؟ قال: «**نَعْمَلُ لشَيءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْه**» قلت : يا رسول الله : ففيم العمل ؟ قال : «**كُلٌّ مُيسَّرٌ لَهُ عَمَلَه**» قال : الآن نجدّ ، الآن نجد .

---

(١) وهذا قد ورد عن عمر عندمعمر في«الجامع»(٢٠٠٦٣)و ابن أبي عاصم في «السنة» (١٦١ ، ١٦٢) والفريابي(٢٩) بإسنادٍ عن سعيد بن المسيب عن عمر وفي سماعه منه خلاف وقد كان شديد التحري لسيرة عمر فلا يبعد تصحيحه، وله طرق أخرى عن عمر فيها اختلافات، وله طريق آخر عد الفريابي(٣١) من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن عمر مرفوعـًا .

(٢) برقم (١٦٧) ثنا هدبة بن خالد ثنا حماد بن سلمة عن قيس بن سعد عن طاوس عن سراقة بن مالك قال : فذكره ، وقال الألباني رحمه الله : «إسناده صحيح على شرط مسلم على كلام معروف في رواية حماد بن سلمة في غير ثابت البناني»وله طريق آخر أخرجه ابن ماجة (٩١) في إسناده ضعف، و أصل الحديث في صحيح مسلم وقد تقدم وليس فيه موطن الشاهد : «الآن نجدّ ، الآن نجدّ» .

وأخرجَ الفريابيُّ [١] بإسنادٍ صححه الحافظُ في «الفتح» [٢] وهو كذلك إلى بشير بن كعب أحد كبار التابعين قال : سأل غلامان رسول الله ﷺ فيم العمل فيما جفت به الأقلامُ وجرت به المقاديُر ، أم شيء نستأنفه ؟ قال : «**بل فيما جفت به الأقلامُ ، وجرت به المقاديرُ**» ، قالا : ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال : «**اعملوا ، فكلٌّ ميسرٌ لما هو عامل**» قالا: فالجد الآن [٣].

فقاموا خير قيام في تبليغ ذلك رضي الله عنهم ففتحوا به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، وكانت تنتهي إليهم البدعة فتُقمع قمعًا ويُقطع دابرها ببركة ما تعلموه من نبيهم ﷺ فيا نِعم ما تعلَّموه ، والنعم لمن علَّموه .

فهذا عمرانُ بنُ حصينٍ رضي الله عنه يُعلِّم أصحابَه مسائلَ القدرِ ، فانظرْ جوابَهُ

أخرج مسلم [٤] من طريق أَبِي الأَسْوَدِ الدؤلِيِّ قَالَ : قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ : أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ . قَالَ :

---

(١) في «القدرِ»(٨٣).

(٢) في «فتح الباري» (١١/ ٤٩٧) ط دار المعرفة.

(٣) أخرجه الفريابي في «القدر» (١٠١) وقد ورد في طرق عن بشير بن كعب عن عمران بن حصين مرفوعًا ولا يصح .

(٤) برقم (٢٥٦٠) .

فَقَالَ : أَفَلا يَكُونُ ظُلْمًا ، قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا وَقُلْتُ : كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللَّهِ وَمِلْكُ يَدِهِ فَلا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ فَقَالَ لِي يَرْحَمُكَ اللَّهُ » إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلا لأَحْزِرَ عَقْلَكَ. إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ : «**لا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾**» .

وفي معجم الطبراني[1] بإسنادٍ حسن عنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ: أَنَّهُ سَأَلَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ الْقَدَرِ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ خَاصَمْتُ أَهْلَ الْقَدَرِ حَتَّى أَحْرَجُونِي، فَهَلْ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ فَتُحَدِّثُونِي؟ فَقَالُوا: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَذَّبَهُمْ غَيْرُ ظَالِمٍ، وَلَوْ أَدْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ كَانَتْ رَحْمَتُهُ أَوْسَعَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَضَى يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، فَمَنْ عُذِّبَ فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَنْ رُحِمَ فَهُوَ الْحَقُّ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ثُمَّ قَالَ عِمْرَانُ لِأَبِي الْأَسْوَدِ حِينَ حَدَّثَهُ الْحَدِيثَ: «سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَمِعَهُ مَعِي عَبْدُ اللهِ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ» ، فَسَأَلَهُمَا أَبُو الْأَسْوَدِ

---

(١) (١٨/ ٢٢٣) رقم (٥٥٦) .

فَحَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

وليس هؤلاء فحسب ، بل وزيد بن ثابت وحذيفة وغيرهم نسيجٌ واحد – رضي الله عنهم على نفسِ المنهج.

أخرج الإمام أحمد[1] بإسنادٍ جيد عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ : لَقِيتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِي قَالَ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عز وجل مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَدَخَلْتَ النَّارَ قَالَ : فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ وَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ وَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ .

وهذا عبادة بن الصامت أيضًا انظروا إلى طريقته .

أخرج الإمام أحمد [2] بسندٍ حسن من طريقِ عُبَادَةَ بن الْوَلِيد بن عُبَادَةَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ : يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي فَقَالَ : أَجْلِسُونِي قَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ

---

(١) في «مسنده» (٥/ ١٨٢) ، وأبو داود (٤٦٩٩) .

(٢) في «مسنده» (٥/ ٣١٧) .

الإِيمَان وَلَنْ تَبْلُغَ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ : قُلْتُ يَا أَبَتَاهُ فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ قَالَ : تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ يَا بُنَيَّ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمُ ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ**»

وهؤلاء الذين اتبعوهم – على نفس النسيج –

عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا : لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ...، ثم ذكر حديثَ جبريل «**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

(١) وهو حديث صحيح أخرجه مسلم (٨) مفتتحًا به كتاب الإيمان .

وهذا ردهم على بدعة أخرى :

في صحيح مسلم (١٩١) عن يزيد الفقير قال : «كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ ، قَالَ : فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ ، قَالَ : فَقُلْتُ: لَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ ؟ وَاللَّهُ يَقُولُ ﴿ **إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ** ﴾ ، ﴿ **كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا** ﴾

فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ ؟ قَالَ : فَقَالَ : أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟» قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ – يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ – قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ ، قَالَ : ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ ، قَالَ : وَأَخَافُ أَنْ لا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ ، قَالَ : غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا ، قَالَ : يَعْنِي فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ[١]، قَالَ : فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ الْقَرَاطِيسُ[٢]، فَرَجَعْنَا قُلْنَا : وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعْنَا فَلا وَاللَّهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ».

---

(١) أي من الاحتراق والسواد .

(٢) القراطيس: جمع قرطاس ، وهو الصحيفة التي يكتب فيها ، شبههم بالقراطيس لشدة بياضهم بعد اغتسالهم وزوال ما كان عليهم من السواد «شرح النووي» (٣/ ٥٢) .

كل هذه البركة التي حصلت لهم إنما لأنهم عظموا كلام ربهم وسنَّة نبيهم ﷺ واكتفوا به دون غيره .

وحُقَّ لهم فمَن سلك سبيل الأخيار فمِن الميل بعيد ، وإنما الحيف يقع في كلامِ مَن تكلَّف الاختراعَ ونصرَ الابتداعَ .

فقد أخرج مسلم[١] من حديث أبي السَّوَّارِ عن عمران بن حُصين عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «**الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلا بِخَيْرٍ**» ، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ : إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا وَمِنْهُ سَكِينَةً – وفي رواية: ومنه ضعف –، فَقَالَ عِمْرَانُ : أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صُحُفِكَ .

وفي رواية «فغضب عمران حتى احمرَّتْ عيناه» ، وقال ألا أُحدثك عن رسول الله ﷺ وتُعارضُ فيه ... الحديث.

وكلام رسول الله ﷺ كان فيصلاً بينهم ، لا يَعدُونه أبدًا برأي ولا بكلام غيره

ففي صحيح مسلم (٢٨٩٣) عن محمد بن سيرين قال : قَالَ جُنْدُبٌ : «جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَةِ[٢] فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، فَقُلْتُ: لَيُهْرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَاهُنَا دِمَاءٌ، فَقَالَ : ذَاكَ الرَّجُلُ كَلا وَاللَّهِ ، قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ ، قَالَ : كَلا وَاللَّهِ ، قُلْتُ : بَلَى

---

(١) في صحيحه برقم (٣٧) .

(٢) وهو موضع بجهة الكوفة على طريق الحيرة خرج فيه أهل الكوفة يتلقون واليًا ولاه عليهم عثمان فردوه وسألوا عثمان أن يولي أبا موسى فولاه .

وَاللَّهِ، قَالَ : كَلا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُول اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنِيهِ ، قُلْتُ : بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُول اللَّهِ ﷺ فَلا تَنْهَانِي ، ثُمَّ قُلْتُ : مَا هَذَا الْغَضَبُ ؟ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ ، فَإِذَا الرَّجُلُ حُذَيْفَةُ»

وقد حكى الإمامُ اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة»[١] عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، قال : سمعت أبي وأبا زرعة [شيخا العلل وعلم الحديث] يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع يُغَلِّظَان في ذلك أشدَّ التغليظ وينكران وضعَ الكتب برأي في غير آثار[٢] وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين ويقولان : لا يفلح صاحب كلام أبداً .

قال أبو محمد: وبه أقول أنا.

وقال أبو علي بن حبيش المقري: وبه أقول.

قال شيخُنا ابن المظفر: وبه أقول.

وقال اللالكائي: وبه نقول.

جعلنا الله تعالى على منواهم نقتدي.

---

(١) (١/ ١٦٨) رقم (٣٢٢) .

(٢) وبنحوه هو قول الإمام أحمد فيما حكاه عنه ولده أبو الفضل صالح في مسائله لأبيه ص (١٦٤) ط . دار الوطن والمقصود كراهية الكتابة بغير دليل أي بالرأي.

وقد تركتُ هنا كثرة الردود على أهل البدع إماتة لأقوالهم كما ماتت وتموت، وستموت أجسادهم .

والحق سبحانه وتعالى يقول:﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ [الرعد : ١٧] .

وإني لأرجو من مولاي سبحانه أن يعظم فيه البركة والنفع وأن يجعله سهلاً ميسورًا خالصًا صوابًا مجعولاً في ميزان حسناتي في يوم لا ينفع فيه إلا الصدق ولا يجعل لأحد فيه شيئًا إنه هو السميع المجيب .

وأرجو من الناظر فيه أن لا يتعمد العنت فلا يقصد قصد من إذا رأى حُسنًا سترهُ ، وإن رأى عيبًا أظهره وأفشاه ، بل يتأمل فيه بعين الإنصاف لا الانحراف، ورحم الله من أهدى إلي عيوبي.

وحسبي أن أكون كما قال شعيب عليه السلام : ﴿ **إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ [هود : ٨٨] .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو يحيى محمد بن أحمد بن عبده

بلطيم – كفر الشيخ – مصر



الإيمان

تمهيد

دِينُ الإِسْلامِ ذو يُسْرٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشرائعِ قَبْله، وهو في نفسه يسر في الشريعة فَفِيهِ رَفْعُ الإِصْرِ الذي كَانَ عَلَى الأمم من قبلنا (١)

قال ﷻ: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال ﷻ: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ**» (٢).

والمعنى:

لا يَتَعَمَّق أَحَد فِي الأَعْمَال الدِّينِيَّة وَيَتْرُك الرِّفْق إِلا عَجزَ وَانْقَطَعَ فَيُغْلَب،

---

(١) ومن أوضح الأمثلة لذلك أن توبتهم لبارئهم سبحانه كانت بقتلهم لأنفسهم بأمر الله لهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العود والندم، فالندم توبة، والتائب من الذنب – إذا حقق الشروط – كمن لا ذنب له.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩).

وهَذَا مُشَاهَدٌ فَمَا رُؤي مُتَنَطِّع فِي الدِّينِ إلا يَنْقَطِعُ عَن العَمَلِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ مَنْعَ طَلَبِ الأكْمَلِ فِي الْعِبَادَةِ فَإِنَّهُ مِنَ الأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مَنْعُ الإِفْرَاطِ الْمُؤَدِّي إِلَى الملال أَوِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّطَوُّعِ الْمُفْضِي إِلَى تَرْكِ الأَفْضَلِ(١).

وَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ(٢) مِنْ حَدِيثِ مِحْجَنِ بْنِ الأَدْرَعِ مَرْفُوعًا «**إِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا هَذَا الأَمْرَ بِالْمُغَالَبَةِ**» .

وقال ﷺ «**إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ**» (٣).

وقَالَ ﷺ :«**عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ**» (٤).

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٢٠) بتصرف .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٨) وإن كان في إسناده ضعف إلا أن معناه صحيح وراجع له «علل الدارقطني» (١٤/ ٢٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٩) وإسناده لا بأس به من حديث أبي قتادة عن أعرابي لم يسمه ، وقد صححه الحافظ في «الفتح» (١/ ١١٨) .

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٢) من حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ خَرَجْتُ يَوْمًا أَمْشِي فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ مُتَوَجِّهًا فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ حَاجَةً فَجَعَلْتُ أَخْنَسُ عَنْهُ وَأُعَارِضُهُ فَرَآنِي فَأَشَارَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **أَتُرَاهُ مُرَائِيًا** فَقُلْتُ :اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَأَرْسَلَ يَدِي ثُمَّ طَبَّقَ بَيْنَ كَفَّيْهِ فَجَمَعَهُمَا وَجَعَلَ يَرْفَعُهُمَا بِحِيَالِ مَنْكِبَيْهِ وَيَضَعُهُمَا وَيَقُولُ:**عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبْهُ**، وإسناده حسن كما قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١١٩) .

وقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بِإسنادٍ حَسن لشواهده مِن حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ الأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ : **الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**[(١)].

والسَّمحة هي التي تسهل على النّفوسِ لا كالرَّهبانيةِ الشاقَّةِ عليها .

وفي حَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**يَوْمَئِذٍ**[(٢)]**لَتَعْلَمُ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ**»[(٣)].

والمقصود :

أَنَّ الأَوْلَى لِلْعَامِلِ فِي العبادات والطاعة أَنْ لا يُجْهِد نَفْسه بِحَيْثُ يَعْجِز

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (٥٦٧) وأحمد (١/ ٢٣٦) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٧) عن يزيد قال ثنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ، وقد علقه البخاري (١/ ١١٨ فتح) وحسن إسناده الحافظ في «فتح الباري»، وإن كان في إسناده ضعف من قبل عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس، ورواية داود عن عكرمة، لكن يشهد لمعناه الآتي بعد تعليق وثم شواهد أخرى عن أبي أمامة عند الروياني (١٢٦٦) وآخر عن أبي بن كعب عند الطيالسي (٥٤١) ، بنحو من معناه فلا ريب في أنه حسن لشواهده إن شاء الله .

(٢) أي يوم أن وضع رسول ﷺ ذقن عائشة على منكبيه لتنظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم بين يدي النبي ﷺ حتى ملَّت.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١١٦ ، ٢٣٣) بإسنادٍ حسن؛ لحال عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وحسن إسناده العجلوني في «كشف الخفا» (١/ ٥١) وهو كذلك، وانظر «مسند الحميدي» (٢٥٤) .

وَيَنْقَطِع ، بَلْ يَعْمَل بِتَلَطُّفٍ وَتَدْرِيج لِيَدُومَ عَمَله وَلا يَنْقَطِع [١].

وقد نَبَّه البُخَاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَنَّ جِهادَ النَّفسِ في التَّعبُّدِ إِلَى حَدِّ الْمُبَالَغَةِ غَيْرُ مَطْلُوبٍ وذلك بِذِكْرِهِ لحديثِ : «**عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا**»[٢]. حينَمَا ذَكَرَتْ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امرأةً تُكْثِرُ مِن الصَّلاةِ وَأَنَّها كَانَتْ لا اللَّيل ، ولِذَلِكَ ذَكَرَ جَمَاعةٌ مِن الأئمةِ أَنَّه يُكْرهُ صلاةُ جميع الليلِ

قَالَ النَوَوِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٣] :

«بِدَوَامِ الْقَلِيلِ تَدُومُ الطَّاعَةُ وَالذِّكْرُ وَالْمُرَاقَبَةُ وَالنِّيَّةُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيُثْمِرُ الْقَلِيلُ الدَّائِمُ بِحَيْثُ يَزِيدُ عَلَى الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً » أهـ

فيساق هذا للقُصَّاص الذين يُريدون أن يحملوا الناس على كثرة العبادة حتى يشوا على أنفسهم، وقد يحصل ذلك فيتبعه الملل الظاهر، كما يظهر على كثير من الناس بعد رمضان من الملل والكسل في العبادة، وكم ترى بعده من انتكاسات من الكثير والله المستعان.

ثبت الله المسلمين على الاعتدال والاقتصاد المطلوب في الشريعة إنه على كل شيء قدير .

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٢٠) بتصرف .

(٢) راجع صحيح البخاري (٤٣) ، ومسلم (٧٨٥) ، وانظر «فتح الباري» (١/ ١٢٨) .

(٣) في «شرح مسلم» (٦/ ٧١).

ولكل مقام مقال فالذي أُنزل عليه ﴿ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ** ﴾ وشدَّ المئزر وأحيا ليل العشر الأواخر من رمضان هو الذي أُنزل عليه ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ وهو الذي أمر بالاعتدال، والرفق بالنفس الذي تقدم ذكره.

الإيمان قول وعمل(١)

فلا يكفي القول وحده دون العمل

قَالَ الله ﷻ : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة : ٥] ، وهذا عمل.

وعَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسَةٍ عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ**»(٢)، والصلاة والزكاة والصيام والحج عمل.

وقال ﷺ : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا**

---

(١) لازم ذلك أن يكون ثَمَّ اعتقاد وإلا إذا كان قول وعمل بلا اعتقاد كان نفاقًا ، ومن قال من أهل العلم أن الإيمان قول وعمل قصد [قولاً وعملاً واعتقادًا] وهو مذهب جميع العلماء حكاه عنهم البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٠٦) وقد حكى شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٣٠) عن غير واحد إجماع أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل، وقال ابن عبد البر رحمه الله: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . أ.هـ وقد ذكرنا نصوص أقوالهم في« التوضيحات» .
وبقية ألفاظ أهل العلم في المسألة راجعة إلى هذا التقسيم ، والخلاف بين علماء أهل السنة في هذا لفظي يعود إلى شيء واحد، قول باللسان وعمل بالجوارح والأركان واعتقاد بالجنان .
والمرجئة هم الذين يُرجئون الأعمال، فلا تدخل الأعمال عندهم في مسمى الإيمان بخلاف مذهب أهل السنة.

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦) .

بي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ»[(١)].

بضميمة أفعال الصحابة، فقد قاتلوا من امتنع من العمل كالزكاة.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أعمالاً وعدّها من الإيمان فَقَالَ : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] والبر هو الإيمان.

وَفِي كِتَابِ اللهِ دَائِمًا يَقْرِنُ اللهُ الإِيمَانَ بالْعَمَلِ الصَّالِحِ كَقَوْلِه ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٧] .

فدخلتِ الأعمالُ في مسمى الإيمان بهذه الأدلة كما هو مذهب أهل السنة خلافًا للمرجئة.

وَأَخْرَجَ اللالَكَائي فِي «شرح اعتقاد أهل السنة»[(٢)] بإسنادٍ صححه الحافظ في «الفتح»[(٣)] عن البخاري قال: لَقِيت أَكْثَر مِنْ أَلْف رَجُل مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَهْلِ

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢٢) .

(٢) برقم (٣٢٠) .

(٣) في «فتح الباري» (١/ ٦٠) .

الْحِجَازِ وَمَكَّةَ والْمَدِينَةِ والْكُوفَة والْبَصْرَة وواسط وبَغْدادِ والشَّامِ ومِصْرَ لَقيتهم قَرْنا بَعْدَ قَرْنٍ ... ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ أَسْمَائهم ... يَقُولُونَ : «إِنَّ الدِّينَ[(١)] قَوْلٌ وَعَمَلٌ ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ» ثُمَّ ذَكَرَ الآيَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ

وَقَدْ قَالَ ﷺ : «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[(٢)] والنَّصِيحَةُ عَمَلٌ .

وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلي : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلامِ فَشَرَطَ عَلَيَّ «**وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ[(٣)] .

وَالنُّصْحُ عَمَلٌ ، وَلعل الْبُخَارِيُّ ختم كِتَابِ الإِيمَانِ بباب النصيحة مشيرًا إلى أنه عمل بمقتضاه في الإرشاد إلى الأعمال بِهَذا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ[(٤)] .

وفي كتابِ الله أنَّ مِن أسبابِ دخولِ الجنةِ العملَ

قال ﷻ : ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الزخرف٧٢] .

وقال : ﴿ **لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ** ﴾ [الصافات : ٦١] . وإذا كان معناها فليؤمن المؤمنون، فإنَّ مَنْ آمنَ لابد أنْ يقبلَ، ومَن قَبِلَ فَمِن الحقِّ عليه أنْ يعملَ كما آمنَ رسول الله ﷺ والمؤمنون .

---

(١) وفي «فتح الباري» نقله الحافظ عنه بلفظ : [الإيمان] بدلاً من [الدين] .

(٢) وهو حديث صحيح : أخرجه مسلم كما سيأتي .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥٨) ، ومسلم (٥٦) .

(٤) وانظر «فتح الباري» (١/ ١٧٤) .

وقد قال تعالى : ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الحجر : ٩٢ – ٩٣] .

والمقصود

أنَّ الأدلةَ المتكاثرة تُشيرُ إلى أنَّ الإيمانَ: العمل كما قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)]

وانظر إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ **فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٥] .

ففيها بيانُ نقض مذهب الْمُرجِئةِ من جذوره .

وقال ﷺ : «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فأَفْضَلُهَا قول لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[(٢)].

وقد ذهبَ غلاةُ المرجئةِ إلى الاكتفاءِ في الإيمان بنطقِ اللسانِ، ولا يصح

فإنَّ النبي ﷺ فرّق بين الإيمان والإسلام فاكتفَى في الأول- الذي هو الإسلام بالنطقِ باللسان – مع ذكر الصلاة والزكاة والصيام والحج لمن استطاع

---

(١) انظر «فتح الباري» (١/ ٩٨) .

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٩) وهو في صحيح مسلم بالشك «**بضع وستون أو بضع وسبعون**» ورجح البخاري وتبعه الحافظ رواية «**بضعٌ وستُّون**» ورجح غيرهما رواية «**بضعٌ وسَبْعون**»؛ لأنها زيادة ثقة في بحث طويل، انظر «فتح الباري» (١/ ٦٧) ،«السلسلة الصحيحة» (١٧٦٩) ورجح رحمه الله رواية «**بضعٌ وسّبْعون**»، لكون من زادها ثقة، ولأمور في الأسانيد ذكرها في بحث حسن وهو الذي رجحه الحليمي ثم عياض رحمهما الله، وليس ببعيد، والله أعلم .

إليه سبيلاً- دون الثاني- الذي هو الإيمان، ففيه الإيمان بالله وملائكته..- كما يدل عليه حديث جبريل عليه السلام.

فاشترط فيه أموراً قلبية يتبعها عمل، إذ القلب إذا صلح صلح الجسد كله، فيحمل صاحبه على العمل.

وكأن هؤلاءالمرجئة أيضًا قَصرت أنظارهم فلم ينظروا في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلا هُوَ أَعْجَبُهُمْ[1] إِلَيَّ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ

---

(١) وقع في رواية الروياني أن اسم هذا الرجل «جعيل»، ومال إلى ذلك الحافظ في «الفتح» (١/ ١٠٢) وحكى عن الواقدي في «المغازي» أن اسمه جعيل بن سراقة الضمري وهو مصرح به عند أبي نعيم في «الحلية» (١/ ٣٥٣) بإسناد حسن، وأخرج ابن وهب في «الجامع» (٣٤)، ومن طريقه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٦٨٦) ، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص(٣١٢) عن عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه أن أبا سالم الجيشاني حدثه عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال : «**كيف ترى جعيلا ؟**» قال : قلت : مسكينًا كشكله من الناس ، فقال ﷺ : «**فكيف ترى فلانًا ؟**»
قلت : سيدًا من سادات الناس ، قال ﷺ : «**فجعيل خير من ملء الأرض أو آلاف أو نحو ذلك من فلان**» .
قال : قلت : يا رسول الله ﷺ ، ففلان هكذا ، أو أنت تصنع به ما تصنع ؟ ، فقال : «**إنه رأس قومه ، فأنا أتألفهم**» وإسناده صحيح على شرط مسلم كما قال الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٠٣٧) وقد صحح إسناده الحافظ في «الفتح» (١/ ١٠٢) و«الإصابة» (١/ ٤٩٠) وهو كذلك، وأما ظن العلائي أن رواية سالم الجيشاني عن أبي ذر مرسلة، فظن =

فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا[(١)] فَقَالَ أَوْ مُسْلِمًا فَسَكَتُّ قَلِيلاً ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي فَقُلْتُ مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا فَقَالَ أَوْ مُسْلِمًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : «**يَا سَعْدُ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ**» [(٢)] .

وفي رواية: «**لا تقولنَّ مؤمن ولكن قل مسلم**» [(٣)] .

وهذا لفظ صريح يرد على غُلاة المرجئة في اكتفائهم في الإيمان بالنطقِ باللسان [(٤)] حيثُ أنَّ الإيمانَ مَنزلةٌ أكبر مِن الإسلام.

=

لا يغني من الحق شيئاً، فروايته عنه في صحيح مسلم، وقد صحح الحديث بعض العلماء كما بيَّنا، والله أعلم .

(١) وقول سعد هنا ﷺ ليس من الجزم بإيمانه بلا دليل وإنما أقسم ﷺ على وجدان الظن (رؤيته) وهو كذلك وهم شهداء الله في الأرض يأخذون بما ظهر على الناس ويكلون السرائر إلى عالمها.

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٧) .

(٣) عزاه الحافظ في «الفتح»(١/ ١٠٢)لابن الأعرابي، وهو في «المعجم» (٢٠٨) بسنده وتصحف لفظه في «الفتح» ونقلناه من «المعجم»، وعند النسائي في «الكبرى» (١١٧٢٤) بإسناد صحيح عَنْ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَسَمَ قَسْمًا، فَأَعْطَى نَاسًا، وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ فُلَانًا، وَمَنَعْتَ فُلَانًا، وَهُوَ مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: «**لَا تَقُلْ مُؤْمِنٌ، وَقُلْ مُسْلِمٌ**».وفيه تفرق بين الإيمان والإسلام.

(٤) كما أشار الحافظ في «الفتح» (١/ ١٠٣) .

ومن الردود على غلاة المرجئة أيضاً في قولهم«إن مظهر الشهادتين يدخل الجنة وإن لم يعتقد ذلك بقلبه» :

قوله ﷺ:« مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ » (١)

والعلم علم القلب الذي يبعث على العمل كما حصل للصحابة رضي الله عنهم إذ قد علموا فعملوا.

وقوله: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» .وفي رواية **«فيحجب عن الجنة»**.(٢)

قال النووي(٣):« وفى قَوْلُهُ ﷺوَهُوَ يَعْلَمُ إِشَارَةً إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ مِنْ غُلَاةِ الْمُرْجِئَةِ إِنَّ مُظْهِرَ الشَّهَادَتَيْنِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ وَقَدْ قَيَّدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ ﷺ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَا قُلْنَاهُ .

قَالَ الْقَاضِي:« وَقَدْ يَحْتَجُّ بِهِ أَيْضًا مَنْ يَرَى أَنَّ مُجَرَّدَ مَعْرِفَةِ الْقَلْبِ نَافِعَةٌ دُونَ النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ لِاقْتِصَارِهِ عَلَى الْعِلْمِ وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مُرْتَبِطَةٌ بِالشَّهَادَتَيْنِ لَا تَنْفَعُ إِحْدَاهُمَا وَلَا تُنَجِّي مِنَ النَّارِ دُونَ الْأُخْرَى إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الشَّهَادَتَيْنِ لِآفَةٍ بِلِسَانِهِ أَوْ لَمْ تُمْهِلْهُ الْمُدَّةَ لِيَقُولَهَا بَلِ اخْتَرَمَتْهُ الْمَنِيَّةُ وَلَا حُجَّةَ لِمُخَالِفِ الْجَمَاعَةِ بِهَذَا اللَّفْظِ إِذْ قَدْ وَرَدَ مُفَسَّرًا فِي الْحَدِيثِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨).

(٣) في«شرح مسلم » (١/ ٢١٩).

الْآخَرِ:

فقال:«**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ**»

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْحَدِيثُ وَأَمْثَالُهُ كَثِيرَةٌ فِي أَلْفَاظِهَا اخْتِلَافٌ وَلِمَعَانِيهَا عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ائْتِلَافٌ

فَجَاءَ هَذَا اللَّفْظُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَفِي رِوَايَةِ مُعَاذٍ عَنْهُ ﷺ:« **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دخل الْجَنَّةَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ ﷺ :«**من لقى الله لايشرك بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

وَعَنْهُ ﷺ :«**مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ** ».

وَنَحْوُهُ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَعِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ وَزَادَ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رضي الله عنه :«..**عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ**».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه :« **لَا يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ** ».

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍرضي الله عنه :«**حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يبتغى بذلك وجه الله تعالى** ».

وهذه الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا سَرَدَهَا مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ. فَحَكَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ الله منهم بن الْمُسَيَّبِ أَنَّ هَذَا كَانَ قَبْلَ نُزُولِ

الْفَرَائِضِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ:« هِيَ مُجْمَلَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ وَمَعْنَاهُ مَنْ قَالَ الْكَلِمَةَ وَأَدَّى حَقَّهَا وَفَرِيضَتَهَا وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَقِيلَ إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ قَالَهَا عِنْدَ النَّدَمِ وَالتَّوْبَةِ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا قَوْلُ الْبُخَارِيِّ»اهـ.

ومن الأدلة التي تدمغهم:

قوله ﷺ في حدث مالك بن الدخش رضي الله عنه :«أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ »[١]

قال النووي[٢]:« وَفِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ- يبتغي بذلك وجه الله- رَدٌّ عَلَى غُلَاةِ الْمُرْجِئَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ يَكْفِي فِي الْإِيمَانِ النُّطْقُ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ فَإِنَّهُمْ تَعَلَّقُوا بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ تَدْمَغُهُمْ».

وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحجرات : ١٤] .

فالتلفُّظ بالكلمة هو الإسلام، وأما الإيمانُ فهو العملُ كما أشار الزُّهري رحمه الله .[٣]

---

(١) أخرجه البخاري(٤٢٥) ومسلم(٣٣).

(٢) في«شرح مسلم» (١/ ٢٤٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في«تفسيره»(٢/ ٢٣٣) لقوله تعالى«قل لم تؤمِنوا ولكن قولوا أسلمنا» وأبو داود(٤٦٨٩) قال الزهري: نرى أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل.

=

افتراق لفظي «الإسلام» و«الإيمان» واجتماعهما

اعلم – رحمك الله- أن لفظ«الإسلام»و«الإيمان» إذا أتيا في سياق واحد فاجتمعا افترقا في المعنى، فيكون الإسلام بمعنى النطق بالشهادتين، أو الأعمال الظاهرة والإيمان : أن أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. أو الأعمال الباطنة كما في حديث جبريل عليه السلام، اجتمها ففرَّق النبي ﷺ بينهما في المعنى.

وإذا اجتمعا فجاء «الإسلام» وحده، أو «الإيمان» وحده اجتمعا فيكون المعنى شامل للإسلام والإيمان جميعاً،كما في قوله تعالى:«**فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**» وقوله«**وأنا أول المسلمين**» وقوله تعالى عن سحرة فرعون:«**آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**»

كما في لفظ الفقير والمسكين، وكذلك الكفر والشر، وكذلك السيئة والفاحشة، وكذلك الإسرء والمعراج، وكذلك الإله والرب ..وهكذا . [١]

ومِن الأدلةِ في الردِّ على المرجئةِ في إنكارِهم تسمية أعمال الدين إيمانًا [٢]

=

ولا يعنى كلام الزهري أن الكلمة تغني عن العمل، لا ، ذاك الإرجاء، نعوذ بالله من البدع.

(١) راجع «شرح الطحاوية» باب الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك أمر طارئ و«مجموع الفتاوي »(٧/ ٢٥٩-٣٦١)وما بعدها.

(٢) ليخرجوا – هداهم الله – الأعمال عن دخولها في الإيمان .

قوله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣] . يعني صلاتكم ، والصلاةُ عملٌ .

وفي حديثِ البراء بن عازب رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ - أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ - مِنْ الأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صَلاَّهَا صَلاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا - كَمَا هُمْ - قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ .

يعنون أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [1] يعني صلاتهم .

وهؤلاءِ السفهاءُ ما قَدَروا الله الأكرم حق قدره

كيف يُضِيعُ أعمالَ هؤلاء وهو ﷻ يجزي على الحسنةِ بعشر أمثالِها إلى سبعمائة ضعف ، والسيئةِ بمثلِها ؛ فنعوذُ بالله من بَلادَةِ الذهنِ وغباوةِ التفكيرِ وجمودِه وعدم التوفيق في الفهم .

وقد أطلقَ النبيُّ ﷺ الدينَ على العملِ

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٠) باب الصلاة من الإيمان .

فقال ﷺ : «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» (١)

قال الحافظ (٢) : إِنَّ الدِّين يُطْلَقُ عَلَى الْعَمَلِ لِكَوْنِهِ سَمَّى النَّصِيحَة دِينًا ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى بَنَى الْمُصَنِّف «أي البخاري» أَكْثَر كِتَاب الإِيمَانِ .

وقد أطلقَ النبيُّ ﷺ على الأعمالِ الدين

فقالتْ عائشةُ رضي الله عنها : «**وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**»(٣) أي أحب العمل ، وقد صرح به في رواية عائشة رضي الله عنها : «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ مَا دَاوَمَ...» (٤).

فهذا دليلٌ على أنَّ الإيمانَ يُطلقُ على الأعمالِ لأن المرادَ بالدينِ هنا العمل، والدين الحقيقي هو الإسلامُ ، والإسلامُ الحقيقي مرادفٌ للإيمانِ .

وفي ذلك حديث جبريل عليه السلام وهو يسألُ رسول الله ﷺ عن الإسلامِ ، فقال ﷺ : «**...وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ...الحديث**»(٥).

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٥٥) وقد علقه البخاري لكونه ليس على شرطه . انظر «الفتح» (١/ ١٧١) .

(٢) في «فتح الباري» (١/ ١٧٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٣) ، ومسلم (٧٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) في حديث أخرجه مسلم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها أيضًا .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري ومسلم

وفي آخر قال ﷺ : «**هذا جِبْرِيلُ جاء يُعَلِّمُ الناس دِينَهم**» ؛ فجعل هذه الأعمال من الدينِ بل من أصول الإسلام .

وفي ذلك ردٌّ على الْمُرجِئةِ الذين يُرجِئون الأعمالَ ، فالأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وقد سميت هنا ديناً .

والإيمانُ يزيدُ وينقصُ ، يزيدُ بالطاعاتِ وينقصُ بالمعاصي

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ [الفتح : ٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ** ﴾ [محمد : ١٧] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً** ﴾ [المدثر : ٣١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ [المائدة : ٣] . فإذا ترك شيئًا مِن الكمالِ فهو ناقصٌ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ [فاطر : ٣٢] .

وقال النبيُّ ﷺ : «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**» (١) وإذا كان النقص في الدين وارد فالزيادة واردة.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقولُ : «**بَيْنَمَا**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠٤) ، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر .

أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ» قَالُوا : مَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : «**الدِّينَ**»[(١)].

فالدين ينقص عند البعض كما يكمل عند الآخرين .

وعن أبي سعيد الخُدري ﵁ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[(٢)] ، والضعف يدل على أن هناك قوة وزيادة .

وعن أبي مسعود ﵁ قال : أشار النبيُّ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ :

«**أَلا إِنَّ الإِيمَانَ هَهُنَا، وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ**[(٣)] **عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**»[(٤)].

ومعنى «**الإِيمَانَ هَهُنَا**» أي زيادته كما يدل عليه السياق، فإنه لم يقابل الإيمان

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٣) ، ومسلم (٢٣٩٠) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٤٩) .

(٣) أي أصحاب الصوت العالي كما هو دأب أصحاب الإبل وعادتهم من فَدا.

(٤) صحيح : أخرجه البحاري (٣٣٠٢) ، ومسلم (٥١)، وقوله ﷺ : « **حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ**» يشير إلى المشرق، والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر، وكان ذلك في عهده ﷺ حيث قال ذلك ، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة .

بالكفر وإنما قابله بالقسوة التي تدل على نقص الإيمان [١].

وأما آثار السلف على تقرير الزيادةِ والنقصانِ فكثيرةٌ :

قال معاذ ﷺ للأسودِ بنِ هلال : «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً» [٢]. والمقصود أنَّه يزيدُ الإيمان لأنَّه كان عندهم أصلُ الإيمانِ ولا يُقالُ غيرُ ذلك.

وفي «الإيمان» لأحمدَ من طريقِ عبد الله بن عكيم عن ابن مسعود ﷺ أنَّهُ كان يقولُ :

«اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفِقهًا» ، وإسنادُه صحيحٌ [٣].

---

(١) وقد بوَّب النووي له ببابٍ تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٩ فتح) [معلقا تعليقًا مجزومًا به] ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٦٤ ، ٧/ ١٤٢) (٢٠) ط المعارف ، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٧٩٦) ، واللالكائي في «السنة» (١٧٠٧) وغيرهم من طرق عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال عن معاذ بن جبل به ، وهذا إسنادٌ صحيح وقد قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٢) عقب تعليق البخاري: «وصله أحمد وأبو بكر بسند صحيح إلى الأسود بن هلال قال : قال لي معاذ بن جبل» أ.هـ.

وله طريق عند اللالكائي عن الأسود .

وواضح أن معاذًا أراد بهذا تجديد الإيمان وزيادته بزيادة ذكر الله ، أم يقول المخالفون إن معاذًا ومن معه أرادوا بذلك أن يدخلوا في الإسلام لأنهم كانوا على الكفر؟»

(٣) كذا قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٢) وإنما يحسن إن شاء الله ، وقد أخرجه أحمد كما في «السنة» لابنه (٧٩٧) ، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧٠٤) عن وكيع عن =

وهو صريحٌ في إثباتِ زيادةِ الإيمانِ ونقصانِه

وقال ابن مسعود ﷺ أيضاً:

«الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ ، وَالْيَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ» (١).

وقالَ عروة بن الزبير :

«مَا نَقَصَتْ أَمَانَةُ عَبْدٍ قَطُّ إلاَّ نَقَصَ إيمَانه» (٢).

وعَنْ جُنْدُبٍ بن عبد الله ﷺ قَالَ : «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فكُنَّا فِتْيَانًا حَزَاوِرَةً (٣) فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ ، ثُمَّ تعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا» (٤) أي ازددنا

=

شريك عن هلال بن أبي حميد عن عبد الله بن عكيم قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول في دعائه...فذكره .

(١) أخرجَهُ الطبراني (٩/ ١٠٤) بإسنادٍ صححَه الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٢) وقد علَّقَه البخاريُّ (١/ ٥٩ فتح) مجزومًا به .

(٢) إسناده صحيح : أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠) ، وفي «المصنف» (١١/ ١٢) ، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٧٩) ، والآجري في «الشريعة» (٢٤٨) ، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٣٨٨) وغيرهم من طريق سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه به ، وكذا هو عند الإمام أحمد كما في «السنة» لعبد الله (٧٩٥) ولكن سقط ذكر عروة من السند .

(٣) حزاورة : جمع حزاوره أي الغلام إذا اشتد وقوى وحزم ، أو هو الذي قارب البلوغ .

(٤) صحيح : أخرجه عبد الله في «السنة» (٧٩٩) ، وابن ماجة (٦١) ، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٦٥) رقم (١٦٧٨) وغيرهم من طريق وكيع عن حماد بن نجيح ثنا أبو عمران الجوني =

بسبب القرآن .

كلُّ هذه الآثارِ تدلُّ على إثباتِ زيادةِ الإيمانِ ونقصانِه (١) .

وقد وردَ عن غيرِ هؤلاءِ مِن الصحابةِ.

* قد ورد عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنه أنه قال:«لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ» (٢) .

=

عن جندب به بإسناد صحيح وقد جاء تصريح أبي عمران بالسماع من جندب عند البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢١) وهي على شرط البخاري في «الصحيح» (٥٠٦٠ ، ٥٠٦١ ، ٥٠٦٤ ، ٥٠٦٥) ، ومسلم (٢٦٢١ ،٢٦٦٧) .

(١) ومن لم يقل بذلك ذهب مذهب كلاب أهل النار من الخوارج الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وكفَّر الناس بالمعاصي وخالف الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين .

(٢) أخرجه البخاري معلقًا في صدر الإيمان تعليقًا مجزومًا به ، ولم أقف عليه مسندًا ، وكذلك قال ابن رجب في «الفتح» (١/ ٦) ، وابن حجر في «الفتح» (١/ ٦٢) و«التغليق» (٢/ ٢٤) ، لكن أخرج ابن المبارك في «الزهد» (٧٩) عن سعيد بن أبي أيوب عن عبد الله بن الوليد عن عباس ابن خليد (وصوابه جليد) قال : قال أبو الدرداء : «تمام التقوى أن يتقى اللهَ العبدُ حتى يتقيه في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا» ، وعزاه الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٢) و ابن رجب في «الفتح» (١/ ٦) لابن أبي الدنيا وقال الأخير «إسناده منقطع» وهو كذلك والله أعلم .

وفي الباب عن عطية السعدي عند الترمذي (٢٤٥١) بنحوه وإسناده ضعيف ، ولكن لفظه بعيد لا يدل على زيادة الإيمان ونقصانه .

=

وفِي هذا إِشَارَة إِلَى أَنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ بَلَغَ كُنْه الإِيمَان وَحَقِيقَته ، وَبَعْضهمْ لَمْ يَبْلُغ . كما قالَ الحافظُ في «الفتح» .

* وفي حديثِ أنس بنِ مالك رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : «**لاَ يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِن الْخَيرِ**»[١] .

وَمَعْنَى الْحَقِيقَة هُنَا الْكَمَالُ ضَرُورَةً ، إذ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لا يَكُونُ كَافِرًا ، وَهَذَا يدلُّ عَلَى أنَّ الإيمانَ يتفاوتُ[٢] .

=

وأشار الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٢) إلى رواية صحيح مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم ؟ ، فقال : « **اَلْبِرُّ : حُسْنُ اَلْخُلُقِ ، وَالإِثْمُ : مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ اَلنَّاسُ**» أن فيها معنى قول ابن عمر وليس بصريح في الدلالة فيما يتعلق بما نحن بصدده والله أعلم .

(١) إسناده صحيح على شرط البخاري : أخرجه ابن حبان (٢٣٥) من طريق ابن أبي عدي عن حسين المعلم عن قتادة عن أنس ، وبوَّب له بباب «ذكر البيان بأن نفي الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه إنما هو نفي حقيقة الإيمان لا الإيمان نفسه» .

وأخرج ابن حبان هذا عقب رواية شعبة عن قتادة عن أنس والتي رواها البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) بلفظ «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» ورواية شعبة أقوى، لكن قد يقال: إنهما حديثان منفصلان بألفاظ مغايرة، وواضح أن المراد بالنفي للإيمان إنما هو نفي الكمال ، وتفسير ألفاظ الحديث بذكر الوارد في بعض طرقها هو الأقوى، بل هو الأصل في تفسير النصوص النبوية .

(٢) وقد أشار لنحوه الحافظ في «الفتح» (١/ ٧٤) .

ولئن قالَ النبيُّ ﷺ : «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ**»(١).

وقد عُلِمَ أنَّ الحبَّ والبغضَ يتفاوتُ ، وتفاوتُه هذا يدلُّ على إثباتِ نُقصانِ الإيمانِ وزيادتِه .

وقد قال ﷺ : «**إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا**»(٢).

قال الحافظ(٣):

فِيهِ دليلٌ عَلَى زِيَادَة الإِيمَان وَنُقْصَانه لأَنَّ قَوْلَه ﷺ : «**أَنَا أَعْلَمكُمْ بِاللَّهِ**» ظَاهِر فِي أَنَّ الْعِلْم بِاللَّهِ دَرَجَات ، وَأَنَّ بَعْض النَّاس فِيهِ أَفْضَل مِنْ بَعْض ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مِنْهُ فِي أَعْلَى الدَّرَجَات

وقد أخرجَ البخاريُّ مُعلَّقًا مجزومًا به عن عمار: «ثَلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ : الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعَالَمِ وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ»(٤).

(١) أخرجه : البخاري (١٧) ، ومسلم (٧٤) عن أنس رضي الله عنه .

(٢) وقد أخرجه البخاري (٢٠) وغيره .

(٣) في «فتح الباري» (١/ ٩٠) .

(٤) وهو صحيح موقوف على عمار مخرَّج من طرق منها رواية سفيان عند ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣١) ، والطبري في «تهذيب الآثار» (١٩٦) وغيرهما من طرق كثيرة عن أبي إسحاق – وممن رواه عن أبي إسحاق شعبة – عن صلة بن زفر عن عمار موقوفًا ، وهو الصحيح بلا شك ، وقد صحح وقفه أبو حاتم وأبو زرعة كما في «العلل» (٢/ ١٤٥) .
=

وهذا يدلُّ صراحةً على زيادةِ الإيمانِ ونقصانِه لا سيما وقد ورد بلفظ «ثلاث من كن فِيهِ فقد استكْمل الإِيمَان»[(١)].

وقدْ أقرَّ النبيُّ ﷺ أنَّ بعضَ خِصالِ المسلمين أفضلُ مِن بعض

فقد سُئِلَ النبيُّ ﷺ أَيُّ الإِسْلامِ أَفْضَلُ قَالَ : «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[(٢)].

وفِي روايةٍ لمسلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ سُئل أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ....الحديث[(٣)].

وفي حديثِ عبدِ الله بنِ عمرو أنَّ رجلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ

=

وقد ورد من طريق مرفوع أخرجه ابن الأعرابي في «المعجم» (٧٢١) وغيره ، وهو معلول من حيث صناعة الإسناد لأن عبد الرزاق – راويه عن معمر عن أبي إسحاق – تغير بآخره وسماع من رواه عنه مرفوعًا رواه عنه حال تغيره ثم إن الرواية في «الجامع» لمعمر (١٩٤٣٩) به موقوفة، إلا أن مثل قول عمار لا يُدرَك من قبيل الرأي فهو في حكم المرفوع ، وله شواهد أخرى عن عمار أشار إليها الحافظ في «الفتح» و«التغليق» .

ومعنى الإنفاق من الإقتار : أن ينفق وهو يحسن بالله الظن .

ومعنى الإنصاف من نفسك : أي أن لا تذهب بالرجل إلى السلطان حتى تُنصفه ، كذا في الرواية في «تهذيب الآثار» (١٩٥) وهو بعض أنواع الإنصاف.

(١) وراجع مبحثًا نفيسًا ذكره الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الماتع «الإيمان» فإنه بوَّب بابًا «الزيادة في الإيمان والانتقاص منه» وهو باب نفيس جدًا .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١١) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٧٣) .

قَالَ : «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[١].

وفي حديثِ رسول الله ﷺ : «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» وحديثه ﷺ : «**الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ**» كل هذا يبين أنَّ الإيمانَ درجاتٌ تتفاوتُ إذْ المحبة المذكورة ليستْ إلا مِن الإيمانِ ، وفي الأحاديثِ إبطالٌ لقَوْلِ الكراميةِ[٢] : «إنَّ الإيمانَ قولٌ فقط» .

ومِن أدلةِ زيادةِ الإيمانِ ونقصانِه خلافًا لمذهبِ الخوارجِ الذين يدَّعونَ أن الإيمانَ متى عصى صاحبه صارَ كافرًا لا إيمان له، فكفَّروا المسلمين بالمعاصي .

قوله ﷺ :«**يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّار مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**» [٣].

وفي الحديثِ الأخر :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٢) .

(٢) والكرامية هؤلاء من الفرق الضالة المبتدعة، ينتسبون إلى أبي عبد الله محمد بن كرام ولهم معتقدات باطلة منها أنهم يجسمون الباري سبحانه وتعالى ، فقالوا بأن له جسم له حد ونهاية من تحته ... إلى آخر خزعبلاتهم، ويقولون أن الإيمان مجرد نطق باللسان وإن اعتقد الكفر، وغير ذلك من الاعتقادات الباطلة التي يطول المقام بذكرها ، قمش محمد بن كرام السجستاني هذا من كل مهب في الاعتقاد، فأخذ رذالته وباطله وفساده وقد هلك سنة ٢٥٥هـ .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤) .

«أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا»[١].

ولمْ ينتبهْ هؤلاءِ الخوارجُ إلى ما انتبه إليه هرقلُ وهو كافرٌ مِن أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ

ففي حديثِه الطويلِ الذي ألقاه أبو سفيان بن حرب على ابن عباس أَنَّ هِرَقْلَ سألَه عن أتباعِ رسول الله ﷺ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قالَ : فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ .... الحديث [٢].

وهذا ما قالَه هرقلُ – الكافر – مِن قِبَل اجتهاده – وإنما أخبرَ به عن استقرائه من كتب الأنبياءِ ، وأيضًا فهرقل قاله بلسانه الرومي، وأبو سفيان عبَّرَ عنه بلسانه العربي وألقاه إلى ابن عباس وهو من علماء اللسان فرواه عنه ولم يُنكرْه، فدلَّ على أنه صحيح لفظًا ومعنى [٣].

وقد أخرجَ البخاريُّ [٤] حديث النعمان بن بشير «**الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ** ...الحديث» في كتابِ الإيمانِ ليُبينَ أنَّ الورعَ مِن مُكملاتِ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري مختصرًا وهو في كتاب بدء الوحي مطولاً .

(٣) حكاه الحافظ في «الفتح» (١/ ١٥٧) بتصرف .

(٤) برقم (٥٢) وهو كذلك عند مسلم (١٥٩٩) .

الإيمان[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]:

سَائِرُ الْفُقُهَاءِ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالآثَارِ بِالْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَالأَوْزَاعِي وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَد ابْنُ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْه وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلامٍ ودَاوُد بْنُ عَلِيٍّ والطبري وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ ؛ فَقَالُوا : الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ، قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَهُوَ الإِقْرَارُ وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ مَعَ الإِخْلاصِ بِالنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ .

قَالُوا : وَكُلُّ مَا يُطَاعُ اللَّهُ ﷻ بِهِ مِنْ فَرِيضَةٍ وَنَافِلَةٍ فَهُوَ مِنْ الإِيمَانِ ، وَالإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعَاصِي، وَأَهْلُ الذُّنُوبِ عِنْدَهُمْ مُؤْمِنُونَ غَيْرُ مُسْتَكْمِلِي الإِيمَانِ مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِهِمْ، وَإِنَّمَا صَارُوا نَاقِصِي الإِيمَانِ بِارْتِكَابِهِمْ الْكَبَائِرَ.

ومَنْ تَأَمَّلَ مَا تَقُولُهُ الْخَوَارِجُ[٣] وَالْمُرْجِئَةُ[٤] فِي مَعْنَى الإِيمَانِ عَلِمَ

---

(١) انظر «فتح الباري» (١/ ١٥٨) .

(٢) في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٣٠ - ٣٣١) .

(٣) في إخراجهم الناس من دائرة الإسلام إذا خالفوا في أي أمر أو ارتكبوا أي نهي فإنهم يقولون أن الإيمان يزول بزوال أي من الأعمال وقولهم في ذلك مثل المعتزلة .

(٤) الذين يقولون بالاكتفاء في إثبات الإيمان بالقول ونطق اللسان ولم يشترطوا العمل ، وهم بذلك سووا بين إيمان جبريل والصديق وغيرهما وإيمان الذي ركب المعاصي إن اعترف بكلمة التوحيد وأقرها بلسانه وإن لم يعمل جنس عمل .

بِالاضْطِرَارِ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلرَّسُولِ، وَيَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ تَمَامِ الإِيمَانِ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجْعَلُ كُلَّ مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا كَافِرًا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ أَنَّ قَوْمًا قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ نَحْنُ نُؤْمِنُ بِمَا جِئْتَنَا بِهِ بِقُلُوبِنَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ؛ وَنُقِرُّ بِأَلْسِنَتِنَا بِالشَّهَادَتَيْنِ إلاَّ أَنَّا لا نُطِيعُك فِي شَيْءٍ مِمَّا أَمَرْت بِهِ وَنَهَيْت عَنْهُ فَلا نُصَلِّي وَلا نَصُومُ وَلا نَحُجُّ وَلا نُصَدِّقُ الْحَدِيثَ وَلا نُؤَدِّي الأَمَانَةَ وَلا نَفِي بِالْعَهْدِ وَلا نَصِلُ الرَّحِمَ وَلا نَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ الْخَيْرِ الَّذِي أَمَرْت بِهِ وَنَشْرَبُ الْخَمْرَ ؛ وَنَنْكِحُ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ بِالزِّنَا الظَّاهِرِ وَنَقْتُلُ مَنْ قَدَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِك وَأُمَّتِك وَنَأْخُذُ أَمْوَالَهُمْ بَلْ نَقْتُلُك أَيْضًا وَنُقَاتِلُك مَعَ أَعْدَائِك ؛ هَلْ كَانَ يَتَوَهَّمُ عَاقِلٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لَهُمْ : أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ كَامِلُو الإِيمَانِ وَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُرْجَى لَكُمْ أَلاَّ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ النَّارَ بَلْ كُلُّ مُسْلِمٍ يَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ : أَنْتُمْ أَكْفَرُ النَّاسِ بِمَا جِئْت بِهِ وَيَضْرِبُ رِقَابَهُمْ إنْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْ ذَلِكَ [١].

وهل يفهم من قول أبي هريرة رضي الله عنه «الإِيمَانُ نزهٌ (أي بعيد عن المعاصي)، فَمَنْ زَنا فَارَقَهُ الإِيمَانُ ، فَمَنْ لامَ نَفْسَهُ وَرَاجَعَ رَاجَعَهُ الإِيمَانُ» [٢].

---

(١) من قول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض رده على طائفتي الخوارج والمرجئة في قولهم في معنى
الإيمان في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٨٧) .

(٢) وهو صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٦) واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٨٧٠)، وأحمد كما في «السنة» (٧٥٣).

هل يفهم من ذلك أن أبا هريرة ﷺ يقول بزوال الإيمان كليًا من الزاني؟

الجواب :

لا: إنما معنى «فارقه الإيمان» أي كماله ، كما أن الروح تفارق الجسد عند النوم كما هو معلوم ومع ذلك بقى هناك تعلق لها بالجسد والشخص نائم ، وإلا لزم قتل الزاني ردَّة، ولم يقل بقتله ردَّة أحد من الصحابة ولا أحد من السلف ولم يقله ﷺ أبدًا ولم يفعله .

وفي صحيح البخاري (٦٨٠٩) عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:«**لاَ يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ...الحديث**».

وفي حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال : «**أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى**»[١] .

وقال عكرمة لابن عباس : كَيْفَ يُنْزَعُ الإِيمَانُ مِنْهُ ؟ قَالَ : هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا – فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا – وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[٢] .

قال الملا على القاريء[٣] في تعليقه على أثر ابن عباس هذا : «ظاهر كلامه الإيمان يخرج من مرتكب هذه الأشياء حين الارتكاب ولا يعود إليه إلا بالتوبة

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٨٧) ، ومسلم (٩٤) .

(٢) كما في صحيح البخاري (٦٨٠٩) وهو موصول .

(٣) في «شرح المرقاة» (١/ ٢٩٥) «باب الكبائر» .

، وهو غير مستقيم على قواعد أهل السنة، فالتأويل أن كمال الإيمان ونوره وثمرته ونتيجته من الحياء والخوف والرحمة والشفقة والديانة تفارقه في تلك الحالة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وينصره قول الحسن البصري[١] : إن المعني ينزع عنه اسم المدح الذي سمى الله به أولياءه المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال : «سارق وزان، وفاجر وفاسق» .

وقال المهلب : تنزع منه بصيرته في طاعة الله .

وقال الزهري : هذا من المشكل الذي نؤمن به ونُمِرُّه كما جاء ولا نتعرَّض لتأويله.

والمقصود : أنه لا يكون هذا مؤمنًا تامًا – أي كاملاً ، ولا يكون له نور الإيمان – أي بهاؤه وبهجته وضياؤه وثمرته .

وقال ابن حزم في «المحلى» :

يؤيده أنه لو كان نفي الإيمان هنا إيجابًا للكفر لوجب قتل السارق ومن ذُكر معه على الردة ، ولا يقوله أحد ولا فعله ﷺ[٢].

---

(١) وقد عزاه الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٧٢) للحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري بنحوه وذكر أقوالاً أخرى محتملة .

(٢) «المحلى» (١١/ ٣٢٩) ونص كلام البخاري في «الصحيح» عقب (٦٧٧١) باب لا يُشْرَبُ الْخَمْرُ ، قَالَ : قال ابْنُ عَبَّاسٍ : «يُنْزَعُ مِنْهُ نُورُ الإِيمَانِ فِي الزِّنَا» وأخرجه الحافظ موصولاً في «تغليق التعليق» بإسنادٍ عن ابن عباس وكأن البخاري يرى الأخذ بالأثر الذي سأذكره بعد .

قلت «محمد» :

ويؤيد هذا التأويل الذي ذُكر ما أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» وغيره عن ابن عباس أنه كان يقول لغلمانه : يا فلان أزوجك ، يافلان أزوجك ، فإنه ليس من زان يزني إلا نزع الله منه نور الإيمان [1] فالمنزوع نور الإيمان وبهاؤه.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٧١) وفي «المصنف» (١١/ ١٤) ، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٥٨) من طريق عثمان بن أبي صفية عن ابن عباس به .

وعثمان هذا لا يعرف، وروايته عن ابن عباس مرسلة كما قال أبو حاتم ولكن له إسنادٌ آخر يحسن .

أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٩٤) ، والآجري في «الشريعة» (٢٣٨) ، وابن سعد في «طبقاته» (٥/ ٢٨٧) ط دار صادر ، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٥٦ ، ٥٥٧) من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال : كان ابن عباس يعرض على مملوكه الباءة ويقول : من أراد منكم الباءة ، زوَّجته ، فإنه لا يزني زان إلا نزع الله منه نور الإيمان فإن شاء أن يردَّه ردَّه وإن شاء أن يمنعه منعه .

وإبراهيم بن مهاجر تحسين أمره ليس ببعيد ، فقد عدَّله غير واحد من أهل العلم ، وحذف ذلك صاحبا «تحرير التقريب» (١/ ١٠٠) ليتعقبا الحافظ في قوله عن إبراهيم «صدوق لين الحفظ» إلى قولهما : «بل ضعيف يعتبر به»، وهو ليس بصنيع لأهل العلم.

وقد روى له مسلم في موطنين قالا : «متابعة برقمي (٣٣٢ ، ٦٥٥) وتعقبا توثيق الذهبي له بأنه لم يجد فيه سلفًا ، ولو بحثًا لوجدا أن مغلطاي نقل في «إكماله» (١/ ٢٩٥) عن ابن سعد توثيقه وذكره ابن خلفون في «الثقات» يعني يرى توثيقه».

والمقصود أن تحسين الأثر ليس ببعيد وهو يبين أن المنزوع عن الزاني ليس الإيمان وإنما هو نوره كما هو مذهب أهل السنة، فتنبَّه ولله الحمد والمنة.

ومما يزيدُ الإيمان[1]:

أولاً : معرفةُ الله تعالى بأسمائِه وصفاتِه ، فإنَّه كلما ازداد الإنسانُ معرفةً باللهِ وأسمائِه وصفاتِه ازدادَ إيمانُه .

ثانيًا : النظرُ في آياتِ اللهِ الكونيةِ والشرعيةِ .

قال تعالى للمدعوين إلى الإيمان : ﴿ **أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ [الغاشية : ١٧- ٢٠] .

وقال ﷻ : ﴿ **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [يونس : ١٠١] .

وكلما ازدادَ الإنسانُ علمًا بما أودعَ الله تعالى في الكونِ مِن عجائبِ المخلوقاتِ من الحكمِ البالغاتِ ؛ ازدادَ إيمانًا بالله ﷻ .

وكذلك: النظر في آياتِ الله الشرعيةِ يزيدُ الإنسانَ إيمانًا بالله ﷻ؛ لأنَّك إذا نظرْتَ إلى الآياتِ الشرعيةِ وهي الأحكامُ التي جاءَ بها الرسلُ وجدْتَ فيها ما يُبْهِرُ العقول مِن الحكم البالغة والأسرار العظيمة التي تَعرفُ بها أنَّ هذه الشريعةَ نزلتْ مِن عند الله وأنَّها مبنيةٌ على العدلِ والرحمةِ فتزدادَ بذلك إيمانًا .

ثالثًا : كثرةُ الطاعاتِ وإحسانِها ، لأنَّ الأعمالَ داخلةٌ في الإيمان ، وإذا

(١) «شرح العقيدة الواسطية» للعثيمين ص ٥٦٧ ط. التوفيقية بتصرف .

كانت داخلةً فيه لزمَ مِن ذلك أن يزيدَ بكثرتِها .

رابعًا : تركُ المعصيةِ تقرُّبًا إلى الله ﷻ ، فإنَّ الإنسانَ يزدادُ بذلك إيمانًا بالله ﷻ .

ومما ينقصُ الإيمان :

أولاً : الإعراضُ عن معرفةِ اللهِ تعالى وأسمائِه وصفاتِه .

ثانيًا : الإعراضُ عن النظرِ في الآياتِ الكونيةِ والشرعيةِ ، فإنَّ هذا يوجبُ الغفلة وقسوة القلب .

ثالثًا : قلةُ العملِ الصالح ، ولذلك حصلَ للنساء النقصُ لكونِها إذا حاضتْ لم تصلِّ ولم تصُمْ قال ﷺ : «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**» .

قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ**» قُلْنَ : بَلَى قَالَ : «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ**» قُلْنَ : بَلَى قَالَ : «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**» وهو ثابت تقدم[١] .

رابعًا : كثرةُ المعاصي لكونِ المعاصي تذهبُ بالإيمانِ أو ببعضِه .

ولذلك قال ﷺ : «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠٤) .

السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» .

ولقوله ﷻ: ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين : ١٤].

ومن رزقه الله إيمانًا فينبغي عليه أن يدعو الله أن لا ينزعه عنه .

قال ﷻ عن أهل الإيمان : ﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران : ٨] .

وأخرج ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٥) بإسنادٍ صحيح عن ابن عمر أنه كان يقول : «اللَّهُمَّ لاَ تَنْزِعْ مِنِّي الإِيمَانَ كَمَا أَعْطَيْتَنِيهِ» .

الاستثناء في الإيمان

يعني قول القائلِ أنا مؤمنٌ إنْ شاءَ اللهُ

الحاصل أنه إنْ كان يعني أنَّه يشكُّ في إيمانِه فيحرم بل قد يكفر المرء به ، لأن الإيمانَ جزمٌ والشكُّ ينافيه .

وقد قال تعالى:**«إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ثم لم يرتابوا»**

وإنْ كان يكرهُ تزكيةَ نفسه، أو يستثني لأنَّه يجهلُ عاقبة إيمانه ويقول هذا لأجلِ ذا فهذا لا بأس به .

وقد اختلف الناسُ في هذه المسألةِ على ثلاثةِ أقوال :

طرفان ووسط منهم من يوجبه ومنهم من يحرِّمه ، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبارٍ وهذا أصحُّ الأقوالِ كما قال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية[1] .

وقد قال ﷻ : ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ [الفتح: ٢٧] .

---

(١) في «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٣٣٤ ، وعنه أخذ الشيخ العثيمين رحمه الله من المعاصرين ونحوه هو قول أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه «الإيمان» فانظر (ص٣٥) وما بعدها في باب «الاستثناء في الإيمان» وغيرهم كثير .

وقال ﷺ في دعاء المقابر : «**وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ**»[١] .

ووجه الدلالة: عموم قوله إن شاء الله، فإنها تدل على جاز الإستثناء في الإيمان.

وقال ﷺ : «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِى**»[٢] .

وهو صريح في عدم جزم المرء بالإيمان لنفسه(جواز الإستثناء).

وقول من يجِّوز الاستثناء باعتبار، وينهى عنه باعتبار هو أسعد بالدليل من الفريقين وخيرُ الأمورِ أوسطُها .

ومَن سُئل هل أنت مؤمنٌ فقال ببدعية السؤال فحسن

وقد أجابَ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ بأنَّه يجيبُ : بأنَّ سؤالَك إياي بدعة ولا أشك في إيماني [٣] .

وقد وردَ عن بعضِ السلفِ جزمهم بإيمانهم

فأخرجَ ابن أبي شيبة في «الإيمان» بإسنادٍ صحيح عن أبي إسحاق الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ معقل التابعي قَالَ: فَقُلْتُ إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ يَعِيبُونَ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ: أَنَا مُؤْمِنٌ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ معقل: «لَقَدْ خِبْتَ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٩) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١١١٠) .

(٣) انظر «السنة» للخلال (١٠٦٨) وما بعدها .

وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُؤْمِنًا» [١].

وأخرج بإسنادٍ صحيح عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، قَالَ: وَمَا عَلَى أَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ أَنَا مُؤْمِنٌ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ صَادِقًا لَا يُعَذِّبُهُ اللَّهُ عَلَى صِدْقِهِ، وَلَئِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمَا دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ أَشَدُّ مِنَ الْكَذِبِ. [٢]

أي لا يشترط أن يقول إن شاء الله .

عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: " قِيلَ لَهُ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: أَرْجُو [٣].

ويبدو أنَّ ثمَّ خلافًا بين السلفِ ، وقد أخرجَ ابن أبي شيبة في «الإيمان» بإسنادٍ صحيح عن مغيرة قال : سمعت شقيقًا ، وسأله رجل : سمعت ابن مسعود يقول : من شهد أنه مؤمن فليشهد أنه في الجنة ؟ قال : نعم .

وقد أخرجه ابن أبي شيبة[٤]وأبو عبيد القاسم بن سلام في «الإيمان» برقم (١١) عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ: إِنِّي مُؤْمِنٌ، قَالَ: " قُلْ: إِنِّي فِي الْجَنَّةِ وَلَكِنَّا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٣٠ ، ٧٣) وتصحَّفت بن معقل (بن مغفَّل) والتصويب من «المصنَّف» (٦/ ١٦٠) نبهني عليه بعض الإخوة بعد طباعة طبعة الكتاب الأولى فأصلحتها هنا، فجزاه الله خيراً .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٧٤) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٢٤ ، ٧٥) ولفظه عند أبي عبيد في «الإيمان» (١٥) أرجو إن شاء الله .

(٤) برقم (٢٢).

وطعنُ من طعنَ في إسناده بأن أصحاب عبد الله على خلافه ليس بشيء فإن الصحيح التفصيل الذي ذكرناه قبل .

وأخرج أبو عبيد[(١)] بإسنادٍ صحيحٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: إِنِّي لَقِيتُ رَكْبًا فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: "نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ قَالَ: فَقَالَ: أَلَا قَالُوا نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ .

وأخرج [(٢)] عن ابن سيرين بإسنادٍ صحيحٍ قال : إذا قيل لك : أمؤمن أنت ؟ فقل : ﴿ **آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ ...الآية** ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

والمقصودُ أنَّ المؤمنَ يقولُ:أنا مؤمنٌ موقنٌ أي: مقرٌ بما أمر اللهُ به وما نهى عنه غير جازمٍ هل قَبِلَه الله منه أم لا ؟ وليس معنى قوله أنا مؤمنٌ أنَّه جازمٌ بأنَّه من أهل الجنةِ فتنبه. **وخير الأمور الوسط كما سلف.**

وهذه كإجابة أحمد وإبراهيم النخعي حينما سُئِلَ إِبْرَاهِيمُ عَنِ الرَّجُلِ يَقُولُ لِلرَّجُلِ أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: الْجَوَّابُ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَمَا يَسُرُّنِي أَنِّي شَكَكْتُ.[(٣)]

---

(١) في «الإيمان» (١٠) وأخرجه ابن أبي شيبة في«الإيمان »(٢٣).

(٢) في«الإيمان» (١٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٦٠) .

إثباتُ الأخوة الإيمانية وإنْ عصى بعضهم

ونثبتُ الإخوةَ الإيمانيةَ مع وجودِ المعصية

قال تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الحجرات : ٩].

وقال ﷻ أيضًا بعد قتل بعضهم بعضاً وذكر القصاص : ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

وقال ﷺ في شأنِ الحسنِ بنِ عليٍّ لـمَّا أصلحَ الله به بين طائفتين مِن المسلمين دعواهما واحدة (طائفة عليّ وطائفة معاوية رضي الله عنهما):«**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ**»(١) .

فأثبتَ لهما جميعًا الإسلامَ مع وجودِ القتال بينهما، فدلّ على أنَّ قولَه ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» معنيٌ به كفر دون الكفرِ الأكبرِ(٢) المخرج

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) مع أنه ﷺ قال:« **إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» قالوا : هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ:«**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»وهو صحيح أخرجه البخاري (٣١) ومسلم (٢٨٨٨)، وقال ﷺ :«**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» وهو =

من الملة .

الناسُ كفَّارٌ ومسلمون ، والكُفرُ ملةٌ واحدةٌ

من ماتَ على الشركِ لا يقبلُ الله منه صرفًا ولا عدلاً ويخلدُ في نارِ الجحيمِ.

قال ﷻ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾

قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**﴾(1) [الجن : ٢٣] .

=

صحيح أخرجه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٣) ، لكن الكفر هنا كفر دون كفر أي من باب إطلاق الكفر على المعاصي كفر

وقد سمى النبي ﷺ التي لا تشكر لزوجها «تكفر» العشير كما في صحيح البخاري (٢٩) ومسلم (٧٩) ، والمقصود بالفئتين العظيمتين فئة عليّ ﷺ وفئة معاوية ﷺ ، وعليّ ﷺ وإنْ كانَ على الحقّ إلا أنَّ معاوية ﷺ كان متأولاً وما كفَّرت إحدى الطائفتين الأخرى بل بالعكس، وهذا واضح في الدلالة على عدم تكفير أي م الطائفتين .

(١) وهذه الآية في شأن المشركين العصاة والمقصود هنا معصية الشرك وأما قوله ﷺ : «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» صحيح أخرجه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧) .أي مؤمن كامل الإيمان .

قال الحافظ ابن حجر في قوله : «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» : لا نعلم أحدًا كفّر أحدًا بالزنا والسرقة والشرب ممن يعتد بخلافه .

ففعل الكبائر لا يسلب اسم الإيمان ولا يُدَّعى معها كمال الإيمان .

وأصحابُ المعاصي غير المُكفِّرة لا يُكفَّرون فلا يُزالُ عنهم أصل الإيمان إذا كانتْ المعاصي غيرَ مُكفِّرة وهذا هو المقصود مِن قوله ﷺ :

«**وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ**» قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : «**الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ**»(١). ومعنى بوائقه: أي شرُّه، ضرر وغوائله.

وقوله ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٢).

قال النووي رحمه الله(٣) : ومعنى الأحاديث التي فيها لا يدخلُ الجنةَ مَن فعلَ كذا(٤).

أحدهما : أَنَّهُ مَحْمُول عَلَى مَنْ يَسْتَحِلّ الإِيذَاء مَعَ عِلْمه بِتَحْرِيمِهِ ؛ فَهَذَا كَافِرٌ لا يَدْخُلُهَا أَصْلاً .

والثاني : مَعْنَاهُ جَزَاؤُهُ أَنْ لا يَدْخُلهَا وَقْت دُخُول الْفَائِزِينَ إِذَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لَهُمْ ، بَلْ يُؤَخَّر ثُمَّ قَدْ يُجَازَى ، وَقَدْ يُعْفَى عَنْهُ فَيَدْخُلهَا أَوَّلاً . أ.هـ بتصرف

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠١٦) ، ومسلم (٤٦).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) .

(٣) في «شرحه على مسلم» (٢/ ١٧) .

(٤) كحديث «**لا يدخل الجنة من لم يأمن جاره بوائقه**»، وحديث «**والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**» وخرجتهما في كتابي«فقه التعامل مع الجار».
وحديث «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، **وحديث** «لا يدخل الجنة قاطع» الذي أخرجه البخاري (٥٩٨٤) ، ومسلم (٢٥٥٦) .

يسير جدًا .

أما حديث جندب [1] رضي الله عنه مرفوعاً أَنَّ رَجُلا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قُرْحَةٌ ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَنكَأَهَا فَلَمْ يَرْقَأْ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، وأن الله قَالَ: «**قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»، فقد يحمل على أن ذلك شرع مَن قبلنا، أو يحمل على أنه لا يدخلها مع أول الداخلين، وقد ذكر الحافظ في «الفتح» أجوبة على ذلك .

والمسلمُ يُطلقُ على مَن أظهرَ الإسلامَ وإنْ لم يُعلمْ باطنه، وهذا هو الموافقُ للمعقولِ والمنقولِ

قال ﷺ :«**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**»[2].

ولما جاء الـمُخلَّفون عن رسولِ الله ﷺ وطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبلَ منهم رسولُ الله ﷺ علانيتَهم وبايعَهم واستغفرَ لهم ووكَّلَ سرائرَهم إلى الله [3].

وفي صحيح البخاري[4] قولُ عمر رضي الله عنه : إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ

---

(١) الذي أخرجه البخاري (٣٤٦٣) ، ومسلم (١١٣).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥) .

(٣) كما في قصة كعب بن مالك التي أخرجها البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (١٧٦٩) .

(٤) برقم (٢٦٤١) في باب الشهداء العدول .

فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ.

وفي حديثِ ابن عباس الذي فيه إرسال النبي ﷺ لمعاذ إلى اليمن قالَ له : **«فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله ... الحديث»** وبدأَ يعدُّ عليهم التكليفاتِ المترتبةِ على إسلامِهم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ [1]:

وَفِي حَدِيثِ اِبْنِ عَبَّاس من الْفَوَائِد غَيْر مَا تَقَدَّمَ الاقْتِصَار فِي الْحُكْمِ بِإِسْلامِ الْكَافِرِ إِذَا أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، فَإِنَّ مِنْ لازِمِ الإِيمَان بِاَللَّهِ وَرَسُولِه التَّصْدِيق بِكُلِّ مَا ثَبَتَ عَنْهُمَا وَالْتِزَام ذَلِكَ ، فَيَحْصُل ذَلِكَ لِمَنْ صَدَّقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ .

وقال في موطن آخر [2] :

تَوَاتَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ الصَّحَابَةِ أَنَّهُم حَكَمُوا بِإِسْلامِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ جُفَاة الْعَرَبِ مِمَّنْ كَانَ يَعْبُدُ الأَوْثَان ، فَقَبِلُوا مِنْهُمْ الإِقْرَارَ بِالشَّهَادَتَيْنِ[3] .

---

(١) في «فتح الباري» (١٣/ ٤٣٠) .

(٢) في «فتح الباري» (١٣/ ٤٢٧) .

(٣) ولا يفهم من هذا أنهم أطلقوا الإسلام على من نطق بالشهادتين وإن لم يقم بجنس عمل .
=

فمَن قالَ لا إله إلا الله ظاهرًا ثبتَ له حكمُ الإسلامِ ، ولم نِنقّب عما في قلبِه – وإنْ ظهرت قرائنُ نفاقِه – سلّم اللهم من النفاقِ وأهله

فقد بعثَ رسولُ الله ﷺ بَعْثًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّهُمْ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ وَإِنَّ رَجُلاً مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ . فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَتَلَهُ فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ . فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : «**لِمَ قَتَلْتَهُ** ؟» . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلانًا وَفُلانًا وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَقَتَلْتَهُ**» قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ؟». قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : »**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» ... الحديث [(١)].

وكذلك يثبتُ الإسلامُ لولدٍ بين أبوين مسلمين أو لقيطٍ في دارٍ أهلُها أهل إسلام » لأنَّ هذا هو حكمُ غالبِ الموجودين .

=

فلا يُعلم رجل أصلاً في الإسلام على هذه الصفة كما أشرنا في كتابنا «التوضيحات» ومعرفة الشخص الذي هذا وصفه أمر عسير كما أشرنا هناك .

(١) صحيح أخرجه مسلم (٩٧) من حديث جندب وهو في الصحيحين البخاري (٤٠١٩) ، ومسلم (٩٥) من حديث المقداد بن الأسود ومثله حديث أسامة في «الصحيح» (٤٢٦٩) وغيره.

والمقصودُ أنه يُحكَمُ بإسلامِه بالشهادتين إلا إذا ارتكبَ ناقضًا مِن نواقضِ الإسلامِ ، كمَن تركَ الصلاةَ أو الزكاةَ[١] أو أنكرَ معلومًا مِن الدينِ بالضرورة ، أو استحل ما حرَّم الله عمدًا بغير تأويل وأقيمت عليه الحجة

ولهذا قال النبي ﷺ : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّها وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**»[٢].

ولهذا قاتل أبو بكر مانعي الزكاةِ وجعلَهم مِن المرتدين، وذلك بإجماعِ الصحابةِ آنذاك، وتارك الصلاة ذكرنا الأدلةَ على قتله في«التوضيحات» .

ويكتفي في قبولِ الإيمانِ بالاعتقادِ الجازم النطق بالشهادة مع حصول بعض العمل ، خلافًا لمن أوجبَ تعلم أدلة علم المُعتقدِ

فقد قال ﷺ : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي**

---

(١) والبعض يقول:لم يكفروا بعدم إيتاء الزكاة، وإنما قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه عقوبة، قال محمد بن نصر المروزي في«تعظيم قدر الصلاة»(٢/ ١٠١١) وَجَدْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَارًا مُفَسَّرَةً تُبَيِّنُ أَنَّ تَارِكَ الزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ لَيْسَ كَافِرًا يَسْتَوْجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِواستدل بقوله ﷺ في الحديث:« حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » كما في الصحيحين، فدل على أنه يمكن أن يدخل الجنة، ولو كان مرتداً ما قيل ذلك في حقه ذلك ، وقد قال ﷺ:«.. **وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ، عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ** »أخرجه أبو داود(١٥٧٥) بسندٍ حسن ولو كان بذلك مرتداً بذل لوجب قتله لا أخذ الزكاة من ماله فحسب.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) .

دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[(١)].أي في أمرِ سرائِرِهم[(٢)].

وقد قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]:

يُؤْخَذُ مِنْهُ تَرْك تَكْفِيرِ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُقِرِّينَ بِالتَّوْحِيدِ الْمُلْتَزِمِينَ لِلشَّرَائِعِ ، وَقَبُول تَوْبَة الْكَافِرِ مِنْ كُفْره، مِنْ غَيْرِ تَفْصِيل بَيْن كُفْرٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ .

وفاعلُ الكبيرةِ لا يُخلَّدُ في النارِ لأنه مازالَ مُحتفِظًا بأصلِ الإيمانِ مادام لم يدخلْ مع الذنبِ استحلالٌ ونحوه

ويؤيدُ أنَّ فاعلَ الكبيرةِ لا يُخَلَّد في النارِ حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : **«بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا تَسْرِقُوا وَلا تَزْنُوا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»**[(٤)].

---

(١) صحيح : تقدم .

(٢) وانظر لزامًا غير مأمور كتابنا «التوضيحات» .

(٣) في «فتح الباري» (١/ ٩٨).

(٤) صحيح أخرجه البخاري (١٨) ، ومسلم (١٧٠٩)

=

والذي يموت وهو مُتصِفُ ببعض صفاتِ الجاهليةِ لا يُخَلَّدُ في النار ولا يكونُ بذلك كافرًا

لحَدِيثِ الْمَعْرُورِ قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلامِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : «**يَا**

=

فهذا الحديث مع الآية « **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**» يدلان على أن فاعل الكبيرة لا يُخَلَّد في النار وأنه ليس بكافر ، أما التوبة فتجبُّ ما قبلها حتى الشرك – إن قَبِلها الله – ، ولو كان فاعل الكبيرة كافرًا ما استحق عفو الله إن مات بغير توبة ، وقد تبين في الحديث أن أمره موكول إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ، فالله وعد أنه لا يغفر للمشرك كما في الآية ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ .

والمذهب الفاسد بتخليد أصحاب الكبائر في النار هو مذهب الرافضة والإباضية وأكثر الخوارج

قال البدر العيني رحمه الله **في «عمدة القاري»** (٨/ ٣) : القرآن نطق بتكذيبهم ... وذكر الآية وذكر حديث عثمان مرفوعًا «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» أخرجه مسلم (٦٣) وحديث أبي ذر مرفوعًا «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي أَوْ قَالَ : بَشَّرَنِي، أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ **قَالَ** : «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» ، وحديث « **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» وكلها أحاديث ثابتة في الصحيح باستثناء الأخير فإنه قويٌّ لشواهده تخريجه في كتابنا «جامع أحكام الميت» (١/ ٥١) .

قال الحافظ رحمه الله **في «الفتح»** : لا نعلم أحدًا كفَّر أحدًا بالزنى والسرقة وشرب الخمر – يعني ممن يعتد بخلافه – كذا في شرحه لحديث«**لا يزني الزاني ...**» السالف .

أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» (١).

ومعنى خَوَلُكُمْ: أي يعملون لكم وكلاء عنكم.

فإن النبي ﷺ لم يأمرْه بالنطقِ بالشهادتين ثانية والاغتسال(٢)

وما ذكرنا ليس فيه تهوين لأمور الجاهلية ، بل الذم لها ولمن اتصفَ بها كائن .

ويخرُجُ مِن النارِ أقوامٌ بعدما احترقوا وصاروا فحمًا ينبتهم الله ثمَّ يدخلهم الجنةَ

ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سمع من رسول الله ﷺ بِأُذُنِهِ يَقُولُ : **«إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»**(٣).

وفي رواية :

«إِنَّ قَوْمًا يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا إِلاَّ دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ حَتَّى

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠) وبوب له بباب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك .

(٢) وحديث أبي ذر هذا فيه دليل على أن المؤمن قد يتلبس ببعض صفات الجاهلية مع علو منزلته

في الإيمان والتقوى والكرامة والرفعة كما حصل من أبي ذر رضي الله عنه .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٩١) .

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»[١].

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﵁ عن رسول الله ﷺ قال : «**يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ . فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا - أَوِ الْحَيَاةِ ، شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»**[٢] وفي هذا ردٌ على الخوارج .

لا يكفرُ مسلم مُعيّن يثبتُ له حكمُ الإسلامِ وينزعُ عنه الإيمان إلا بعد بلوغ الحجةِ التي يكفَّر بها المخالف لها .

لعموم قوله ﷻ :﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ [الإسراء:١٥] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** ﴾ [القصص : ٥٩] .

وهذا أصلٌ لا خلافَ فيه

أنَّه لا يَكْفُرُ إلا بَعْدَ قِيامِ الـحُجَّةِ عَلَيْهِ قِيَامًا صَحِيحًا لا لَبسَ فِيهِ عِنْدَه، ولـمَّا ظَنَّ أُسَامةُ – مُتَأوِّلاً – أنَّ الرجلَ قَالَ لا إله إلا الله تَقِيةِ فَقَتَلَه لم يَقُدْ منه ﷺ كَمَا في حَدِيثِه في الصَحِيحَيْنِ وغَيْرِهِمَا لأنَّ أُسَامَةَ كَانَ مَعذُورًا لم تقُمْ

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٩١) ومعنى الحديث أن النار لا تأكل دارة الوجه لكونها محل السجود

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٢) .

الحُجَّة للقَوْدِ منه .

والأئِمَةُ وإنْ غَلَّظوا عَلَى قَائِلِ مَقَالَتِهِ أَوْ كَفَّروهُ فِيهَا فَلا يُعْتَبَرُ هَذَا حُكْمًا عَامًّا فِي كُلِّ مَنْ قَالَهَا إلا إذَا حَصَلَ فِيهِ الشَّرْطُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ التَّغْلِيظَ عَلَيْهِ وَالتَّكْفِيرَ لَهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَكَانَ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالإِسْلامِ أَوْ نَاشِئًا بِبَلَدِ جَهْلٍ لا يَكْفُرُ حَتَّى تَبْلُغَهُ الْحُجَّةُ النَّبَوِيَّةُ [(١)] .

ولذا صحَّ أنْ يقولَ بعضُ أهلِ العلمِ في مناظراتِه لخصومِه – وهو شيخُ الإسلامِ [(٢)]– للجهمية مِن الحلوليةِ والنفاةِ الذين نفوا أنَّ الله ﷻ فوق العرش لـمَّا وقعَتْ محنتهم :

«أنا لو وافقتكم كنتُ كافرًا لأني أعلمُ أنْ قولَكم كفر وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جُهَّال وكان هذا خطابًا لعلمائهم و قضاتهم و شيوخهم وأمرائهم ...» [(٣)] .

وقال في موضع آخر [(٤)]:

حَقِيقَةُ الأَمْرِ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الْقَوْلَ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا فَيُطْلَقُ الْقَوْلُ بِتَكْفِيرِ

---

(١) كما أشار شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٦١) .

(٢) «في الرد على البكري» (٢/ ٤٩٤) ط. مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة .

(٣) فلم يقابل شيخ الإسلام لسعة علمه رحمه الله جهلهم وافتراءهم بالتكفير بمثله .

(٤) في «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٣٤٥) وبنحوه في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦١٩) ، و «الإيمان الأوسط» ص٢٣٠ ، و «مختصر الفتاوى المصرية» (١/ ٥٩).

صَاحِبِهِ وَيُقَالُ مَنْ قَالَ كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ لَكِنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ الَّذِي قَالَهُ لا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ تَارِكُهَا...[١]

وقاتلُ نفسه فاعلٌ لكبيرةٍ ويمكن أنْ يغفرُ الله له، ولو كانَ كافرًا لخلّدَ في النارِ؛ فلا يُزال عنه أصل الإيمانِ

وحُجَّةُ المُخالف:

حديث أبي هريرة ﷺ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : «**مَنَ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِى يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**»[٢].

والاستدلالُ به على تخليدِ قاتل نفسِه في النارِ فيه نظرٌ .[٣]

---

(١) وقال عمَّن أمرَ بنيه بحرقه: « فَهَذَا رَجُلٌ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ وَفِي إعَادَتِهِ إذَا ذُرِّيَ ، بَلْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ لا يُعَادُ ، وَهَذَا كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، لَكِنْ كَانَ جَاهِلاً لا يَعْلَمُ ذَلِكَ وَكَانَ مُؤْمِنًا يَخَافُ اللَّهَ أَنْ يُعَاقِبَهُ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ. وَالْمُتَأَوِّلُ مِنْ أَهْلِ الاجْتِهَادِ الْحَرِيصُ عَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ أَوْلَى بِالْمَغْفِرَةِ مِنْ مِثْلِ هَذَا » انظر «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٣١) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٧٨) ، ومسلم (١٠٩) .

(٣) فقَدْ تَمَسَّكَ بِهذا الحديثِ الْمُعْتَزِلَة وَغَيْرهمْ مِمَّنْ قَالَ بِتَخْلِيدِ أَصْحَاب الْمَعَاصِي فِي النَّار ، وَأَجَابَ أَهْل السُّنَّة عَنْ ذَلِكَ بِأَجْوِبَةٍ :

مِنْهَا : تَوْهِيم هَذِهِ الزِّيَادَة ، قَالَ التِّرْمِذِيّ بَعْد أَنْ أَخْرَجَهُ بِرقم (٢٠٤٤) : رَوَاهُ مُحَمَّد بْن عَجْلان عَنْ سَعِيد الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة فَلَمْ يَذْكُر خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أبدًا وهكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وهذا أصح لأن الرويات إنما تجيء بأن أهل =

يؤيده ما أخرجه مسلم [(١)] أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِىَّ أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِى حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنَعَةٍ ؟ قَالَ : حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِى الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِىُّ ﷺ لِلَّذِى ذَخَرَ اللَّهُ لِلأَنْصَارِ فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ فَمَرِضَ فَجَزِعَ فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِى مَنَامِهِ فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُ : مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ ؟ فَقَالَ : غَفَرَ لِى بِهِجْرَتِى إِلَى

=

التوحيد يعذبون في النار ثم يخرجون منها ، وما يذكر أنهم يُخلَّدون فيها وَهُوَ أَصَح الرِّوَايَات .

وَأَجَابَ غَيْره بِحَمْلِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ اِسْتَحَلَّهُ ، فَإِنَّهُ يَصِير بِاسْتِحْلالِهِ كَافِرًا وَالْكَافِر مُخَلَّد بِلا رَيْب.

وَقِيلَ: وَرَدَ مَوْرِد الزَّجْر وَالتَّغْلِيظ ، وَحَقِيقَته غَيْر مُرَادَة .

وَقِيلَ: الْمَعْنَى أَنَّ هَذَا جَزَاؤُهُ ، لَكِنْ قَدْ تَكَرَّمَ اللَّه عَلَى الْمُوَحِّدِينَ فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ النَّار بِتَوْحِيدِهِم

وَقِيلَ: التَّقْدِير مُخَلَّدًا فِيهَا إِلَى أَنْ يَشَاء اللَّه .

وَقِيلَ: الْمُرَاد بِالْخُلُودِ طُول الْمُدَّة لا حَقِيقَة الدَّوَام كَأَنَّهُ يَقُول يَخْلُد مُدَّة مُعَيَّنَة ، وَهَذَا أَبْعَدهَا.

حكاه الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٧٩) .

قلت «محمد» : والحديث الآتي يؤيد ذلك .

(١) برقم (١١٦) وبوَّب النووي له بباباً الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر .

نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ ؟ قَالَ: قِيلَ لِي لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ.

فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**»

وقد مُنعَ النبي ﷺ أنْ يستغفرَ للكفارِ الذين ماتوا كفار فلو كان كافرًا ما جاز أن يستغفر له رسول الله ﷺ (١).

قال الله ﷻ ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [التوبة:١١٣] .

فلو كان الرجلُ بقتلِه لنفسه كافرًا ما جاز للنبي ﷺ أنْ يستغفرَ له وليقول: «**اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ**»(٢).

---

(١) وليس معنى هذا أنه لا يُعذب مطلقًا ففي حديث ثابت بن الضحاك مرفوعًا قال : «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» الذي أخرجه البخاري (٦١٠٥) ، ومسلم (١١٠)، ففيه دليل على أنه يعذب بالآلة التي قتل نفسه بها ، والله أعلم .

(٢) وحديث سهل بن سعد الذي أخرجه البخاري (٢٨٩٨) ، ومسلم (١١٢) بشأن الرجل الذي استعجل الموت لما جرح جرحًا شديدًا فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على نفسه فقتل نفسه ، ولما أخبر النبي ﷺ «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». ليس فيه تناول لتخليد قاتل نفسه في النار أو عدمه فتنبه .

ولا يقال: إنه لم يكفر بسبب الهجرة، فلم يقل بذلك أحد من أهل العلم لله والهجرة لا تمنع الحكم بلردة على الشخص إذا فعل موجبه وقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر.[١]

وَمَنْ حملَ السلاحَ على المؤمنين أو غشَّهم أو لمْ يرحمْ صغيرَهم ويُوقِّرْ كبيرَهم فليس على هديهم ولا على طريقتِهم[٢].

وهذا هو المفهوم عند أهل السنة من الأحاديث الآتية:

حديثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**»[٣].

---

(١) ويؤيِّده ما أخرجه مسلم(٩٧٨) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ» والمشقص: سهم عريض. وفي رواية النسائي(٢١٠٢):« **أَمَّا أَنَا فَلَا أُصَلِّي عَلَيْهِ** » جوز لهم أن يصلُّوا عليه وأما هو فامتنع قال النووي في «شرح مسلم » :« قَالَ الْقَاضِي مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً الصَّلَاةُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمَحْدُودٍ وَمَرْجُومٍ وَقَاتِلِ نَفْسِهِ وولد الزنى».

ولو كان كافراً ما جازت الصلاة عليه.

(٢) ولا يكفَّر بمثل ذلك ما لم يستحله .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٧٠) ، ومسلم (٩٨) وهو في الصحيحين عن أبي موسى وغيره.

وحديث أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ[١] طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ : «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ**» قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَىْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّا**»[٢].

عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»[٣].

فقوله ﷺ «**مَنْ خَبَّبَ عَلَى امْرِئٍ زَوْجَتَهُ ، أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا**» **وقوله** ﷺ «**مَنْ حَمَلَ السِّلاَحَ عَلَيْنَا فَلَيْسَ مِنَّا**» **وقال** ﷺ «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»[٤] **وقوله** ﷺ «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ وَلَطَمَ الْخُدُودَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»

معناه أنه : ليس على طريقة النبيِّ ﷺ وهديهِ ، وليس المعنى أنَّه إذا لم يعملْ هذه الأعمالَ يكونُ مثلَ النبيِّ ﷺ ولو عملَ أعمالَ البرِّ كلَّها فتنبَّه.

والمعنى كما قالَ عبد الرحمن بن مهدي الذي أُعجبَ به الإمام أحمد :

مَنَ عملَ هذه الأعمالَ كانَ مثلَ الجاهلية وعملهم ، وليس فِعلُه من فِعلِ

---

(١) الصبرة : هي الكومة المجموعة من الطعام.

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٠٢) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٩٧) ، ومسلم (١٠٣) .

(٤) وكلها أحاديث ثابتة .

أهلِ الإسلامِ [١].

وسَلَمَ الإمام الزهري لَمَّا سُئِلَ عن مثل هذه الأحاديثِ التي فيها «**ليس منا من فعل كذا ...**» ونحوها قال : «من الله ﷻ العلم وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم» [٢].

ومَن خرجَ مِن الإيمانِ بالكلية كانَ مثلَ الكافرِ ، فلا يقبلُ اللّهُ منه صرفًا ولا عدلاً ، وإنْ عملَ خيرًا في الدنيا جوزي به في الدنيا حتى إذا قدم الآخرة لمْ يَكُنْ له شيء من الحسناتِ

لحديثِ أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِى الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِى الآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِى الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**» [٣].

وقالت عائشة رضي الله عنها : يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ [٤] ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ ؟ قَالَ : «**لاَ يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ**

(١) انظر «السنة» للخلال (١/ ٤٥٦) وما بعدها .

(٢) أخرجه الخلال في «السنة» (١٠٠١) بإسناد صُحح إليه .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٠٨) وبوَّب له النووي بباب «جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا» .

(٤) وعند ابن حبان (٣٣٠) «كان يقري الضيف ويحسن الجوار» ، وعند أحمد (٦/ ١٢٠)

=

يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»(١)

=

وأبي عوانة (٣٩٠) «ويفك العاني» ، وعند أبي يعلى (٤٦٧٢) «ويكف الأذى» والأسانيد ثابتة بهذه الألفاظ .

(١) صحيح أخرجه مسلم (٢١٤) .

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ :

أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْكَافِر الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْره لا ثَوَاب لَهُ فِي الآخِرَة ، وَلا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَله فِي الدُّنْيَا ، مُتَقَرِّبًا إِلَى الله تَعَالَى ، وَصَرَّحَ فِي هَذَا الْحَدِيث بِأَنَّهُ يُطْعَم فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنْ الْحَسَنَات ، أَيْ : بِمَا فَعَلَهُ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى الله تَعَالَى مِمَّا لا يَفْتَقِر صِحَّته إِلَى النِّيَّة ، كَصِلَةِ الرَّحِم وَالصَّدَقَة وَالْعِتْق وَالضِّيَافَة وَتَسْهِيل الْخَيْرَات وَنَحْوهَا ، وَأَمَّا الْمُؤْمِن فَيُدَّخَر لَهُ حَسَنَاته وَثَوَاب أَعْمَاله إِلَى الآخِرَة ، وَيُجْزَى بِهَا مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي الدُّنْيَا ، وَلا مَانِع مِنْ جَزَائِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة ، وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْع بِهِ فَيَجِب اِعْتِقَاده .



الحب في الله

وعلاقته

بالإيمان

الحبُّ في اللّه والبُغضُ في اللّه مِن الإيمانِ[(١)] **الذي تدرَك حلاوته وطعمه**

والحبُّ في اللّه مِن لوازمِ عقيدةِ الولاءِ والبراءِ .

والحب للّه أنْ لا يحب المحبوبَ طمعًا في الدنيا، أو نحوها.

أخرجَ النسائي وأحمد وغيرهما بإسنادٍ صحيحٍ على شرطِ مسلم مِنْ طِريقِ مَنْصُورٍ عن طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ وَطَعْمَهُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عز وجل وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ وَأَنْ يَبْغُضَ فِي اللَّهِ ، وَأَنْ تُوقَدَ نَارٌ عَظِيمَةٌ فَيَقَعَ فِيهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا**»[(٢)].

وفي حديثِ أَبِى أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[(٣)].

---

(١) قاله البخاري في صدر كتاب الإيمان، وفي سنن أبي داود (٤٥٩٩) من حديث أبي ذر «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله» وفي إسناده مبهم .

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٥٠٠٢) وفي «الكبرى» (١١٧١٨) عن جرير بن عبد الحميد ، وأحمد (٣/ ٢٠٧ ، ٢٧٨) عن شعبة كلاهما عن منصور عن طلق به وإسناده ثابت وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٢/ ١٩٩) من طريق الثوري عن أبيه عن طلق عن أنس به ، وهو في صحيح البخاري (١٦) ومسلم (٤٣) من حديث أنس بنحو من ألفاظه لكن ليس فيهما لفظة «وطعمه» وفي رواية مسلم (٤٣):« **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ** » .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٥٨) وأبو داود (٤٦٨٣) ، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٧٧)
=

وكيف يحبُ المرءُ لغيرِ اللهِ وهو ﷻ الذي ألَّف بينَ القلوبِ تأليفًا لا يأتي بإنفاقِ ما في الأرض على ذلك لو جُمع.

قال الله ﷻ : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

فهو ﷻ الذي ألَّفَ بينَ قلوبِ المُتحابِّين فأصبحوا بنعمتِه إخوانًا.

وانظرْ مَن تحب ؟!! فأنت معه في الآخرة

ففي حديثِ أنس ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَتَى السَّاعَةُ : قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**» قَالَ : حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ : «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» (١).

ولذلكَ كانَ أوثقَ عرى الإسلامِ الحبَّ في اللهِ والبغضَ في الله

وقدْ وردَ عن رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ حديثِ ابنِ مسعودٍ : «**يَا ابْنَ مَسْعُودٍ**» قُلْتُ : لَبَّيْكَ ثَلاثًا قَالَ : «**هَل تَدْرِي أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟**»

قُلْتُ : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال : «**الْوَلاَيَةُ فِي اللهِ والْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ**

=

رقم (٧٧٣٧) وغيرهم من طرق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة وإسناده لا بأس به لحال القاسم بن عبد الرحمن .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٨٨) ، ومسلم (٢٦٣٩) .

فِي اللهِ ...» الحديث وهويُحسن لشواهده إن شاء الله [(١)].

(١) وقد ورد هذا الحديث من طرق أحسنها إسنادًا ما أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٧١) رقم (١٠٣٥٧) حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي – وهو أبو يعقوب وثقه الدارقطني كما في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٨٤) – قال ثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم حدثني بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ فذكره .

وهذا إسناد يحسن إن شاء الله على لين في بكير بن معروف ، وبقية رجاله لا يقل أحد منهم عن رتبة من يحسن حديثه ، وعبد الرحمن سمع من أبيه – على الراجح – كما حررته في كتابي «تذكير الأنام بصلة الأرحام» تحت حديث له هناك ص (٧٧) ، فلا إشكال في تقويته لولا تدليس الوليد فإنه يدلس ويسوي ، ولم يصرح في جميع طبقات السند بالسماع .

وله شاهد آخر بلفظ « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٦٩ ، ٧/ ٨٠) ، وفي «الإيمان» (١٠٦) والطيالسي في «مسنده» (٧٤٧) من طريق ليث – وهو ابن أبي سليم عن عمرو بن مرة عن معاوية بن سويد بن مقرن عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ ... فذكره .

ورجاله ثقات سوى ليث وهو يصلح في الشواهد والمتابعات .

وقد رواه أبو اليسع المكفوف عن عمرو بن مرة مرسلاً ؛ أخرجه وكيع في «الزهد» (٣٢٩) ، ورواه أبو أسامة عنه عن عمرو بن مرة عن عطاء أبي حمزة عن رسول الله ﷺ كما عند البخاري في «الكنى» (٨٠٢) ، والآفة منه ، فقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله عن أبيه كما في «الجرح والتعديل» (٩/ ٤٥٨) : يكتب حديثه وقال : سئل أبو زرعة عن اسمه؟ فقال : «لا أعرف اسمه»، ويبدو لي أن ليثًا خيرًا منه والله أعلم ورأيت في «الميزان» ، و«اللسان» أيوب بن سليمان أبو اليسع المكفوف قال الأزدي : «غيرحجة» فلا أدري هل هو هذا أم لا .

وثم شواهد وطرق أخرى لا تسرّ حبيب ولا تنفع.

=

والحبُّ في اللّهِ مِن ثمراتِ الإيمان

وللحبِّ في اللّهِ فضائلُ، منها : محبةُ اللّهِ للمتحابين وإظلالُهم في ظلِّ عرشِ

=

فأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمـان» (٣٠) ، و «المصـنف» (٦/ ١٧٢) و «مسـنده» (٣٢١) ، والطيالسـي (٣٧٨) ، والطبرانـي في «الصـغير» (٦٢٤) ط. المكتـب الإسـلامي ، و«الكـبير» (١٠/ ٢٢٠) رقم (١٠٥٣١) ، والحاكم (٢/ ٤٨٠) ، والبيهقـي في «الكـبرى» (١٠/ ٢٣٣) ، و«الآداب» (١٧٧) من طريق عقيل الجعدي عن أبي إسحاق عن سويد بـن غفلـة عـن ابـن مسعود ، وعقيل منكر الحديث كما قال البخاري ، وأبو حاتم الرازي ، وابن حبان .

وقد أخرج العقيلي في «الضعفاء» الحديث في ترجمته وقال :

«حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا به» وقـد قـال أبـو حـاتم في «العلـل» (١/ ٦٩٣) : «نفـس الحديث منكر لا يشبه حديث أبي إسحاق» ، وقد سقط عقيل ومـن فوقـه مـن الإسـناد مـن «الإيمان» لابن أبي شيبة

وله شاهد عن ابن عباس ؛ أخرجه الطبراني (١١/ ٢١٥) رقم (١١٥٣٧) بنحو من الألفـاظ وفي إسناده حنش وهو متروك .

وشاهد آخر يرويه مجاهد واختلف عليه

فروي عنه مرسلاً عند ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠٧) ، و «المصنف» (١٦٩) .

وروي عنه عن أبي ذر – من وجه ضعيف عنـه – أخرجـه البـزار في «مسـنده» (٩/ ٤٥٥) ، وقال: « لا نعلم سمع مجاهد من أبي ذر» .

ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١٢٢٣) من هذا الوجه وقال:«لا يصح».

وروى عنه– من وجه ضعيف أيضًا – عـن رجـل عـن أبـي ذر؛ أخرجـه أحمـد (٥/ ١٤٦) ، وأبوداود (٤٥٩٩)، وثَمَّ شواهد وطرق أخرى متكلم فيها، وعلى أي حـال فالحـديث ثابـت يحسن بشواهده التي في صدر التخريج، والله أعلم .

الرحمن ﷻ ووضع كراسي لهم من نور يوم القيامة

لحديث أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلانِيِّ قَالَ : أَتَيْتُ مَسْجِدَ أَهْلِ دِمَشْقَ ، فَإِذَا حَلْقَةٌ فِيهَا كُهُولٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِذَا شَابٌّ فِيهِمْ أَكْحَلُ الْعَيْنِ بَرَّاقُ الثَّنَايَا كُلَّمَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوهُ إِلَى الْفَتَى- فَتًى شَابٌّ - قَالَ : قُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي: مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ : فَجِئْتُ مِنْ الْعَشِيِّ فَلَمْ يَحْضُرُوا قَالَ: فَغَدَوْتُ مِنْ الْغَدِ قَالَ : فَلَمْ يَجِيئُوا فَرُحْتُ فَإِذَا أَنَا بِالشَّابِّ يُصَلِّي إِلَى سَارِيَةٍ فَرَكَعْتُ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ إِلَيْهِ قَالَ : فَسَلَّمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ : إِنِّي لأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ قَالَ : فَمَدَّنِي إِلَيْهِ قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ؟، قُلْتُ : إِنِّي لأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ يَقُولُ : «**الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ**» قَالَ : فَخَرَجْتُ حَتَّى لَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَذَكَرْتُ لَهُ حَدِيثَ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ يَقُولُ : «**حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ**» [(١)].

وفي صحيح مسلم مِن حَديثِ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ : «**أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ**[(٢)] **مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِى فِى هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦ - ٢٣٧) بإسناد صحيح رجاله ثقات .

(٢) مدرجته أي طريقه .

تَرُبُّهَا قَالَ : لاَ غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ : فَإِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» [(١)].

وعنه قال : قال ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**[(٢)]»[(٣)].

والسبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله : «رجلين تحابا في الله» .

والمتحابون آمنون يوم القيامةِ لا يخافون إذا خَافَ الناسُ ولا يفزعون إذا فزعَ الناسُ

فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ ﷺ : «**إِنَّ مِنْ العِبَادِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ**» قَالَ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَمْوَالٍ ولا أَنْسَابٍ وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابرَ مِن نُور لا يَخَافُونَ إِنْ خَافَ النَّاسُ وَلاَ يَحْزَنُونَ إِنْ حَزِنَ النَّاسُ ...**» الحديث [(٤)] .

والحبُ في اللهِ سببٌ لإيجاد طعمِ حلاوةِ الإيمان

فقدْ أخرجَ الإمامُ أحمدُ بإسنادٍ حسن مِن حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النبيِّ ﷺ أنه

---

(١) أخرجه : مسلم برقم (٢٥٦٧) .

(٢) والظل : ظل العرش لوروده في طرق أخرى مقيدًا به وسيأتي تحرير ذلك في مبحث مستقل.

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٦٦) .

(٤) أخرجه : النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٦٢) رقم (١١٢٣٦) ، وابن حبان (٥٧٣) وغيرهما بإسنادٍ صحيحٍ .

قالَ : «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ ﷻ**»[١].

والحُبُّ في اللهِ طريقٌ يوصِّلُ إلى الجنَّةِ

فقدْ أخرجَ مسلم في «صحيحه» مِن حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلن تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ؛ أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**»[٢].

ومَنْ أحبَّ أخاه في اللهِ فلْيُخبرْه ، فلذلكَ جميلُ الأثرِ مِن تقويةِ بواعثِه وزيادةِ المحبةِ ، وتحريكِ قلبِ الأخرِ لتبادُلِ المحبةِ ....

فقد تقدمَ قولُ أبي مسلم لمعاذ:« **إني لأحِبُّك في اللهِ**...»

وقد قال مُعَاذُ بْنِ جَبَلٍ ﷺ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي ، فَقَالَ : «**إِنِّي لأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ**» ، فَقُلْتُ : وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**فَلا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي دبر كُلِّ صَلاةٍ رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[٣] فهو دليل على المراد .

وفي «الزهد» لابن المبارك بإسنادٍ لا بأس به رواه عَنْ ابْنِ لَهِيعَةَ قَالَ أَخْبَرَنا

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٨) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٥٤) .

تنبيه : وهذا الحديث يفيد أن الإيمان يزيد وينقص ، إذ معنى الحديث : لا يكتمل إيمانكم حتى تحابوا وقد تقدمت المسألة .

(٣) كما أخرجه النسائي (١٢٢٦) ، وأبو داود (١٥٢٢)، وابن حبان (٢٠٢٠) وإسناده قوي .

يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ أَبَا سَالِمٍ الْجَيْشَانِيَّ أَتَى إِلَى أَبِي أُمَيَّةَ فِي مَنْزِلِهِ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ : إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ فَلْيَأْتِ فِي مَنْزِلِهِ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ فِي اللَّهِ تعالى فَقَدْ جِئْتُكَ فِي مَنْزِلِكَ**»[1].

وقد قال ﷺ لِمن علمَ أنه يُحبُّ أخاه : «**أَعْلَمْتَهُ**» قَالَ : لا ، قَالَ : «**قُمْ فَأَعْلِمْهُ**» فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَه فَقَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ[2].

وأنتَ ترى كيف أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ بادلَ معاذًا الشعور فلْيُفْعَلْ

فكل منهما بادَل الشعور للآخر، معاذ قال للنبيﷺ كما قال النبي ﷺ لمعاذ، فدله على دعاء يجمع له بين خيري الدنيا والآخرة .

وتمام حديث معاذ:

«وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ وَأَوْصَى الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَأَوْصَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ» وهم رواة الحديث[3].

فليوص الناس بعضهم بعضًا لفشو المحبة بين المسلمين.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في«الزهد»(٧١٢) وأحمد (٥/ ١٧٣) والخرائطي في«اعتلال القلوب» (٤٦٥) ورواية ابن المبارك عن ابن لهيعة صحيحة.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٠) وهو عند بعض أصحاب السنن وغيرهم، وإسناده على شرط مسلم.

(٣) كما في رواية أحمد (٥/ ٢٤٤)

ولْيُعلمْ أنَّ أفضلَ المُتحابِّين ما كانَ أشدّهما حبًّا لصاحبِه قال ﷺ :

«مَا تَحَابَّ رَجُلاَنِ فِي اللهِ، إلاَّ كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ».(١)

وهذه المحبةُ إذا حصلت بين المتحابِّين فإنما تؤثِّر فيها الذنوبُ يُذنبُها أحدُهما فيفرق بينهما

وقد وردَ عَنْ رَسُولِ ﷺ «وَالَّذِى نفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،مَا تَوادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إلاَّ بِذَنبٍ يُحْدِثُهُ أحَدُهُمَا».(٢)

---

(١) حديث لا بأس به إن شاء الله ؛ أخرجه ابن الجعد في «الجعديات» (٣١٦٢) ، وعنه أبو يعلى (٣٤١٩) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٤) ، والطيالسي (٢٠٥٣) من طريق مبارك بن فضالة عن ثابت البناني عن أنس مرفوعًا به، وقد صرّح مبارك بالتحديث من ثابت فانتفت تهمة تدليسه لكنه كان يسوي ، ولم يصرح بالسماع في جميع طبقات السند ، لكن يغلب على الظن أنه لم يسقط أحدًا .

وتابع مباركًا عبدَ الله بن الزبير الحميدي أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٨٩٩) ثنا إبراهيم قال حدثنا نصر قال حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي به.

وتابعه أيضًا حماد بن سلمة عن ثابت. أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٩/ ٤٤٦)ط دار الكتب . من طريق عبد الله بن الحسين بن علي البجلي الصفار حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به وقال :«تفرد الصفار بحديث عبد الأعلى بن حماد، وإيصاله وهم على حماد بن سلمة لأن حمادًا إنما يرويه عن ثابت عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : كنا نتحدث أنه ما تحاب رجلان في الله ، وذلك يحفظ عنه فلعل الصفار سها وجرى على العادة المستمرة في ثابت عن أنس» .

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٠١) حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني ابن وهب قال أخبرني عمرو عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله ﷺ =

فتفقَّدْ نفسَك لئلا يكون الذنبُ منك وتُبْ إلى الله ﷻ ولا تُسَوِّف، والكيس من دان نفسه، والعاجز من أتبع نفسه هواها، والله الموفق .

ولئن كان الحديثُ بهذا في إسنادِه كلامٌ لكن معناه صحيح وله شواهد يحسن بها إن شاء الله [١].

فالمحبةُ في اللهِ نعمةٌ تُزيلُها المعصيةُ كما في«القاعدة العامة».و«**قل هو من عند أنفسكم**» والله أعلم.

وإنما يُحَبُّ الإنسان على قدرِ طاعته كما يبغضُ على قدر معصيته .

وهذا هو المقصود من عقيدة الولاء والبراء

وقدْ أخرجَ البخاريُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»

=

قال : فذكره ، بلفظ: «ما تواد اثنان في الله ﷻ أو في الإسلام فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما» وفي سنان كلام شديد.

وله شاهد آخر أخرجه أحمد (٢/ ٦٨) عن ابن عمر فيه ضعف من قبل ابن لهيعة، وآخر عن أبي هريرة ﵁، وآخر أخرجه أحمد (٥/ ٧١) وفيه ضعف من قبل علي بن زيد بن جدعان .

(١) وقد قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٥٩٩) عن بعض هذه الشواهد : «إسناده جيد».

(١).

وقوله ﷺ «جنود مجندة» : إِشَارَة إِلَى مَعْنَى التَّشَاكُلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالصَّلاحِ وَالْفَسَادِ، وَأَنَّ الْخَيِّرَ مِنْ النَّاس يَحِنُّ إِلَى شَكْلِه، وَالشِّرِّير نَظِير ذَلِكَ يَمِيلُ إِلَى نَظِيرِه، فَتَعَارُفُ الأَرْوَاحِ يَقَعُ بِحَسَبِ الطِّبَاع الَّتِي جُبِلَتْ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ ، فَإِذَا اِتَّفَقَتْ تَعَارَفَتْ ، وَإِذَا اِخْتَلَفَتْ تَنَاكَرَتْ[٢] .

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا وَجَدَ مِنْ نَفْسِه نُفْرَة مِمَّنْ لَهُ فَضِيلَة أَوْ صَلاح فَيَنْبَغِي أَنْ يَبْحَثَ عَنْ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ لِيَسْعَى فِي إِزَالَتِه حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ الْوَصْفِ الْمَذْمُومِ ، وَكَذَلِكَ الْقَوْل فِي عَكْسه.

أحوال العصاة من أمة محمد ﷺ

والعصاةُ مِنْ أمَّةِ محمدٍ ﷺ على ثلاثِ طبقاتٍ

الأولى : قومٌ رجحَتْ حسناتُهم بسيئاتِهم فأولئك يدخلون الجنةَ من أوَّل وهلة فلا يعذبون على معاصي ؟ ، وهم المعنيون بقولِ الله ﷻ : ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٣٦) ، وهو في صحيح مسلم (٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) حكاه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٤٩) عن الخطابي .

مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٢] .

الثانية : قومٌ تساوَت حسناتُهم وسيئاتُهم وتكافأَتْ فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنةِ وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار وهؤلاء هم أصحابُ الأعرافِ الذين ذكرَ اللهُ تعالى أنهم يوقَفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة ، وهم المذكورون في قوله ﷻ : **﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾** [الأعراف:٤٨] .

الثالثة : قومٌ لقوا الله تعالى مصرِّين على كبائرِ الإثمِ والفواحشِ ومعهم أصل التوحيد فرجحت سيئاتهم بحسناتهم فهؤلاء هم الذين يدخلون النارَ بقدر ذنوبهم ، وهؤلاء هم الذين يأذنُ الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة والشهداء ومن شاء الله أن يكرمه [(١)] ، والمصر على الكبيرة لا يكفر عند أهل السنة.

كما قالَ ﷺ :

«...وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَبَه»[(٢)]وهؤلاء المشفوع لهم .

---

(١)«معارج القبول»(١/ ٤٢٢).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري في أول كتاب الإيمان ، وقد تقدم بتمامه .

وقوله ﷺ: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[١].

ودليل هذا التقسيم قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٢].

والحدودُ التي تُقامُ كفاراتٌ للذنوبِ[٢]

لَحديثِ عبادة بن الصامت أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «**وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ**»[٣].

وقال ﷺ للمتلاعنين : «**عَذَابُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ**».

وهذا يدلُّ على أنَّ اللهَ لا يثنيِّ على العبد عقوبة فإذا عوقبَ بالذنب في الدنيا رُفِعَت عنه العقوبة في الآخرة [٤].

ويؤيد هذا قول أبي محجن الثقفي أمام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما كان يحدّه لشربه الخمر، ثم ترك قيام الحد عليه لكونه نفع الله به المسلمين في جهاده

---

(١) صحيح : وقد خرجته في «الفوائد النيرة» .

(٢) ولهذا ذهب أكثر أهل العلم إلى الصلاة على المحدود وهو الراجح .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٨) ، ومسلم (١٧٠٩) .

(٤) وفي ذلك نزاع مبني على تصحيح حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يدري أهي كفارات أم لا ، وقد أجبت على إشكالات على المسألة رواية ودراية في كتابي «تبصير النساء» (٥/ ٤٢٤ – ٤٢٥) الطبعة الأولى .

في بعض الغزوات.

قال أبو محجن:

«قَدْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا إِذْ يُقَامُ عَلَيَّ الْحَدُّ، وَأَطْهُرُ مِنْهَا، فَأَمَّا إِذَا بَهْرَجْتَنِي فَلا وَاللَّهِ لا أَشْرَبُهَا أَبَدًا»(١).

فلم ينكر علية سعد رضي الله عنه قوله حين قال: قَدْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا إِذْ يُقَامُ عَلَيَّ الْحَدُّ، وَأَطْهُرُ مِنْهَا.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٩)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٠٢) بإسناد صحيح عن مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أُتِيَ سَعْدٌ بِأَبِي مِحْجَنٍ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَأَمَرَ بِهِ إِلَّا الْقَيْدَ ، قَالَ: وَكَانَ بِسَعْدٍ جِرَاحَةٌ ، فَلَمْ يَخْرُجْ يَوْمَئِذٍ إِلَى النَّاسِ قَالَ: فَصَعِدُوا بِهِ فَوْقَ الْعُذَيْبِ لِيَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ ، قَالَ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ عُرْفُطَةَ ، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ قَالَ أَبُو مِحْجَنٍ:

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُرْدَى الْخَيْلُ بِالْقَنَا ... وَأُتْرَكُ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا

فَقَالَ لِابْنَةِ خَصَفَةَ امْرَأَةِ سَعْدٍ أَطْلِقِينِي وَلَكِ عَلَيَّ إِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ أَنْ أَرْجِعَ حَتَّى أَضَعَ رِجْلِي فِي الْقَيْدِ ، وَإِنْ قُتِلْتُ اسْتَرَحْتُمْ، قَالَ: فَحَلَّتْهُ حِينَ الْتَقَى النَّاسُ، قَالَ: فَوَثَبَ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ يُقَالُ لَهَا: الْبَلْقَاءُ ، قَالَ ، ثُمَّ أَخَذَ رُمْحًا ثُمَّ خَرَجَ، فَجَعَلَ لَا يَحْمِلُ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْعَدُوِّ إِلَّا هَزَمَهُمْ ، قَالَ: وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا مَلَكٌ، لِمَا يَرَوْنَهُ يَصْنَعُ، قَالَ:وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ: الضَّبْرُ ضَبْرُ الْبَلْقَاءِ وَالطَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مِحْجَنٍ ، وَأَبُو مِحْجَنٍ فِي الْقَيْدِ، قَالَ، فَلَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ رَجَعَ أَبُو مِحْجَنٍ حَتَّى وَضَعَ رِجْلَيْهِ فِي الْقَيْدِ ، فَأَخْبَرَتْ بِنْتُ خَصَفَةَ سَعْدًا بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَا أَضْرِبُ الْيَوْمَ رَجُلًا أَبْلَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدَيْهِ مَا أَبْلَاهُمْ، قَالَ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو مِحْجَنٍ:قَدْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا حَيْثُ كَانَ يُقَامُ عَلَيَّ الْحَدُّ فَأَطْهُرُ مِنْهَا ، فَأَمَّا إِذَا بَهْرَجْتَنِي فَلَا وَاللَّهِ لَا أَشْرَبُهَا أَبَدًا.

حكم ساب الدين

وسابّ الدين كافر بالنص والإجماع مرتد خارج عن الدين .

قال ﷻ : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦].

ولا يَجُوزُ بدئه بالسَّلامِ ولا يُرَدُ عليه إنْ بدأَ ولا تُجابُ دعوته ويجب هجرُه هجرًا كاملاً حتى يتوبَ أو ينفذَ فيه حكمُ الله بالقتلِ من جهةِ وليِّ الأمرِ لقوله ﷺ : «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[(١)] .

والمنتسب إلى الإسلام إذا سب الدين؛ فقد بدل دينه، ومن تأمل في معنى سبه وجد ذلك، وإن كثيرًا منهم لا يعذر بجهله فإنَّ طلبه التوبة بعد سبه دليل على عدم جهله بأن الساب كافر.

فإذا مات لا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابرِ المسلمين ، بل يُلقى على المذبلة

وترك الفتوى بغير تفصيل في ذلك أحسن في الزجر والتزيل، ولتنزيل الأحكام على المعينين ضوابط، والله أعلم .

وفي «فتاوى اللجنة الدائمة» :

سبُّ الدينِ- والعياذ بالله - كفرٌ بواح بالنصِ والإجماعِ ؛ ثم ذكروا الآية

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠١٧) .

السالفة ثم قالوا : ويجبُ أنْ يُنصحَ ويُنكرَ عليه ذلك ، فالحمدُ لله، وإلا فلا يَجوزُ أنْ يُبدأَ من يَسبّ الدين بالسلام، ولا يُردّ عليه إن بدأَ، ولا تُجاب دعوته، ويجب هجرُه هجرًا كاملاً حتى يتوبَ أو يُنفذَ فيه حكم الله بالقتل من جهة وليِّ الأمر.[١]

وقالوا : سبّ دينِ الإسلامِ ردَّةٌ عظيمةٌ عن الإسلامِ إذا كان السابُّ ممن يدَّعي الإسلام[٢].

وقد سئل الشيخ: ما حكم المستهزئ بالدين أو ساب الدين أو الرسول ﷺأو القرآن العظيم هل يكفر ولو كان جاهلا؟

فقال الشيخ رحمه الله: « هذا الباب كغيره من أبواب الكفر يعلم ويؤدب فإن علم وعاند بعد التعليم والبيان كفر. وإذا قيل: لا يعذر بالجهل، فمعناه يعلم ويؤدب وليس معناه أنه يكفر».[٣]

ذلك أن كثيراً من الناس يسبُّون الدين وتجري هذه الكلمة على ألسنتهم، ولا نستطيع الحكم عليهم بالكفر، ثم نأمر بفسخ أنكحتهم من زوجاتهم، لأن هؤلاء يجهلون ما يترتب على التلفظ بالسَّبِّ من نتائج، ذلك أن السبَّ وقع منهم من غير قصد ولا إرادة، وما كان كذلك فإن الله سبحانه لا يؤاخذ عليه كما في يمين اللغو

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ١٢) .

(٢) «فتاوى اللجنة» (١/ ٤١٦ ، ٢/ ٢٢) .

(٣) فتاوي الشيخ عبد الرزاق عفيفي رقم (٧٩).

الذي يتلفظ به المرء وهو غير قاصد عقده بالقلب فقال تعالى :﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المائدة.

والسب الطلاق في إغلاق العقل بسبب شدة الغضب لا تترتب عليه آثاره.، لكونه لا يدري ما يخرج من رأسه.

ألم تر إلى الذي أخطأ من شدة الفرح الذي أغلق على قلبه فلم يدر ما يقول لما قال:« **اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ** ». [(١)]

وكما قال العباس رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ومعه علي بن أبي طالب –وكتن سكراناً قبل تحريم الخمر-:« هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي؟ فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ ثَمِلَ، فَنَكَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ القَهْقَرَى» .[(٢)]

لم يؤاخَذ لكونه ليس معه من العقل ما يميز به ما يقول، انسدَّ عنه الفهم.

فالسب بالدين كذلك.

وقال شيخ الإسلام في «الصارم المسلول»(١/ ٥٩):

« الفعل إذا آذى النبي من غير أن يعلم صاحبه أنه يؤذيه ولم يقصد صاحبه أذاه فإنه ينهى عنه ويكون معصية كرفع الصوت فوق صوته فأما إذا قصد أذاه وكان مما يؤذيه وصاحبه يعلم أنه يؤذيه وأقدم عليه مع استحضاره هذا العلم فهذا الذي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) في ذكر حديث الذ ذهبت ناقته التي عليها طعامه وشرابه، وقد أيقن بالموت، ثم رآها عند رأسه فهل فقال م فرحته ما قال.

(٢) أخرجه البخاري(٣٠٩١) ومسلم(١٩٧٩).

يوجب الكفر وحبوط العمل والله سبحانه أعلم».

وقال تلميذه ابن القيم في«إلام الموقعين»(٤/ ٣٢٢):

« الْكَلَامَ إذَا لَمْ يُرِدْ بِهِ قَائِلُهُ مَعْنَاهُ إمَّا لِعَدَمِ قَصْدِهِ لَهُ، أَوْ لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِهِ، أَوْ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ مَعْنَاهُ؛ لَمْ يَلْزَمْهُ مَا لَمْ يَرُدَّهُ بِكَلَامِهِ، وَهَذَا هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ، وَلِهَذَا لَمْ يَلْزَمْ الْمُكْرَهَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالْكُفْرِ الْكُفْرَ وَلَمْ يَلْزَمْ زَائِلَ الْعَقْلِ بِجُنُونٍ أَوْ نَوْمٍ أَوْ سُكْرٍ مَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَلَمْ يَلْزَمْ الْحَجَّاجَ بْنَ عِلَاطٍ حُكْمُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ مَعْنَاهُ، وَلَمْ يَعْقِدْ قَلْبَهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩] وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] فَالْأَحْكَامُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُرَتَّبَةٌ عَلَى مَا كَسَبَهُ الْقَلْبُ، وَعَقَدَ عَلَيْهِ، وَأَرَادَهُ مِنْ مَعْنَى كَلَامِهِ».

وهي وجهة نظر قوية لا تُعارض ما جاء في«فتاوي اللجنة الدائمة»

فإذا علم الساب معنى ما يقول أن ما يقول، وأنه يؤذي الله ورسوله، ومع ذلك قصده فيكفر، وهذا ما تقتضيه الشريعة، والله أعلم .


شعب الإيمان

شعب الإيمان

وللإيمان شعب وإن كان معرفة تعدادها ليس شرطًا في الإيمان ، لكن يكفي المؤمن أن يؤمنَ بها جملة . قال ﷻ : ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ**[١] **أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : ١٧٧].

وشعب الإيمان كثيرة

فقد قال ﷺ : «**الإِيمَانُ بِضْعٌ**[٢] **وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»[٣].

وكل ما يطاع الله ﷿ به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان كما قال ابن عبد البر[٤].

(١) البر : أي الإيمان .

(٢) والبضع من الإثنين إلى العشرة .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) وقد روى بلفظ (بضع وسبعون شعبة) وصححها بعض العلماء أيضًا .

(٤) في «التمهيد» (١٥/ ٤١) وقد قال ابن مندة في «الإيمان» (١/ ٣٣١) : «الإيمان هى الطاعات كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح» أ.هـ .

وهذه الشعب لا تخرج عن الكتاب والسنة

فعلى العبد امتثال أوامرها ، واجتناب زواجرها ، وتصديق أخبارها والعمل بسننها ، فمن استكمل هذه الشعب فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان.

والمقصود

أن الإيمانَ شعبٌ من استكملها فقد استكمل الإيمان كما كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ بن عميرة الكندي[1]:

إِنَّ لِلإِيمَانِ فَرَائِضَ[2] وَشَرَائِعَ[3] وَحُدُودًا[4] وَسُنَنًا[5] فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلْ الإِيمَانَ. فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ[6] حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا[7].

---

(١) وهو تابعي من أولاد الصحابة.

(٢) أي أعمالاً مفروضة.

(٣) وشرائع : أي عقائد دينية .

(٤) أي منهيات ممنوعة.

(٥) أي مندوبات .

(٦) يعني سيبين فروعها لا أصولها لأن أصولها كانت معلومة لهم مجملة كما حكى ذلك الحافظ الحافظ في «الفتح» (١/ ٦١) .

(٧) أخرجه بن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣٥) بإسناد صحيح عن عمر بن عبد العزيز وجزم به البخاري. وفي ذلك قول عمار بن ياسر رضي الله عنه : ثلاثٌ من استكملهن فقد استكمل الإيمان =

وها أنا بعد قليل أسردها سردًا بتعداد الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» مع سياق بعض الأدلة الصحيحة على كل شعبة على سبيل الإيجاز والاختصار وإلا فكل شعبة تحتاج إلى مؤلف خاص وهذا غيرمقصود هنا .

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ[1] :

تَكَلَّفَ جَمَاعَة مِن العلماءِ حَصْر شُّعَب الإيمان بِطَرِيقِ الاجْتِهَاد ، وَفِي الْحُكْم بِكَوْنِ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَاد صُعُوبَة ، وَلَمْ يَتَّفِق مَنْ عَدَّ الشُّعَب عَلَى نَمَط وَاحِد ... ثُمَّ لَخَّصَ الحافظ في الفتح ما أَوردَه فقالَ :

الشُّعَبُ تَتَفَرَّعُ عَنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ ، وَأَعْمَالِ اللِّسَانِ ، وَأَعْمَالِ الْبَدَنِ .

فَأَعْمَالُ الْقَلْبِ :

فِيهِ الْمُعْتَقَدَات وَالنِّيَّات، وَتَشْتَمِل عَلَى أَرْبَع وَعِشْرِينَ خَصْلَة:

الإِيمَان بِاَللَّهِ: وَيَدْخُل فِيهِ الإِيمَان بِذَاتِهِ وَصِفَاته وَتَوْحِيده بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء ، وَاعْتِقَاد حُدُوث مَا دُونه مما أخبره به، وَالإِيمَان بِمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبه ، وَرُسُله، وَالْقَدَر خَيْره وَشَرّه، وَالإِيمَان بِالْيَوْمِ الآخِر.

وَيَدْخُل فِيهِ اعتقاد :الْمَسْأَلَة فِي الْقَبْر، وَالْبَعْث، وَالنُّشُور، وَالْحِسَاب ،

=

الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالَم ، والانفاق من الاقتار أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣١) بإسناد ثابت عن عمار قوله وقد تقدم .

(١) فيما حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (١/ ٦٧-٦٨) .

وَالْمِيزَان، وَالصِّرَاط، وَالْجَنَّة وَالنَّار، وَمَحَبَّة اللَّه ، وَالْحُبّ وَالْبُغْض فِيهِ وَمَحَبَّة النَّبِيّ ﷺ ، وَاعْتِقَاد تَعْظِيمه ، وَيَدْخُل فِيهِ الصَّلاة عَلَيْهِ، وَاتِّبَاع سُنَّته ، وَالإِخْلاص .

وَيَدْخُل فِيهِ :

تَرْك الرِّيَاء وَالنِّفَاق، وَالتَّوْبَة، وَالْخَوْف، وَالرَّجَاء، وَالشُّكْر، وَالْوَفَاء، وَالصَّبْر، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَالتَّوَكُّل، وَالرَّحْمَة، وَالتَّوَاضُع.

وَيَدْخُل فِيهِ :

تَوْقِير الْكَبِير وَرَحْمَة الصَّغِير ، وَتَرْك الْكِبْر وَالْعُجْب ، وَتَرْك الْحَسَد ، وَتَرْك الْحِقْد ، وَتَرْك الْغَضَب .

وَأَعْمَال اللِّسَان :

وَتَشْتَمِل عَلَى سَبْع خِصَال :

التَّلَفُّظ بِالتَّوْحِيدِ ، وَتِلاوَة الْقُرْآن ، وَتَعَلُّم الْعِلْم وَتَعْلِيمه ، وَالدُّعَاء ، وَالذِّكْر ، وَيَدْخُل فِيهِ الاسْتِغْفَار ، وَاجْتِنَاب اللَّغْو .

وَأَعْمَال الْبَدَن :

وَتَشْتَمِل عَلَى ثَمَان وَثَلاثِينَ خُصْلَة ، مِنْهَا مَا يَخْتَصّ بِالأَعْيَانِ

وَهِيَ خَمْس عَشْرَة خُصْلَة :

التَّطْهِير حِسًّا وَحُكْمًا ، وَيَدْخُل فِيهِ اِجْتِنَاب النَّجَاسَات ، وَسَتْر الْعَوْرَة ، وَالصَّلاة فَرْضًا وَنَفْلاً ، وَالزَّكَاة كَذَلِكَ ، وَفَكّ الرِّقَاب ، وَالْجُود ، وَيَدْخُل فِيهِ

إِطْعَام الطَّعَام وَإِكْرَام الضَّيْف ، وَالصِّيَام فَرْضًا وَنَفْلاً ، وَالْحَجّ ، وَالْعُمْرَة كَذَلِكَ ، وَالطَّوَاف ، وَالاعْتِكَاف ، وَالْتِمَاس لَيْلَة الْقَدْر ، وَالْفِرَار بِالدِّين ، وَيَدْخُل فِيهِ الْهِجْرَة مِنْ دَار الشِّرْك ، وَالْوَفَاء بِالنَّذْر ، وَالتَّحَرِّي فِي الأَيْمَان ، وَأَدَاء الْكَفَّارَات .

وَمِنهَا مَا يَتعلَّق بِالاتِّبَاعِ ، وَهِيَ سِتّ خِصَال :

التَّعَفُّف بِالنِّكَاحِ، وَالْقِيَام بِحُقُوقِ الْعِيَال، وَبِرّ الْوَالِدَيْنِ، وَفِيهِ اِجْتِنَاب الْعُقُوق، وَتَرْبِيَة الأَوْلاد، وَصِلَة الرَّحِ، وَطَاعَة السَّادَة أَوْ الرِّفْق بِالْعَبِيدِ .

وَمِنهَا مَا يَتعلَّق بِالْعَامَّةِ وَهِيَ سَبْع عَشْرَة خُصْلَة :

الْقِيَام بِالإِمْرَةِ مَعَ الْعَدْل ، وَمُتَابَعَة الْجَمَاعَة ، وَطَاعَة أُولِي الأَمْر ، وَالإِصْلاح بَيْن النَّاس .

وَيَدْخُل فِيهِ :

قِتَال الْخَوَارِج وَالْبُغَاة ، وَالْمُعَاوَنَة عَلَى الْبِرّ .

وَيَدْخُل فِيهِ :

الأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنْ الْمُنْكَر وَإِقَامَة الْحُدُود ، وَالْجِهَاد ، وَمِنْهُ الْمُرَابَطَة ، وَأَدَاء الأَمَانَة ، وَمِنْهُ أَدَاء الْخُمُس ، وَالْقَرْض مَعَ وَفَائِهِ ، وَإِكْرَام الْجَار ، وَحُسْن الْمُعَامَلَة ، وَفِيهِ جَمْع الْمَال مِنْ حِلّه ، وَإِنْفَاق الْمَال فِي حَقّه ، وَمِنْهُ تَرْك التَّبْذِير وَالإِسْرَاف ، وَرَدّ السَّلام ، وَتَشْمِيت الْعَاطِس ، وَكَفّ الأَذَى عَنْ النَّاس ، وَاجْتِنَاب اللَّهْو وَإِمَاطَة الأَذَى عَنْ الطَّرِيق .

فَهَذِهِ تِسْع وَسِتُّونَ خصْلَة .

قلت«محمد»: ولم يذكر منها الحياء وهو ثابت في قوله ﷺ:«والحياء شعبة من الإيمان»

وَيُمْكِن عَدّهَا تِسْعًا وَسَبْعِينَ خصْلَة بِاعْتِبَارِ إِفْرَاد مَا ضُمَّ بَعْضه إِلَى بَعْض مِمَّا ذُكِرَ .

وعلى كلٍ ما ذُكر أدلة مفرَّقة ، فكل شعبةٍ من هذه الشعب في الحضِّ عليها أحاديث ، ولها فقه متعلق بها يَحتمل مصنفًا مستقلاً كما أشرنا من قبل .

والمقصود العلم بأن جميعَ الطاعات من شعب الإيمان[1] كما أن المعاصي كلها من شعب الكفر وقد سُمِّي كثير من الطاعات إيمانًا ومن المعاصي كفرًا في عدَّة نصوص .

ومراتب الإيمان متفاوتة :

بدليل قوله ﷺ في رواية مسلم : «**فَأَفْضَلُهَا قَولُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّريقِ**»[2]

وألفت النظر إلى قول شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله:

(١) وأكثر تبويبات البخاري في كتاب الإيمان حب الأنصار من الإيمان ، باب الحياء من الإيمان ... ونحو ذلك ويذكر أدلة ، إنما يقصد الاستدلال على ذلك .

(٢) وهى في طرق رواية مسلم (٣٥) .

أن الإيمانَ أصلٌ له شعبٌ متعددة

وكل شعبة منها تسمى إيمانًا ، فالصلاة من الإيمان ، وكذلك الزكاة والحج والصيام ، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى أدنى شعبة وهي إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان .

وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة (١) .

ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق وبينهما شعبًا متفاوتة تفاوتًا عظيمًا منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب ، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب (٢).

وثم تنبيهات

تنبيه ١ :

الطاعات كلها من شعب الإيمان كما أن المعاصي كلَّها من شعب الكفر فالإيمان يتكاثر في قلب العبد بالاستكثارمن القيام بشُعَبه ، والكفر يتكاثر في قلب العبد بالاستكثار من ارتكاب شُعَبه .

ولذلك كان كفر أبي جهل وأبي لهب أعظم من كفر عوام المشركين لكونهم

(١) قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٠٩) «فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين» .

(٢) قاله الإمام ابن القيم رحمه الله في الصلاة وحكم تاركها (ص٧٠) .

قاما بالاستكثار من القيام بشعب الكفر

والدليل على ازدياد الكفر أحيانًا قوله ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ**﴾ [التوبة : ٣٧] .

وأما زيادة الإيمان فقد تقدم أدلتها .

تنبيه ٢ :

ليس كل من قام بشعبةٍ من شعب الكفر يصير بها كافرًا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس كل من قام بشعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمنًا حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقتُه [(١)].

(١) قاله شيخ الإسلام في «الإقتضاء» ص(٧٠) ط مطبعة السنة المحمدية .

تعداد شعب الإيمان

الأولى من شعب الإيمان : قول لا إله إلا الله

قال رسول الله ﷺ : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ تعالى**»(١) .

وفي حديث عثمان رضي الله عنه :

«**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ** »(٢).

وحث ﷺ عمَّه أبا طالب عليها عند موتهِ فقال له :

«**يَا عَمِّ ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**»(٣) .

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى صَدْرِي، فَقَالَ: «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ...الحديث**»(٤).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**مَنْ كَانَ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٩٤٦) ومسلم (٢٠) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦) حديث عثمان رضي الله عنه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤) .

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩١) بإسناد حسن وهو صحيح بشاهده الآتي بعده .

آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١] .

وهذه الكلمة ـ كلمة التوحيد ، كلمة الدخول في الإيمان ـ لايقولها عبدٌ عند موته إلا فرج الله عنه كربته وكانت له نورًا» كما ثبت هذا في الحديث[٢] .

ولذلك أمر ﷺ حضور الميت أن يلقنوه بها[٣] .

وعاد النبي ﷺ غلامًا يهوديًا كان يخدمه فقال له ﷺ : «**قل لا إله إلا الله أشفع لك بها يوم القيامة**»[٤] .

وعَادَ ﷺ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : «يَا خَالُ ، قَلْ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ َقَالَ : خَيْرٌ لِي أَنْ أَقُولَهَا ؟ قَالَ ﷺ : نَعَمْ»[٥] .

وأمر الصحابةُ التابعين بذلك[٦] وفي ذلك كفاية .

وإنما أطلت في هذه الشعبة لعظمها وأهميتها .

---

(١) حديث قوي بشواهده التي بينتها في كتابي «جامع أحكام الميت» (١/ ٥١) فما بعدها .

(٢) كما في قول طلحة لعمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل عند موته إلا كانت له نورًا في صحيفته ، وإن روحه وجسده ليجدان لها رائحة عند موته» ، راجع كتابي «جامع أحكام الميت» (١/ ٥٤) .

(٣) في قوله ﷺ«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» .

(٤) صحيح : أخرجه بن حبان (٢٩٦٠) بإسناد صحيح وأصله عند البخاري (١٣٥٦) .

(٥) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ١٥٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٦) راجع كتابي «جامع أحكام الميت» (١/ ٢٧) .

فهي أفضل الذكر وأفضل ما تكثر بسببها الحسنات وهي أفضل ما قال الأنبياء جميعًا وأقوامُهم .

الثانية من شعب الإيمان :

الإيمان برسل الله ﷻ أجمعين عليهم الصلاة والسلام لا يفرق بين أحد منهم في هذا

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وفي حديث جبريل المشهور: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» (١) .

الثالثة من شعب الإيمان :

الإيمان بالملائكة

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وفي حديث جبريل المشهور: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» .

الرابعة من شعب الإيمان :

الإيمان بالقرآن وجميع الكتب المنزلة قبله

---

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم .

لقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١٣٦] .

ومن الإيمان بها الإيمان بأنها كلها محرَّفة- سوى القرآن- حرَّفها أهلها ولا يزال تحريفهم فيها إلى الآن كما تدل عليه الآيات ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [المائدة : ٤١] .

الخامسة من شعب الإيمان :

الإيمان بالقدر خيره وشره

لقوله ﷻ : ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾ [النساء: ٧٨] و حديث جبريل عليه السلام الماضي : «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»

وقد حج آدم موسى لما قال له:«**أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً**»(١) .

وقد قال رسول الله ﷺ :«**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ**» (٢).

---

(١) وهو في الصحيحين أيضًا وسيأتى مزيد في أبواب القدر إن شاء الله .

(٢) وهو صحيح أخرجه مسلم (٢٦٥٥) .

أي أن العاجز قد قُدِّر عجزه ، والكيِّس قد قُدِّر كيسه .

السادسة من شعب الإيمان :

الإيمان باليوم الآخر وأن لأيام الدنيا آخرًا وهذا العالم منقضٍ يومًا من الدهر

لقوله ﷻ : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون** ﴾ [التوبة : ٢٩] .

وقال ﷺ : «**وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهْوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِى فِيهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا**»(١)

السابعة من شعب الإيمان :

الإيمان بالبعث بعد الموت

قال ﷻ : ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [التغابن : ٧] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٠٦) ومسلم (٢٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هذا الحديث إشارة إلى أن القيامة تقوم بغتة كما قال تعالى : ﴿ **لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً** ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ، وإلى ذلك أشار الحافظ في «الفتح» .

ويليط حوضه : أي يُصلحه ويسد شقوقه ، واللقِحة : هي الناقة ذات الدر .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٦] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا . أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا . كَلا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا . وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم : ٧٧ - ٨٠] .

وقد نزلت هذه الآية في العاص بن وائل حيث أنكر البعث .

فقد أخرج البخاري عن خباب رضي الله عنه قال :«كنت رجلاً قينا في الجاهلية – أي حدادًا – وكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ : لِي لَنْ أَقْضِيَكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ، قَالَ : قُلْتُ : لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ ، قَالَ : وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ، فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ[1] .

الثامنة من شعب الإيمان

الإيمان بحشر الناس بعد ما يُبعثون من قبورهم إلى الموقف

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ٤-٦] .

وفي صحيحِ مسلم مِن حديثِ الْمِقْدَادِ بْنُ الأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ

---

(١) صحيح أخرجه البخارى (٢٠٩١) ومسلم (٢٧٩٥) .

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ». قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا يَعْنِى بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمِ الْمِيلَ الَّذِى تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ « فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِى الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ[1] وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» . قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ [2].

التاسع من شعب الإيمان

الإيمان بأنَّ دار المؤمنين ومأواهم الجنة ، ودار الكافرين ومأواهم النار

لقوله ﷻ : ﴿ **بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة : ٨١] .

وفي الصحيحين مِن حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [3].

العاشر من شعب الإيمان :

---

(١) الحقو: هو الخصر، وه موضع شدِّ الإزار.

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٢٨٦٤) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٧٩) ، ومسلم (٢٨٦٦) .

الإيمان بوجوب محبة الله سبحانه وتعالى

لقوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وفي الصحيحين من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ**» (١). **وفي زيادة:«حلاوة الإيمان وطعمه» وهي ثابتة.**

الحادي عشر من شعب الإيمان :

الإيمان بوجوب الخوف من الله سبحانه وتعالى

لقوله عز وجل : ﴿ **فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٠] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ** ﴾ [الرعد : ٢١] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) .

وقوله ﷻ : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١٤] .

وقول رسول الله ﷺ : «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**» (١) .

وقوله ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ » لَوْ رَأَيْتُم مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» ، قَالُوا : وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، **قَالَ : «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ**» (٢) .

الثاني عشر من شعب الإيمان :

الإيمان بوجوب الرجاء من الله ﷻ

لقوله ﷻ : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

وقوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقوله ﷻ : ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٠١٦) ، وهو في صحيح البخاري (١٤١٧) من حديث عدي بن حاتم .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٤٢٦) .

[النساء : ٤٨] .وقوله « **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ** » يبعث في المسلم روح الرجاء .

وفي حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعًا : «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**» [1].**وهذا يُهَيِّج على طلب الرجاء من الله.**

الثالث عشر من شعب الإيمان :

الإيمان بوجوب التوكل على الله ﷻ

لقوله ﷻ : ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٣] .

ودلت الآية على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله ، كما قال السعدي ﵀ في تفسير الآية [2].

وقوله ﷻ : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** ﴾ [الطلاق : ٣] .

ولحديث ابن عباس ﵄ قوله ﷺ عن سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤٦٩) باب الرجاء مع الخوف ، ومسلم (٢٧٥٥) .

(٢) «تفسير الشيخ السعدي» ص(٢٠٦) .

حساب: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ**[١]**، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» [٢].

وجملة التوكل :

تفويض الأمر لله تعالى والثقة به والاعتماد عليه مع بذل ما قُدِّر له من التسبب الذي حثَّ عليه النبي ﷺ ، وذلك في جميع الأمور الدينية والدنيوية[٣].

ففي الصحيحين من حديث الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلاً ، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ فَيَبِيعَ ، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهِ وَجْهَهُ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ**» [٤].

وحديثِ أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لأَنْ يَحْتَزِمَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ فَيَحْمِلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً يُعْطِيهِ**

---

(١) أي يطلبون الرقية من غيرهم وهو مكروه.

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٠٥) ، ومسلم (٢٢٠) .

(٣) والشرك في التوكل هو اعتماده على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله من جلب نفع أو دفع ضرّ كالأموات والطواغيت وغيرهما .

«وما علّق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة ، ولا استنصر بغير الله إلا خذل» قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم : ٨١ ، ٨٢] وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١/ ٢٩).

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٢٣٧٣) .

أَوْ يَمْنَعُهُ» [١].

وحديث الْمِقْدَامِ بن معدي كرب ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**» [٢]. أي من كسبه ونتيجة صُنع يده .

الرابع عشر من شعب الإيمان :

محبة النبي ﷺ

لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» [٣].

وفي حديث أَنَسٍ رضي الله عنه أيضًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا...**» **الحديث**[٤].

وأخرج البخاري ومسلم : أنَّ أعرابيًا قالَ لرسول الله ﷺ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**» ، قَالَ : فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَةٍ وَلاَ صِيَامٍ وَلاَ صَدَقَةٍ وَلَكِنِّى أُحِبُّ اللَّهَ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٠٤٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٠٧٢) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٤٤) .

(٤) صحيح : تقدم .

وَرَسُولَهُ ، قَالَ : «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» (١).

الخامس عشر من شعب الإيمان :

الإيمان بوجوب تعظيم النبي ﷺ وتبجيله وتوقيره

وهذه منزلة فوق منزلة المحبة إذ ليس كل محب معظِّمًا كمحبة الأب لولده والسيد لعبده فليس فيها تعظيم بخلاف العكس(٢).

لقوله ﷻ : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ [الفتح : ٨ – ٩] .

وقوله ﷻ : ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وقوله ﷻ : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً** ﴾ [النور : ٦٣]

أي لا تقولوا يا محمد ، أو يا أبا القاسم، بل يا رسول الله، يا نبي الله .

وقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الحجرات : ١] .

وقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٦١٧١) ، ومسلم (٢٦٣٩) واللفظ له .

(٢) كما قال أبو المعالي القزويني في «مختصر شعب الإيمان» ص (٤٠) بتصرف .

وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ٢] .

السادس عشر من شعب الإيمان

شُحُ المرءِ بدينه حتى يكون القذف في النار أحبَّ إليه من الكفر

لحديث أَنَس رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ**... ثم قال: **وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ**»(١).

وفي رواية: «**وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ**».

وفي رواية:

«**مِنْ أَنْ يَرْجِعَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا**» (٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِىَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ ، فَقَالَ أَنَسٌ : إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا (٣).

---

(١) صحيح تقدم .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٤٣) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣١٢) .

السابع عشر من شعب الإيمان

طلب العلم الشرعي «علم الكتاب والسنة»

وهو معرفة الباري تعالى وما جاء من عند الله ، وعلمُ النبوة وما يتميَّز به النبي ﷺ عن غيره ، وعلم أحكام الله ﷻوأقضيته، ومعرفة ما تُطلَب الأحكام منه كالكتاب والسنة والقياس وشروط الاجتهاد.

والقرآن والسنة طافحان بفضيلة العلم والعلماء .

قال الله ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال ﷻ : ﴿ **شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران : ١٨] .

وقال ﷻ لرسول الله ﷺ : ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً** ﴾ [النساء : ١١٣] .

وقال ﷻ : ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [المجادلة : ١١] .

ولم يأمر نبيه ﷺ أن يستزيد من شيء إلا العلم فقال ﷻ : ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ [طه : ١١٤] .

وقال ﷻ : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر : ٩] .

وحثَّ النبيُّ ﷺ المؤمن على العلم لئلا يَضلَّ ويتبع الهوى فقال : «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا ، يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[١].

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**» [٢].

وفي رواية البخاري المعلقة : «**يطلب به علمًا**» .

الثامن عشر من شعب الإيمان

نشر العلم

لقوله ﷻ : ﴿ **وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ** ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

وفي حديث أَبِى بَكْرَةَ ﵁ في ذكر خطبة النبي ﷺ بمنى: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ**» [٣].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عمرو بن العاص .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٩٩) ، و البخاري في كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل.

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧) ، ومسلم (١٦٧٩) .

وقال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة : ٦٧]

وقال ﷺ : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (١).

نسأل الله التوفيق للعلم والعمل ، ونعوذ بالله من الجهل والهوى والكسل .

التاسع عشر من شعب الإيمان:

تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه، وحفظ حدوده وأحكامه ، وعلم حلاله وحرامه، وتبجيل أهله وحُفَّاظه، والمحافظة على ما تعلَّمه المرء منه.

قال الله ﷻ:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر : ٢١] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ .فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ .لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٧ – ٧٩].

وقال ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً ﴾ [الرعد : ٣١] .

وقال رسول الله ﷺ : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (٢).

ولذلك قال ﷺ : «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠٢٨) من حديث عثمان ت .

(٢) صحيح : تقدم .

تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِى عُقُلِهَا» [(١)]، والعلم أولى بالتفلت مما يسره الله للمذكر.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«لاَ حَسَدَ إِلاَّ عَلَى اثْنَتَيْنِ ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» [(٢)].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ : **«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»** [(٣)].

وقد ورد عن ابنِ مَسعود رضي الله عنه [(٤)] قال :« لَيْسَ حِفْظُ الْقُرْآنِ بِحِفْظِ الْحُرُوفِ، وَلَكِنْ بِإِقَامَةِ حُدُودِهِ». [(٥)]

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠٣٣) ، ومسلم (٧٩١) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠٢٥) .

(٣) صحيح : اخرجه مسلم (٨١٧) .

(٤) فيما أخرجه نعيم بن حماد في «زوائد الزهد» (٢٠٣) بإسنادٍ لا بأس به إن شاء الله وراجع له كتابي «الفوائد النيرة» رقم (١٥٣٤) .

(٥) ولذلك كانت دعوة المسلم إلى توحيد دين الإسلام مع غيره من الشرائع اليهودية والنصرانية المحرفة المنسوخة بشرع الإسلام كانت ردَّة وكفرًا وذندقة ، ولا يسع المسلم إلا هدم هذا المنهج الباطل الفاسد .

وقال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧] .

=

العشرون من شعب الإيمان

الطهارات

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] .

وفي حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه : «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ ، لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(١) .

=

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم (١٥٢).

والأدلة التي لا يأتي عليها الحصر تدل على بطلان هذه النظرية الفاشلة .

(١)أخرجه مسلم (٢٢٣) وصححه أيضـًا النووي وغيره، وهو كذلك .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي أخرجه مسلم أيضًا قوله ﷺ : «**لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ**» (١).

وقد أخرج عبد الرزاق وغيره من طريق سالم بن أبي الجعد عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلاَةُ ، وَلاَ يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ**» (٢).

والمقصود منه دوام الوضوء لا الاكتفاء على ما كان واجباً فحسب لصلاة فريضة، بل كلما أحدث وضوءاً توضّأ.

والصلاة منزلتها معلومة في الدين ، ولا تصح إلا بالطهارة ، فأهمية الطهارة في كثير من الأحيان لا تقل عن تعظيم الصلاة حيث لم تصح الصلاة

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٤) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٩٩) ، وابن أبي عمر العدني في «الإيمان» (٢٢) ، وأحمد (٥/ ٢٧٦) ، والدارمي (٦٥٥) ، وابن ماجة (٢٧٧) بإسنادٍ فيه انقطاع بين سالم ابن أبي الجعد وثوبان ، وله طرق أخرى تقويه إن شاء الله .

وأخرجه ابن حبان (١٠٣٧) من طريق بن ثوبان ثنا حسان بن عطية أن أبا كبشة السلولي حدثه سمع ثوبان يقول قال ﷺ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلاَةُ ، وَلاَ يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ**» وإسناده حسن ، وأشار العقيلي في «الضعفاء» إلى تثبيت الحديث فقد أورده من طريق فيه الواقدي ثم قال تحت رقم (١٩١٦) «هذا يُروى من غير هذا الوجه بإسنادٍ ثابت عن ثوبان عن النبي ×» ، وكذلك حسنه الإمام القزويني في «مختصر الشعب» من طريق أبي كبشة السلولي عن ثوبان .

إلا بها ، وهي أمر متكرر لا يحافظ عليه إلا الصديقون ، وكان أكثر عذاب القبر من التقصير في التطهير .

فاجعلنا اللهم من التوابين ، واجعلنا من المتطهرين .

الحادي والعشرون من شعب الإيمان

الصلوات الخمس – وحقها أن تقدَّم –

لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٤٣] . أي صلاتكم جهة بيت المقدس .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ** ﴾ .

وقوله ﷻ : ﴿ **إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً** ﴾ [النساء : ١٠٣].

وفي حديثِ جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ**»[(١)] .

وقد سُئل النبي ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : «**الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا**» ، قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ قَالَ : «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» ، قَالَ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ : «**الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ**»[(٢)] .

وفي صحيح مسلم من حديثِ عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعًا : «**مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلاَّ**

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٨٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٢٧) ، ومسلم (٨٥) من حديث عبد الله بن مسعود .

كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» [١] .

وليس في العبادات بعد الإيمان بالله الذي يدفع الكفر عبادة سمَّاها اللهُ ﷻ إيمانًا وسمَّى رسول الله ﷺ تركها كُفرًا إلا الصلاة .

الثاني والعشرون من شعب الإيمان

الزكاة

لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة : ٥] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾

وكذلك في حديثِ ابن عباس الذي بعث فيه النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له : «**...فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِى أَمْوَالِهِمْ ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**» [٢] .

ومَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً ، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ ، لَهُ زَبِيبَتَانِ ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِى شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ أَنَا

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٨) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٤٥٨) ، ومسلم (١٩) .

مَالُكَ ، أَنَا كَنْزُكَ . ﴿ **وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [آل عمران : ١٨٠]. كما أشار النبي ﷺ (١).

الثالث والعشرون من شعب الإيمان :

الصيام

لقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

وفي الصحيحين من حديثِ ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**» (٢).

وفي حديثِ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**يَقُولُ اللَّهُ ﷻ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِى ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ ، وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**» (٣).

وفِى الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَدْخُلُ

(١) في صحيح البخاري (٢٣٧١) ، وراجع صحيح مسلم كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٩٢) ، ومسلم (١١٥١) .

مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ ؛ كما أشار النبي ﷺ [(١)].

الرابع والعشرون من شعب الإيمان :

الاعتكاف

لقوله ﷻ : ﴿ **وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ [(٢)].

الخامس والعشرون من شعب الإيمان :

الحج

لقوله ﷻ : ﴿ **وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾ [الحج : ٢٧] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ** ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ**

(١) في صحيح البخاري (١٨٩٦) ، ومسلم (١١٥٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٠٢٦) ، ومسلم (١١٧٢) .

إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»

وفي حديث جبريل المتقدم أن النبي ﷺ قال : «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» .

السادس والعشرون من شعب الإيمان

الجهاد في سبيل الله

لقوله ﷻ : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج : ٧٨] .

وقوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

وقوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

وقوله ﷻ لرسول الله ﷺ : ﴿ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ [الأنفال : ٦٥].

وفي حديثِ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ : أَىُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ : «الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ» ،

قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»[١].

وقال رسول الله ﷺ : «**لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ**»[٢].

وفي حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَالرَّوْحَةُ**[٣] **يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»[٤].

السابع والعشرون من شعب الإيمان :

المرابطة في سبيل الله

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران٢٠٠] .

وفي حديثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٦) ، ومسلم (٨٣) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠٢٤) ، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه .

(٣) الروحة: هي السير من الزوال إلى آخر النار، والواو هنا للتقسيم لا للشك، ومعناه: أن الروحة يحصل بها هذا الثواب، وكذا الغدوة.

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٢٨٩٢) .

خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» (١) .

وعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِىَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**» (٢) .

وفي حديثِ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «**مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِى الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الأَوْدِيَةِ يُقِيمُ الصَّلاَةَ وَيُؤْتِى الزَّكَاةَ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ فِي خَيْرٍ**» (٣) .

الثامن والعشرون من شعب الإيمان :

الثبات للعدو وترك الفرار والتولي من الزحف

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ** ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ**

---

(١) صحيح : تقدم .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٩١٣) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٨٩) .

الأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال١٥- ١٦] .

وقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنفال : ٦٥] .

وقول رسول الله ﷺ : «...**فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**...» وقد تقدم .

التاسع والعشرون من شعب الإيمان :

إعطاء خمس المغنم للإمام وعماله

لقوله ﷻ : ﴿ **وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾

[الأنفال : ٤١]

وقوله ﷻ : ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه إنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، قَالَ : «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ**» ، قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ**

الْخُمُسَ...الحديث» وَقَالَ : «**احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»[١].

الثلاثون من شعب الإيمان :

العتق على وجه التقرب إلى الله

لقوله ﷻ : ﴿ **فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ .وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴾ [البلد : ١١ - ١٤] . أي: عتق الرقبة بفكِّها من الرقّ، والله أعلم .

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**»[٢].

الحادي والثلاثون من شعب الإيمان :

الكفارات الواجبات بالجنايات

وهي بالكتاب والسنة أربع كفارات : كفارة القتل ، وكفارة الظهار ، وكفارة اليمين ، وكفارة الجماع في نهار رمضان ، ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها أحيانًا تكون عن ذنب سبق أو يُراد به التقرُّب إلى الله ﷻ[٣].

وكل كفارة مما ذكر لها أدلتها

وقد قال رسول الله ﷺ : «**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا .... وَمَنْ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٣) ، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥١٧) ، ومسلم (١٥٠٩) واللفظ له .

(٣) قاله : أبو المعالي القزويني في «مختصر الشعب» ص (٦٣) بتصرف .

أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهْوَ لَهُ كَفَّارَةٌ» .(١)

الثاني والثلاثون من شعب الإيمان :

الإيفاء بالعقود والعهود وعدم الغدر

لقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾ [المائدة : ١] . أي ما أحلَّ الله وما حرم ، وما فرض وما حدّ في القرآن كله .

وقال ﷻ : ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾ [الإنسان : ٧].

وقوله ﷻ : ﴿ **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ﴾ [الحج : ٢٩] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [النحل : ٩١] .

وفي صحيح البخاري من حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ**» (٢).

وفي حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما الذي سيأتي في أحكام المنافقين

«**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ**

---

(١) كما في حديث عباد بن الصامت رضي الله عنه الذي أخرجه البخاي(٣٨٩٢) ومسلم(١٧٠٩).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٦٨) ، ومسلم (١٧٣٥) واللفظ له .

غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» (١).

وفي حديثِ أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ خطب فقال : «**لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ**» (٢).

الثالث والثلاثون من شعب الإيمان :

تقدير نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [النمل : ٥٩] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ** ﴾ [البقرة : ١٥٢].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى : ١١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم : ٧] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [النحل : ١٨] .

وفي حديثِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ : «**اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ**» ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَحْيَانَا**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري ، ومسلم (١٤١٨) .

(٢) وهو حديث قوي لشواهده ، أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٧) بإسناد حسن وله طرق أخرى ستأتي في الخامس والثلاثون من شعب الإيمان إن شاء الله .

بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (١).

وفي حديثِ صُهَيْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» (٢).

فإذا كنت في نعمة فارْعَها فإن المعاصي تزيل النعم .

واعلم: أن الشكر نعمةٌ، ثم الشكر على النعمة نعمةٌ متجددةٌ تحتاجُ إلى شكر...»

الرابع والثلاثون من شعب الإيمان :

حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه ، ويدخل فيه :

(الكذب والغيبة والنميمة والفحش ، إذ القرآن والسنة مشحونان بذلك)

كقوله ﷻ في وصف مَن أعدَّ الله لهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا : ﴿ **وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة : ١١٩] .

وقوله ﷻ : ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [الزمر : ٣٢] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٣١٢) ، ومسلم (٢٧١١) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٩٩) .

وقوله ﷻ : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣] .

وقوله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴾ [يونس : ٦٩]

وفي حديثِ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا : «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا**» (١) .

وقال ﷺ : «**مَنْ يَضْمَنْ لِى مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ**»(٢) .

وقد قال ﷺ : «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٣) . وثَمَّ أدلة أخرى تتعلَّق بترك المرء ما لا يعنيه.

الخامس والثلاثون من شعب الإيمان :

أداء الأمانات ، وما يجب فيها من أدائها إلى أهلها

لقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (٢٩٠٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠١٨) ، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] .

وقوله ﷻ :﴿ **فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ** ﴾ [البقرة : ٢٨٣].

فأدِّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخُنْ مَن خانك ابتداءً إلا إذا كان ثَمَّ منه خيانة ، وتفصيل ذلك محله كتب الفروع .

وتقدَّم قول رسول الله ﷺ في ذِكْر صفات المنافق : «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

وأخرج عبد الله بن أحمد في «السنة» ، وابن أبي شيبة في «الإيمان» عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : «مَا نَقَصَتْ أَمَانَةُ عَبْدٍ قَطُّ إلاَّ نَقَصَ إيمَانه»(١) .

وقد روي مرفوعًا من حديث أنس أن النبي ﷺ قال في الخطبة : «**لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ**» وهو حديث ثابت (٢) .

السادس والثلاثون من شعب الإيمان :

تحريم قتل النفوس ـ بغير حق ـ والجنايات عليها

لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ**

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠) وعبد الله في «السنة» (٧٩٥) بإسنادٍ صحيح .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٧) بإسناد حسن ، وله شاهد أخرجه أحمد (٣/ ٢٥١) من طريق آخر ، ولكن فيه المغيرة بن زياد الثقفي لا يعرف ، وأخرجه ابن حبان (١٩٤) بإسنادٍ فيه مؤمل بن إسماعيل وهو سيء الحفظ لكن يصلح في المتابعات .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ [النساء : ٢٩] .

وفي حديثِ ابن مسعود ﵁ عن النبيِّ ﷺ : «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» (١) .

وفي حديث جَرِير ﵁ قَالَ : قَالَ لي النَّبِيِّ ﷺ : «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» (٢) .

وفي حديث ابن عمر ﵄ أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذلك في حجة الوداع (٣) .

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**» (٤) .

وفي حديث ابن عمر ﵄ عن النبيِّ ﷺ قال : «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِى فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**» (٥) .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي وَالنَّفْسُ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨) ، ومسلم (٦٤) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٢) ، ومسلم (٦٥) .

(٣) وذلك في صحيح البخاري (٦١٦٦) ، ومسلم (٦٦) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٣٣) ، ومسلم (١٦٧٨) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٦٨٦٢) .

بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[(١)].

وفي صحيح البخاري[(٢)] عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ:«إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ»

السابع والثلاثون من شعب الإيمان :

تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف

لقوله ﷻ : ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ [النور : ٣١] .

وقال ﷻ : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ** ﴾ [النور : ٣٠] .

وفي سياق ذكر صفات المؤمنين : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ** ﴾

وقال ﷻ : ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما عن النبيِّ ﷺ : «**لاَ يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(٣)].

الثامن والثلاثون من شعب الإيمان :

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٨٧٨) ، ومسلم (١٦٧٦) .

(٢) برقم (٦٨٦٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥٥٧٨) ، ومسلم (٥٧) .

قبض اليد عن الأموال الحرام ، ويدخل في ذلك :

(**تحريم السرقة ، وقطع الطريق ، وأكل الربا ، وأكل ما لا يستحقّه شرعًا...**)

لقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ** ﴾ [النساء : ٢٩]

وقوله ﷻ : ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا . وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [النساء : ١٦٠ ، ١٦١] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** ﴾ [المطففين : ١ - ٣] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ [الإسراء : ٣٥] .

وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « **إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...الحديث** »[1] .

التاسع والثلاثون من شعب الإيمان :

التورُّع في المطاعم والمشارب والاجتناب عمَّا لا يحل منها

لقوله ﷻ : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤٠٦) ، ومسلم (١٦٧٩) .

بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ...﴾ [المائدة : ٣] .

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : **﴿ قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** [الأنعام : ١٤٥] .

وقال عَزَّ وَجَلَّ : **﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَق ﴾** [الأعراف : ٣٣] .

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِتْعِ[(١)] فَقَالَ : «**كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهْوَ حَرَامٌ**»[(٢)] .

وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِى الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِى الآخِرَةِ**»[(٣)] .

وقد اختار النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللبنَ على الخمرِ في ليلة أسرى به وأصاب نبيّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) جاء في رواية البخاري الْبِتْعِ – وهو نبيذ العسل وكان أهل المدينة يشربونه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٥٨٥) ، ومسلم (٢٠٠١) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥٥٧٥) ، ومسلم (٢٠٠٣) ، ولفظ البخاري «حرمها في الآخرة» ومعناه إما عدم دخول الجنة حتى يعاقب على شرب الخمر ، أو أنّه يحرم من شربها أبدًا حتى لو دخل الجنة .

الفطرة[(١)] ، وكيف لا يجتنبها وهي أم الخبائث ، فالحمد لله على الهداية .

وفي الحديث : «**وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(٢)] .

وقد قال الله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

وقد ذَكَرَ النبيُّ ﷺ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِىَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ[(٣)] .

وفي الصحيحين من حديثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ : «**إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»[(٤)] .

قال ﷺ : «**إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي ثُمَّ**

---

(١) انظر صحيح البخاري (٣٣٩٤) ، ومسلم (١٦٨) .

(٢) صحيح : تقدم .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

أَرْفَعُهَا لآكُلَهَا ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا»[١].

الأربعون من شعب الإيمان :

الامتناع عن ما نهى عنه الشرع من الملابس والأواني:

فلا يلبس الملابس أو يستعمل الأواني التي نهى الشرع عنها كالحرير :

لحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِى الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِى الآخِرَةِ**» [٢].

والأواني : كما في حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا : «**لاَ تَشْرَبُوا فِى إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلاَ تَلْبَسُوا الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ فَإِنَّهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٣]. **والديباج : ثياب فارسي متخذ من منسوج ألوان.**

ويُستحبُ التجمُّل والتزيُّن ويحرم الكِبْر : وهو بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس

ففي حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :«**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٣٢) ، ومسلم (١٠٧٠) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٨٣٢) ، ومسلم (٢٠٧٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥٨٣١) ، ومسلم (٢٠٦٧) .

وَغَمْطُ النَّاسِ» [١]. **وبطر الحق:** أي ردّه، **وغمط الناس:** يعني ازدراءهم.

وفي حديث أَبِى بُرْدَةَ قَالَ أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رضي الله عنها كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا فَقَالَتْ : قُبِضَ رُوحُ النَّبِىِّ ﷺ فِى هَذَيْنِ [٢].

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا : **«لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ»** [٣].

إزرةُ الْمؤمنِ إلى نِصْفِ السَّاقِ ولا حَرَجَ فِيمَا بينهُ وبينَ الكعبين ، والمُسبِلُ كبرًا لا ينظرُ اللّهُ إليه يومَ القيامةِ ولا يُزكيه وله عذابٌ أليمٌ ، أمَّا المُسبلُ بغيرِ خيلاء فهو في النارِ وجزاؤه دون الجزاءِ المذكورِ للمختال

لحديثِ الْعَلاء بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ عَنْ الإِزَارِ فَقَالَ : عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ وَلا حَرَجَ - أَوْ لا جُنَاحَ - فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، ومَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ» [٤].

وهذا الحديث هو الفاصل للنزاع في مسألة الإسبال؛ لأن النبي ﷺ جمع بين

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٩١) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٨١٨) ، ومسلم (٢٠٨٠) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٨٣) ، ومسلم (٢٠٨٥) .

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٩٧) وغيره ، وهو حديث صحيح لا إشكال في صحته .

أحوال المسبل في حديث واحد، ولم يحمل المطلق على المقيد، بل بيّن لكل حال عقوبة، فكيف يقال يُحمل المطلق على المقيد، فيجوِّز الإسبال لغير الخيلاء دون ما كان خيلاء ورسول الله ﷺ أطلق على المسبل لغير الخيلاء العقوبة، فقال: «**هو في النار**»؟.

ولماذا يُسْبِلُ إزارَه ويتبطَّر على الحقَّ الذي عند غيره ويُصِرُّ، بل ينكر على أخيه إنكاره عليه إطالته الثوبِ ؟

الحادي والأربعون من شعب الإيمان

الإمتناع عن الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة

لقوله ﷻ :﴿ **قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِين** ﴾ [الجمعة : ١١] .

ولحديثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ في صحيحِ مسلم(١) عَنْ أَبِيهِ بُرَيْدَة بن الحُصَيب أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِى لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ**» .

ولم يأت اللعب في القرآن والسنة إلا مذمومًا .

ثم إن من انتكاسة الفطَر أن يرفع الناسُ اللاعبين على الرؤوس ، ويُرفع قدرُ الواحدِ منهم مع أنه لن يعدوا أن يقال عنه : «لاعب» «يلعب» ، فإن

---

(١) برقم (٢٢٦٠) .

احترف وأكثر يقال «لعِّيب» «فريق اللعب» .

ولو سلمنا أنه يباح اللعب ما دام لم يُنه عنه، فهل يُرفع من يتناول المباح إلى درجة لا يصل إليها الدعاة إلى الله الذين رفعهم رب العالمين درجات وحسَّن قولهم ورفعه على كل قول؟» فقال:«ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله...».

فيرفع هؤلاء –أصحاب اللعب– فوق الرؤوس ويُعطوا الأُعطيات من الأموال الخاصة والعامة، فينظر العامة إليهم على أنهم هم الذين رفعوا وجه دولتهم عالياً .

الثاني والأربعون من شعب الإيمان :

الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل

لقوله ﷻ : ﴿ **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

ولقوله ﷻ: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

وفي حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبيَّ ؛ قال : «**إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»[١] .

وقال ﷺ :«**مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ**»، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري، ومسلم، ولنا فيه رسالة مستقلة .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٠٢) ، ومسلم (١٧١٥) .

وقال ﷺ : «**لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ**» وهو حديثٌ حسن .

الثالث والأربعون من شعب الإيمان

ترك الغلّ والحسد ونحوهما

لقوله ﷻ : ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء : ٥٤] .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ [الفلق : ٥] .

وحديث أنس رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ**» [(١)] .

وأول معصية كانت على وجه الأرض ، – والتي كانت بين ابْنَي آدم – كانت بسبب حسده لأخيه أنْ تقبَّل الله قربان أخيه دونه . وسبحان ربي أنى للحسود الراحة؟» .

الرابع والأربعون من شعب الإيمان

تجنُّب الخوض في أعراض الناس وترك الوقيعة

لقوله ﷻ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور : ١٩] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠٦٥) ، ومسلم (٢٥٥٩) .

وقال ﷻ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النور : ٢٣] .

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : «**لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا**»

وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» (١) .

وفي صحيح البخاري(٢) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ**» .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ**» (٣) .

وفي حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «**لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ ، إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٦٤) .

(٢) برقم (٦٩٥١) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦١٠٤) ، ومسلم (٦٠) .

كَذَلِكَ»(١) .

الخامس والأربعون من شعب الإيمان :

إخلاص العمل لله ﷻ وترك الرياء

لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة : ٥] .

وقوله ﷻ : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ** ﴾ [الشورى : ٢٠] .

وقوله ﷻ : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [هود : ١٥ ، ١٦] .

وقوله ﷻ : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : **«أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»** (٢) .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠٤٥) ، ومسلم (٦١) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٨٥) .

وقال ﷺ : «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ**» [١].

فمن سمَّع بعمله الناس وقصدَ اتخاذ الجاه والمنزلة عندهم، ولم يرد به وجه الله، فإن الله يُسمع به خلقه، أي يجعله حديثاً عند الناس الذي أراد نيل المنزلة عندهم بعمله، ولا ثواب له في الآخرة عليه، وكذلك من راءى بعمله الناس رآءى الله به، أي أطلعهم على أنه فعل ذلك لهم، ولم يفعله لوجهه، فاستحقَّ على ذلك سخط الله، وأليم عقابه والله يفضحه.

السادس والأربعون من شعب الإيمان :

السرور بالحسنة والاغتمام بالسيئة

لحديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ : «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ .... وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَاك الْمُؤْمِنُ**» [٢].

السابع والأربعون من شعب الإيمان :

معالجة كل ذنب بالتوبة

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : ٣١] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤٩٩) ، ومسلم (٢٩٨٦) .

(٢) صحيح : أخرجه الترمذي (٢١٦٥) ، أحمد (١/ ١٨) ، وغيرهما ؛ وله طرق كثيرة ولا إشكال في صحته ، وراجع «علل الترمذي» (٣٨٠) ، و «علل الدارقطني» (٢/ ٦٥) .

وقوله ﷻ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا** ﴾ [التحريم : ٨].

وقوله ﷻ: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ** ﴾ [الزمر : ٥٤] .

وفي حديث الأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي**[1] **وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**». [2]

الثامن والأربعون من شعب الإيمان :

التقرُّب إلى الله بالقرابين وجملتها: (الهدي - والأضحية - والعقيقة)

لقوله ﷻ: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [الكوثر : ٢] .

وقوله ﷻ: ﴿ **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [الحج : ٣٦] .

وقوله ﷻ: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج : ٣٢] .

والأضحية: في حديث أنس ﷺ قال: «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ

---

(١) ومراده أنه تمر عليه فترات أو غفلات عن الذكر الذي كان من شأنه ﷺ الدوام عليه ، فإذا فتر عدّ هذا ذنبًا واستغفر منه .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٠٢) .

أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا».[١]

ومعنى صفاحهما: أي جانب العنق، وصفحة كل شئ جانبه.

وقد ضحّى النبيُّ ﷺ عن أزواجه بالبقر.[٢]

والعقيقة : قد قال النبيُّ ﷺ : «**عَنِ الْغُلاَمِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ**» [٣].

وفي سنن ابن ماجة[٤] بإسنادٍ صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : «أَمَرَنَا رَسُول اللَّهِ ﷺ أَنْ نَعُقَّ عَنْ الْغُلامِ شَاتَيْنِ وَعَنْ الْجَارِيَةِ شَاةً » .

التاسع والأربعون من شعب الإيمان :

طاعة أولي الأمر في غير معصية اللّه عز وجل

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا** ﴾ [النساء : ٥٩] .

وأولي الأمر : قيل: أنهم أمراء السرايا ، وقيل: هم العلماء ، وقيل: غير

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٥٥٨) ، ومسلم (١٩٦٦) .

(٢) وهذا في صحيح البخاري (٥٥٤٨) .

(٣) أخرجه النسائي (٤٢٢٣) بإسنادٍ حسن .

(٤) برقم (٣١٦٣) .

ذلك، ويحتمل أن يكون عامًا لهما فإن كان خاصًا فبأمر السرايا أشبه [١].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه المروي في الصحيحين مرفوعًا: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ**»[٢].

وفي حديث أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ» [٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِى عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ**» [٤].

وفي حديث يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ عن جَدَّتِه أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَقُولُ: «**وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**»[٥]. ولم يشترط في إمارته القيادةَ بكتاب الله أحدٌ.

---

(١) قاله أبو المعالي القزويني في «مختصر الشعب» ص (١٠٢) بتصرف.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٣٧).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٣٦).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٣٨).

فيما نعلم- إلا إذا كنا سنختار- وإلا لو اعتبرنا هذا شرطاً في الأمير لابد لأن نلقي بالأحاديث الآتية في السمع والطاعة للإمام المتغلِّب، والذي يضرب الظهر بأخذ المال ونحو ذلك، لابد أن نرميها في اليم حتى نقول بهذا الشرط الذي لم يقل به إلا الخوارج فيما نعلم.

الخمسون من شعب الإيمان :

التمسُّك بما عليه جماعة المسلمين وإمامهم

لقوله ﷻ : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾

[آل عمران : ١٠٣] .

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ**[١] **يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ**» [٢] .

---

(١) راية عمية :قال أحمد بن حنبل: هذا الأمرُ الأعمى كالعصبيةِ لا يستبانُ وَجهُهُ. انظر: «غريب الحديث» لابن الجوزي (٢/ ١٢٨).

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٤٨) .

وفي حديث حذيفة بن اليمان ﷺ مرفوعًا : «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ ، قَالَ : «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**» (١).

وفي رواية : «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» (٢).

وفي حديثِ عَرْفَجَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ**(٣) **فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهْيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**» (٤).

الحادي والخمسون من شعب الإيمان :

الحكم بين الناس بالعدل

لقوله ﷻ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٠٦) ، ومسلم (١٨٤٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٥٣) ، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس ﷺ .

(٣) الْهَنَات : جَمْع هَنَة ، وَتُطْلَق عَلَى كُلّ شَيْء ، وَالْمُرَاد بِهَا هُنَا الْفِتَن وَالْأُمُور الْحَادِثَة. قاله النووي في «شرح مسلم» (١٢/ ٢٤١).

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٥٢) .

بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] .

وقال ﷻ : **﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾** [النساء : ١٠٥] .

وقال ﷻ : **﴿ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾** [الحجرات : ٩] .

وقال سبحانه وتعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾** [المائدة : ٨] .

وقال ﷻ : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾**

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ**[1] ، **وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، فَهْوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[2]، ومن الحكمة العدل.

الثاني والخمسون من شعب الإيمان :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) أي إنفاقه في الطاعات

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٣) ، ومسلم (٨١٦) .

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١١١، ١١٢] .

وقال عز وجل : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٤ ، ١٦٥] .

وفي صحيح مسلم[١] من حديث أبي سعيد ﵁ عن النبيِّ ﷺ : «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**» .

وفي صحيح مسلم أيضًا[٢] من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْس وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**» .

وفي حديث زينب أم المؤمنين ﵂ قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَزِعًا مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ : «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ** » ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا ، قَالَتْ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ : «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»[٣] .

---

(١) برقم (٤٩) .

(٢) برقم (٥٠) وأعلَّة الإمام أحمد لمخالفته للأحاديث الصحيحة في الصبر على جور الأئمة كما بينته في كتابي «التوضيحات الجلية» .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٤٦) ، ومسلم (٣٨٨٠) .

وقال ﷺ : «**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْكُم عَذَابًا ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**» (١).

وقال ﷺ : «**إِنَّ الظَّالِمَ إِذَا لَمْ يَأْخُذْ النَّاسُ عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ**» (٢).

الثالثة والخمسون من شعب الإيمان :

التعاون على البر والتقوى

لقوله ﷻ : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة : ٢] .

وفي الصحيحين أنَّ رسول الله ﷺ قال : «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ : «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» (٣).

الرابع والخمسون من شعب الإيمان :

الحياء

---

(١) أخرجه والترمذي (٢٠٩٥) ، وأحمد (٥/ ٣٨٨) ، وغيرهما بإسناد محتمل للتحسين بطرقه وشواهده .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٠٠٥) ، وأحمد (١/ ٧)، وغيرهما بإسناد صحيح على شرط الشيخين كما بينته في «الفوائد النيرة» .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٤٤) ، ومسلم (٢٥٨٤) .

لحديث عبد الله بن عمر ﭬ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ [١] ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**» [٢].

وفي حديث عِمْرَانَ بْن حُصَيْنٍ ﭬ قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**» [٣].

وفي رواية[٤] : «**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**».

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﭬ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»[٥].

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري ﭬ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ ، إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَافْعَلْ مَا شِئْتَ**» [٦].

---

(١) أي ينصحه ويعاتبه على كثرة حيائه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦١١٧) ، ومسلم (٣٧) ، وعقب الرواية عند مسلم : فقال بشير ابن كعب إنه مكتوب في الحكمة أن منه وقار ومنه سكينة ومنه ضعف ، فقال عمران أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحفك ؟

(٤) عند مسلم (٣٧) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٦١٠٢) ، ومسلم (٢٣٢٠) .

(٦) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٨٤) .

وأخرج ابن أبي شيبة في كتاب «الإيمان»[١] بإسنادٍ صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «إِنَّ الْحَيَاءَ وَالإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ».

وأخرج الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح من حديث أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «**الْحَيَاءُ مِنْ الإِيمَانِ وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَالْبَذَاءُ مِنْ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ**»[٢].

الخامس والخمسون من شعب الإيمان :

برُّ الوالدين

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .

وقال عز وجل : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [البقرة : ٨٣] .

والأنبياء يحيى عليه السلام يقول الله سبحانه وتعالى عنه : ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ** ﴾ [مريم : ١٤] .

وعيسى ﷺ يقول : ﴿ **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي** ﴾ [مريم : ٣٢] .

---

(١) برقم (٢١) .

(٢) أخرجه أحمد وقد ذكرته في كتابي «أعمال تدخل صاحبها النار» ص (٤٦) .

ورسولنا ﷺ يأذن الله له أن يزور قبر أمه ومُنع من الاستغفار لها لأنها ماتت في الشرك فكان يزور قبرها ويبكي ويبكي من حوله [(١)].

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : «**الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا**» ، قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : «**ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» ، قَالَ ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» [(٢)].

وأقرب عمل يُقرِّب إلى الله عز وجل : «بر الوالدين»

فأخرج البخاري في «الأدب المفرد» ، وابن وهب في «الجامع» (١٣٧) بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس : أنه أتاه رجل فقال : إنى خطبت امرأةً فأبت أن تَنكحني ، وخَطَبَها غيري فأحبّت أن تَنكحه فغرتُ عليها ، فقتلتُها ، فهل لي من توبة ؟ قال : أمك حية ، قال : لا قال : تب إلى الله عز وجل ، وتقرّب إليه ما استطعت ، فذهبت [(٣)] فسألت ابن عباس : لِمَ سألته عن حياة أمه ؟ ، فقال : إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من برِّ الوالدة .

فلو ألنت الكلام للوالدين وأطعمتهما الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت

---

(١) انظر : صحيح مسلم (٩٧٦) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٢٧) ، ومسلم (٨٥) .

(٣) أي عطاء .

الكبائر[١].

وقد بلغ برّ الوالدين عند الصحابة رضي الله عنهم مبلغًا عظيمًا ، وليس خبر أويس القرني ، وقراءة حارثة بن النعمان في الجنة ببعيد [٢].

السادس والخمسون من شعب الإيمان :

صلة الأرحام

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** ﴾ [محمد: ٢٢ ، ٢٣].

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾

[الرعد : ٢٥] وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :«**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» [٣]. **والمعنى:** يبارك في عمره أو يطيله.

وصلة الرحم من أوائل ما دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الدعوة إلى التوحيد

---

(١) وقد ورد نحوه للأم عند البخاري في «الأدب المفرد» بإسنادٍ صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) فراجع كتابي «بر الوالدين وفقه التعامل معهما» ، فقد أودعت فيه عدداً كثيراً من الأخبار الصحيحة التي تفيد تعظيم هذا الأمر في الشريعة وتحث عليه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٢٠٦٧) ، ومسلم (٢٥٥٧) .

ففي حديث هِرَقْل الطويل قال له أبوسفيان – وذلك في المدة التي كان مَادّ فيها رسول الله ﷺ أبا سفيان وكفار قريش – : «يَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ....» الحديث [(١)].

وأول ما ذهب إلى المدينة انجفل الناس إليه

فكان عبد الله بن سلام فيمن أسرع إليه قال : فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ**» [(٢)]. وغير ذلك من الأحاديث .

ولا يدخل الجنة قاطع رحم كما أشار النبيُّ ﷺ [(٣)] والأدلة كثيرة تعرضنا لها في غير هذا الموطن[(٤)].

السابع والخمسون من شعب الإيمان :

القيام بحسن الخلق ويدخل فيه (كظم الغَيْظ ولين الجانب والتواضع)[(٥)]

---

(١) وهو في صحيح البخاري في بدء الوحي ، ومسلم .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد ، والدارمي ، والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح متصل ، وراجع كتابي «تذكير الأنام بصلة الأرحام» ص (٢٦) .

(٣) وذلك في صحيح البخاري (٥٩٨٤) ، ومسلم (٢٥٥٦) .

(٤) فانظر كتابنا: «تذكير الأنام بذكر صلة الأرحام» وهو مطبوع والحمد لله.

(٥) وقد عرَّف البيهقي حسن الخلق في «**الشعب**» **(٦/ ٢٢٩)** فقال :

=

=

ومعنى حسن الخلق سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى وقد يكون فيما بين الناس .

وهو في ذات الله ﷻ : أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله و نواهيه، يفعل ما فرض عليه طيب النفس به سلَسًا نحوه ، وينتهي عما حرَّم عليه واسعًا به غير متضجِّر منه ، ويرغب في نوافل الخير ، وترك كثيرًا من المباح لوجه الله تعالى إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله متبشرًا بذلك غير ضجر منه ولا متعسِّر به .

وهو في المعاملات بين الناس : أن يكون سمحًا بحقوقه لا يطالب غيره بها، ويوفي ما يجب لغيره عليها منه، فإن مرض فلم يُعَدْ أو قَدِم من سفر فلم يُزَر أو سلَّم فلم يُرَدّ عليه أو ضُيِّف فلم يُكْرَم أو شَفَعَ فلم يُجب أو أحسن فلم يُشْكَر أو دخل على قوم فلم يُمكن أو تَكَلَم فلم يُنْصَتْ له أو استأذن على صديق فلم يُؤذن له أو خطب فلم يُزَوَجْ أو استمهل الدين فلم يُمَهل أو استَنقَص فلم يُنْقَص وما أشبه ذلك لم يغضب ولم يعاقِب ولم يَتْنكَّر من حاله حال ولم يستشعر في نفسه أنه قد جُفى وأُوحش ، وأنه يُقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله بل يَضُم أنه لا يَعتَدّ بشيء من ذلك ويقابل كلا منه بما هو أحسن و أفضل وأقرب إلى البر و التقوى وتشبَّه بما يحمد ويرضى ثم يكون في إتقاء ما يكون عليه كهو في حظّ ما يكون له ، فإذا مرض أخوه المسلم عاده، وإن جاءه في شفاعة شفعه، وإن استمهله في قضاء دين أمهله ، وإن احتاج منه إلى معونة أعانه ، وإن استسمحه في بيع سمح له، ولا ينظر إلى أن الذي عامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا أو كيف يعامل الناس ، إنما يتخذ الأحسن إمامًا لنفسه فينحو نحوه ولا يخالفه، والخُلق الحسن قد يكون غريزة وقد يكون مُكْتَسَبًا وإنما يصح اكتسابه لمن كان في غريزته أصل منه فهو يضم ما اكتسبه إليه ما يضمه ومعلوم في العادات أن ذا الرأي بمجالسته أولى الأحلام والنُهي

=

لقوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .مع قوله ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ : «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا**»[١] .

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ : مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا[٢] .

وفي حديث أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**»[٣] .

=

رأيًا، وإن العالم يزداد بمخالطة العلماء علمًا ، وكذلك الصالح والعاقل بمجالسة الصلحاء والعقلاء، فلا ينكر أن يكون ذو الخلق الجميل يزداد حسن الخلق بمجالسة أولى الأخلاق الحسنة وبالله التوفيق.

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٥٥٩) ومسلم (٢٣٢١) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧) .

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٦) وأبو داود (٤٧٧٩) وغيرهما بإسناد صحيح .

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِخُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**» (١).

الثامن والخمسون من شعب الإيمان

الإحسان إلى المماليك والخدم

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾ [النساء : ٣٦] .

وفي حديث المعرور بن سويد قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَعَلَى غُلامِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً ، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٣٣) ، وأبو داود (٤٧٩٨) ، وابن حبان (٤٨٠) ، وغيرهما بإسناد رجاله ثقات إلا عمرو بن أبي عمرو حسن الحديث، على انقطاع فيه ، وله شاهد عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا بلفظ : «**إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدِّدَ لَيُدْرِكُ دَرَجَةَ الصَّوَّامِ الْقَوَّامِ بِآيَاتِ اللهِ بِحُسْنِ خُلُقِهِ وَكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ**» أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧) بإسنادٍ يحسن في الشواهد ، فبه يتقوى الخبر إن شاء الله ، والله أعلم .

فَأَعِينُوهُمْ» [١].

وقال ﷺ : «**لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ وَلاَ يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا يُطِيقُ**»[٢].

ولا يؤذيه عند مخاطبته حتى لا يشعر بالضيق

قال ﷺ : «**وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي ، وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي**»[٣].

ومن أواخر وصايا نبيِّنا ﷺ قبل أن يموت «**الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**» [٤].

التاسع والخمسون من شعب الإيمان :

قيام المملوكين بحقوق سادتهم – إذا كان عبدًا مملوكًا –

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «**الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ سَيِّدَهُ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**» [٥].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥٤٥) ، ومسلم (١٦٦١) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٦٦٢) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥٥٢) ، ومسلم (٢٢٤٩) .

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٧٨) بإسناد جيد ، وله شاهد من حديث أم سلمة (٦/ ٢٩٠) في إسناده انقطاع، وانظر له علل أبي حاتم (١/ ١١٠) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥٤٦) ، ومسلم (١٦٦٤) .

وفي رواية قال ﷺ : «**لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الْمُصْلِحِ أَجْرَانِ**» [(١)].

وفي صحيح مسلم[(٢)] من حديث جرير ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «**أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ**»[(٣)]

أي امتنع من خدمة سيده أو شرد أو نشز عليه أو هرب منه أو تغيب عنه بلا عذر .**ومعى برئت منه الذمة: أي لا عهد ولا رعاية ولا حرمة له، وكان قبل ذلك مصوناً من عقوبة السيد، فلما أبق زالت ذلك بإباقته**

وفي حديث جرير ﵁ أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : «**ثَلاَثَةٌ لاَ تُقْبَلُ لَهُمْ صَلاَةٌ وَلاَ يرفع لَهُمْ حَسَنَةٌ : الْعَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَوَالِيهِ فَيَضَعُ يَدَهُ فِي أَيْدِيهِمْ**» [(٤)].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥٤٨) ، ومسلم (١٦٦٥) واللفظ له .

(٢) برقم (٦٩) .

(٣) أي لا رعاية له أو لا حرمة له .

(٤) أخرجه ابن حبان (٥٣٥٥) من حديث جابر بن عبد الله ﵄ مرفوعًا ، وأخرجه الترمذي (٣٦٠) ، وابن أبي شيبة (١/ ٣٥٨) من حديث أبي أمامة مرفوعًا ، وهو عند الطيالسي (٦٧٣) بنحو من ألفاظه من حديث جرير بن عبد الله ، وإسناده لا بأس به بلفظ: «**العبد الآبق لا تقبل له صلاة حتى يرجع إلى مواليه**» ، وأخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣٥٨) من حديث سلمان ، والحديث بجملته يتقوى إن شاء الله تعالى، وحمله بعض أهل العلم على المستحل للإباق، وهو تأويل المازري، وتابعه القاضي عياض رحمهما الله.

وهذه الرواية عند مسلم برقم (٦٨) بلفظ:

«أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ» مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَرِيرٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ» قَالَ مَنْصُورٌ الراوي عن الشعبي عن جرير به موقوفاً: «قَدْ وَاللهِ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُرْوَى عَنِّي هَاهُنَا بِالْبَصْرَةِ».

يعني: أن البصرة كان فيها الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون الناس بالمعاصي، ويقولو بتخليد صاحب الكبيرة في النار، فخشي منصور رحمه الله منهم أن يفهموا الحديث على غير وجهه الصحيح، فلم يكن يرفعه أحياناً خشية أن يأخذوه بظاهره والله الهادي، ويُمَشُّوا به بدعهم.

الستون من شعب الإيمان:

القيام بحقوق الأولاد والأهلين وهي:

(قيام الرجل على ولده وأهله، وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه من أمرهم بطاعة الله، وتعليمهم الخير، وتأديبهم وحملهم على كل ذلك)

لقوله ﷻ: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾** [التحريم: ٦].

وفي صحيح البخاري[١] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**

والراعي هو الحافظ المؤتمن الذي التزم صلاح ما قام عليه .

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث أنس رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ»** وَضَمَّ أَصَابِعَهُ .

وللزوجة أن يطعمها زوجها إذا طعم ، ويكسوها إذا اكتسى ، ولا يهجرها إلا في البيت إلا إذا دعت ضرورة .

وللأولاد تعليمهم الدين بجملته ، وقضاء مصالحهم [٣].

وعلى كل ذلك أدلة كثيرة .

الحادي والستون من شعب الإيمان :

مقاربة أهل الدين ومودتهم ، وإفشاء السلام بينهم ، والمصافحة لهم ، ونحو

(١) برقم (٨٩٣) .

(٢) برقم (٢٦٣١) .

(٣) من أراد مزيدًا فليراجع كتابنا «تبصير النساء» في حقوق كل من الزوجين على الآخر ، وكتابي «بر الوالدين» في حقوق كل من الابن والأب على الآخر .

ذلك من أسباب تأكيد المودة

لقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النور : ٢٧] .

وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**» [(١)] .

وفي صحيح البخاري[(٢)] قول قَتَادَةَ لأَنَسٍ رضي الله عنه «أَكَانَتِ الْمُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «نَعَمْ» .

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا : «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**» [(٣)] .

وفي ذلك قول عمار بن ياسر رضي الله عنه : «ثلاث من استكملهنَّ فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالَم ، والإنفاق من الإقتار» [(٤)] .

الثاني والستون من شعب الإيمان :

إفشاء السلام

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٥٤) .

(٢) برقم (٦٢٦٣) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٦٦) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣١) وهو ثابت تقدم تخريجه .

لقوله ﷻ : ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا** ﴾ [النساء : ٨٦] .

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**» ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، فَقَالَ : «**إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» ، قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأَذَى ، وَرَدُّ السَّلاَمِ ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**» (١) .

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**» (٢) .

وفي رواية : «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» ، قِيلَ : مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**» (٣) .

الثالث والستون من شعب الإيمان :

عيادة المريض

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٦٥) ، ومسلم (٢١٦٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٤٠) ، ومسلم (٢١٦٢) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢١٦٢) .

لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ : «**أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ ، وَرَدِّ السَّلاَمِ ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ . وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ ، وَالْحَرِيرِ ، وَالدِّيبَاجِ**[١] ، **وَالْقَسِّيِّ**[٢] **وَالإِسْتَبْرَقِ**[٣]»[٤].

وفي حديث ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ**[٥] **الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ**»[٦].

ولا فرق بين برٍّ وفاجر ، لكن ينبسط إلى البرّ ، وينقبض عن الفاجر .

وإذا كانت الزيارة أو العيادة تضرُّ فلا يزار.

الرابع والستون من شعب الإيمان :

الصلاة على أهل القبلة

لحديث ثوبان رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : «**مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ**

---

(١) الثياب المتخذة من نوع معين من أنواع الحرير.

(٢) هي ثياب متخذة منكتان مخلوط بحرير.

(٣)الإِسْتَبْرَقِ: الثخين من الديباج، والغليظ منه.

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٣٩) ، ومسلم (٢٠٦٦) .

(٥) أي كأنه في بستان يجتني منه الثمر، شبَّه ما يحوزه العائد من الثواب بما يحوزه المخترف من الثمر .

(٦) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٨٦) .

قِيرَاطٌ فَإِنْ شَهِدَ دَفْنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ الْقِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ» (١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه **«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»** (٢).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ**» ، قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ ؟ قَالَ : «**مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ**» (٣).

الخامس والستون من شعب الإيمان :

تشميت العاطس

لحديث أبي موسى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتُوهُ فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلاَ تُشَمِّتُوهُ**» (٤).

وما تقدم يشهد له من أنه : «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**»

السادس والستون من شعب الإيمان :

مجاهدة الكفار والمنافقين والمفسدين والغلظة عليهم

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٩٤٦) .

(٢) صحيح : تقدم .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٢٥) ، ومسلم (٩٤٥) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٩٢) .

لقوله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

وقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة : ٢٣]

وقوله عز وجل : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

«لاَ تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ» (١).

وقد أخرج أبو داود(٢) بإسناد حسن عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : **«لا تُصاحَبْ إلاَّ مُؤْمِنًا وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ»** (٣) – وهو من باب الإرشاد إلى الأصلح –

ولا يخفى مقاطعة النبيِّ ﷺ للثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك : كعب بن مالك ، ومرارة بن ربيعة ، وهلال بن أمية رضي الله عنهم .

السابع والستون من شعب الإيمان :

الإحسان للجار وإكرامه

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢١٦٧) .

(٢) برقم (٤٨٣٢) ، والترمذي (٢٣٩٥) ، والدارمي (٢٠٥٧) ، وأحمد (٣/ ٣٨) ، وابن حبان (٥٥٤، ٥٥٥) .

(٣) والطعام هنا طعام الدعوة دون طعام الحاجة ، فقد قال الله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] .

والأسرى كفار ، فمعنى الحديث لا تدْعُ إلى مؤاكلتك إلا الأتقياء لأن المؤاكلة توجب الألفة وتجمع القلوب ، وقد أشار إليه الخطابي في «العزلة» ص (١٢٠) عقب حديث رقم (١١١) .

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا** ﴾ [النساء : ٣٦]

وفي الصحيحين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ**» ، قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(١) .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال له :

«**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ عَابِدًا ، وَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ زَاهِدًا ، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا**» (٢) .

ولذلك قال ابْن أَبِي جَمْرَة رحمه الله : «حِفْظ الْجَار مِنْ كَمَال الإِيمَان» (٣) .

وقال ﷺ : «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**» (٤) .

وقال ﷺ : «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِى جَارَهُ**» (٥) .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠١٦) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٧) ، وهناد في «الزهد» (١٠٣١) ، وأبو يعلى (٥٨٦٥) بإسناده وقد تناولت تخريجه بتوسع في كتابي «فقه التامل مع الجار وبيان حقوقه» الطبعة الثانية ص٢٨ .

(٣) حكاه عنه الحافظ في «فتح الباري» (١٠/ ٤٥٦) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٤٧) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (٤٧) .

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال : «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**» (١).

وفي حديث أنس رضي الله عنه «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ - أَوْ قَالَ لِجَارِهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» (٢).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال «**ليس المؤمن الذي يبيت شبعاناً ، وجاره جائع**»(٣).

وفي حديث أنس رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «**الْمُؤْمِنُ**(٤) **مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَبْدٌ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٥).

وسيأتي قول الرسولِ ﷺ : «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فلا يؤذ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠١٥) ، ومسلم (٢٦٢٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٤٥) ، وراجع تتمة كلامي عليه في «فقه التعامل مع الجار» ص (٢٦) .

(٣) أخرجه الطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ٢٧) بإسناد صحيح على شرط الشيخين .

(٤) أي المؤمن الحق الكامل الإيمان .

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٤) ، وابن حبان (٥١٠) بإسناد صححه الحافظ في «الفتح» تحت شرح حديث (٦٠١٦) ، وهو كذلك كما بينته في كتابي «فقه التعامل مع الجار» ص (٣١) ، ويشهد له ما تقدم من الأحاديث .

جاره»[١].

الثامن والستون من شعب الإيمان :

إكرام الضيف

لحديث أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**» ، قَالَ : وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[٢].

وفي صحيح البخاري[٣] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما «**إِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**» .

ومعنى زورك أي ضيفك الذي يزورك.

وفي حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ تَبْعَثُنَا فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلاَ يَقْرُونَنَا فَمَا تَرَى ؟ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ**

---

(١) وهو في صحيح البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (٤٧) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (٤٨) من حديث أبي شريح ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه أخرجه البخاري (٦٠١٨) ، ومسلم (٤٧) .

(٣) برقم (١٩٧٤) .

الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ»[١].

التاسع والستون من شعب الإيمان

السَّتر على أصحاب المعاصي والذنوب – إن كان الستر أحسن والمقام مقامه –

لقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] .

وفي حديث سالم بنِ عبدِ الله بن عمرَ عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

وقال ﷺ : «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»[٣].

ولا يتخيَّل فيم هذا حاله إلا أن يستر على إخوانه.

وقال ﷺ : «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»[٤].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٦١) ، ومسلم (١٧٢٧) .

(٢) أخرجه : البخاري (٢٤٤٢) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى ﷺ .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٤٤) .

وقال ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (١).

«وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٢).

وقد يكون في الستر عليه تفريج كربة له .

السبعون من شعب الإيمان :

الصبر على المصائب وعن المعاصي وعلى الطاعات ،

ويدخل في ذلك : (الصبر على الناس والسماحة معهم)

لقوله ﷻ : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ . الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ٤٥ ، ٤٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وفي حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير .

(٢) صحيح : تقدم .

اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ : «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ**»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**» . قَالَ : فَقُلْتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَجَلْ**» ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلاَّ حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**» (٢).

فالعينُ تدمعُ والقلبُ يحزنُ لكن لا يقالُ إلا ما يُرضي الربّ سبحانه وتعالى : «**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا**» (٣).

وأصرح من ذلك كله ما أخرجه أحمد من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : «**الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَتَصْدِيقٌ بِهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ**» قَالَ : أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٤٦٩) ، ومسلم (١٠٥٣) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٦٤٨) ، ومسلم (٢٥٧١) .

(٣) وهذا وارد صحيح من كلام النبيّ ﷺ.

«**السَّمَاحَةُ وَالصَّبْرُ**»(١).

الحادي والسبعون من شعب الإيمان :

الزهد وقصر الأمل

لقوله ﷻ : ﴿ **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ** ﴾ [محمد : ١٨] .

وقال ﷻ : ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [النحل : ١] .

وفي حديث سهل بن سعد قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ «**بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»(٢).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**» (٣).

---

(١) وهو حديث حسن لشواهده ، فهذا في إسناده ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وله شاهد أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٤٣) من حديث جابر ، وفيه عنعنة الحسن البصري ، ولفظه قيل يا رسول الله : أي الإيمان أفضل ؟ قال «**الصبر والسماحة**» ، قيل : فأي المؤمنين أكمل إيمانًا ؟ قال: «**أحسنهم خلقًا**» ، وله شاهد آخر عند أحمد (٤/ ٣٨٥) في إسناده شهر بن حوشب .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٦) ، ومسلم (٢٩٥٠) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤١٢) .

وفي سنن الترمذي[١] بإسنادٍ حسن لشواهده من حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ» .

وفي حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا**». قَالُوا : وَمَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «**بَرَكَاتُ الأَرْضِ**» ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ قَالَ: «**لاَ يَأْتِي الْخَيْرُ إِلاَّ بِالْخَيْرِ لاَ يَأْتِي الْخَيْرُ إِلاَّ بِالْخَيْرِ لاَ يَأْتِي الْخَيْرُ إِلاَّ بِالْخَيْرِ إِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضِرِ[٢] فَإِنَّهَا تَأْكُلُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ ثُمَّ اجْتَرَّتْ وَبَالَتْ وَثَلَطَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِى حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِى يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ**»[٣].

---

(١) برقم (٢٤١٧) وتمام تخريجه في كتابي «الفوائد النيرة» .

(٢) وآكلة الخضر : هي التي تخرج مما جمعت منه ورعت ما ينفعها إخراجه من البراز والبول ، وهي حشرة لا يقتلها ما رعت ، وقد ضرب رسول الله ﷺ هذه مثلاً لمن تصدق وأخرج من ماله ما ينفعه إخراجه مما لو أمسكه لضره إثمه كما يضر التي رعت لو أمسكت البول والغائط ولم تخرجه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤٢٧) ، ومسلم (١٠٥٢) واللفظ له .

وفي حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[(١)].

الثاني والسبعون من شعب الإيمان :

الغيرة وترك المذاء[(٢)]

لقوله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم : ٦] .

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ الله ﷻ عَلَيْهِ**»[(٣)].

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٤٢) .

(٢) قال الحليمي رحمه الله : المذاء أن يجمع الرجال والنساء ثم يخلِّيهم يماذي بعضهم بعضًا وأخذ من المذي وقيل : هو إرسال الرجال مع النساء من قولهم مذيت فرس إذا أرسلتها ترعى حكاه البيهقي عنه ، وعرّفه ابن الأثير في «النهاية» فقال: «أن يُدْخِلَ الرجلُ الرجالَ على أهله ثم يخليهم يماذي بعضهم بعضًا» ، وبنحوه قال الزمخشري في »الفائق» ، وراجع «لسان العرب» مادة : مذي .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥٢٢٣) ، ومسلم (٢٧٦١) ، واللفظ له .

وفي حديث أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ مُخَنَّثًا [(١)] كَانَ عِنْدَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا فَإِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلاَنَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ [(٢)] ، قَالَ : فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : «**لاَ يَدْخُلْ هَؤُلاَءِ عَلَيْكُمْ**» [(٣)] .

وقد صرف النبيُّ ﷺ وجه الفضل بن عباس رضي الله عنه لَّما رآه ينظر إلى المرأة الخثعمية ، كما في الصحيحين .

الثالث والسبعون من شعب الإيمان :

الإعراض عن اللغو[(٤)]

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١ - ٣] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** ﴾ [الفرقان : ٧٢] .

---

(١) قال أهل اللغة : المخنث بكسر النون وفتحها هو الذي يشبه النساء في أخلاقه وفي كلامه وحركاته ، وتارة يكون هذا خلقه من الأصل ، وتارة يكون بتكلّف .

(٢) يعني أربع عُكَن في بطنها ، فهي تقبل بهن ، من كل ناحية ثنتان ولكل واحدة طرفان ، وقوله «تدبر بثمان» : يعني أطراف هذه العُكَن الأربع إذا أدبرت صارت الأطراف ثمانية .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ، ومسلم (٢١٨٠) واللفظ له .

(٤) واللغو : الباطل الذي لا يعنيه ولا يتصل بقصد صحيح ولا يكون لقائله فيه فائدة ، وربما كان وبالاً عليه .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] .

واللغو: ليس فيه شيئ ينفع، بل يضر.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[(١)] .

الرابع والسبعون من شعب الإيمان :

الجود والسخاء

لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤] .

وقد قال الله سبحانه وتعالى في عكسه : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء : ٣٧] .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨] .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

وقوله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر : ٩] .

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَان يَنْزِلاَن فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**» (١) .

وفي ذلك قول عمّار بن ياسر ﵁ «ثلاث من استكملهنَّ فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالَم ، والإنفاق من الإقتار»(٢) .

الخامس والسبعون من شعب الإيمان :

رحمة الصغير وتوقير الكبير

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**» (٣) .

وفي حديث جرير بن عبد الله في الصحيحين بنحو من ألفاظه مختصرًا (٤) .

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**جَعَلَ**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٤٤٢) ، ومسلم (١٠١٠) .

(٢) وهو ثابت عن عمار ﵁ وقد تقدم .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٩٧) ، ومسلم (٢٣١٨) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧٣٧٦) ، ومسلم (٢٣١٩) .

اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا ، وَأَنْزَلَ فِى الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا ، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ» [(١)].

ولما أقبل مُحَيِّصَةُ وحُوَيِّصَةُ– وكان حُوَيِّصَةُ أكبر منه– ليتكلَّما للنبيِّ ﷺ في حديث القسامة ، فذهب مُحَيِّصَةَ ليتكلم أولاً ، فقال رسول الله ﷺ : «**كبِّرْ كبِّرْ**» يؤيد السن .فتكلَّم حُوَيِّصَةُ ثم تكلَّم مُحَيِّصَةَ .... الحديث [(٢)].

وفي صحيح البخاري[(٣)] من حديث مالك بن الحُوَيْرث قال : قال رسول الله ﷺ – وسألهم عمّن تركوا بعدهم وأخبروه فقال :

«**ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**» .

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : «**لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شرفَ كَبِيرِنَا**» [(٤)].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠٠٠) ، ومسلم (٢٧٥٢) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٩٢) ، ومسلم (١٦٦٩) .

(٣) برقم (٦٢٨) .

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٢٠) ، وأحمد (٢/ ١٨٥ ، ٢٢٢) بإسنادٍ حسن ، وله شاهد من حديث أنس ليس إسناده بسالم .

وقد قال ﷺ:«البركة مع أكابركم»[(١)]

السادس والسبعون من شعب الإيمان :

إصلاح ذات البين

لقوله ﷻ ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء : ١١٤] .

وقوله ﷻ ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [الحجرات : ١٠] . أي بين كل اثنين منكم .

وفي حديث أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَنْمِي خَيْرًا ، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**» [(٢)] .

قال الزهري رحمه الله :

وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبًا إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ : الْحَرْبُ وَالإِصْلاَحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا .

السابع والسبعون من شعب الإيمان :

أن يُحِبَّ الرجل لأخيه المسلم ما يُحِبُّ لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه

---

(١) أخرجه ابن حبان بسندٍ ثابت حررته في كتابي«التضيحات الجلية» .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٦٩٢) ، ومسلم (٢٦٠٥) .

ويدخل في ذلك: إماطة الأذى عن الطريق المشار إليه في حديث أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه في الصحيحين «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(١).

وفي حديث أنس رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» (٢).

وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه الطويل: «**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِى يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْه.... الحديث**» (٣).

وفي حديث جرير رضي الله عنه قال: إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ (٤).

فكل مالا يحبه المرء لنفسه أو لأهله أو لأقاربه فلا يأتي به إلى الناس لا يحبونه لأنفسهم، ولا لأهلهم ولا لأقاربهم.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٣) صحيح: تقدم.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٥٨)، ومسلم (٥٦).

تنبيه ١ :

مِن الناس مَن يُفتح له في باب دون غيره من شعب الإيمان ، فمَن فُتح له عمل فليُسرعْ فيه خشية أنْ يُغلق دونه ، وقد قال خالد بن معدان الكلاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن فُتح له باب من الخير فليُسرعْ إليه ، فإنه لا يدري متى يُغلق» [١].

فلرُبّ شخص فُتح له باب من أبواب الخير ، فلم يتقدم فيه فأُغلِق ، فصار يطلبه ليدخل فيه فلم يُوفَّق ، فلا تؤجل عمل الخير إلى الغد ، فرحم الله شخصًا تقدم في أبواب الخيرات لَمَّا فُتحت له ، فأنجز فيها خيرًا .

ولا يخفى حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصاحبيه في تخلُّفه عن غزوة تبوك

في قوله في ذكر تأجيله وتباطئه : «فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا ، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ» [٢].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» ص (٣٨٤) باب زهد عبيد بن عمير ، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢١١) بإسناده عنه وإسناده صحيح .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤١٨) من حديث كعب .

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الفتح»**[(١)] :

فِيهِ أَنَّ الْمَرْء إِذَا لاحَتْ لَهُ فُرْصَة فِي الطَّاعَة فَحَقّه أَنْ يُبَادِر إِلَيْهَا وَلا يُسَوِّف بِهَا لِئَلَّا يُحْرَمْهَا كَمَا قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ** ﴾ وَمِثْله قَوْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ وَنَسْأَل اللَّه تَعَالَى أَنْ يُلْهِمنَا الْمُبَادَرَة إِلَى طَاعَته ، وَأَنْ لا يَسْلبنَا مَا خَوَّلَنَا مِنْ نِعْمَته .أ.هـ. ونحن آمين آمين.

تنبيه ٢ :

إذا فتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على العبد بالعمل بشعب الإيمان أو ببعضها ، فليحفظ النعم عليه ، لأن زوالها مع الذنوب عاجل .

للدعاء تأثيره في تثبيت النعم

وقد أخرج ابن أبي شيبة في «الإيمان»[(٢)] بإسنادٍ صحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يقول «اللَّهُمَّ لاَ تَنْزِعْ مِنِّي الإِيمَانَ كَمَا أَعْطَيْتَنِيهِ» .

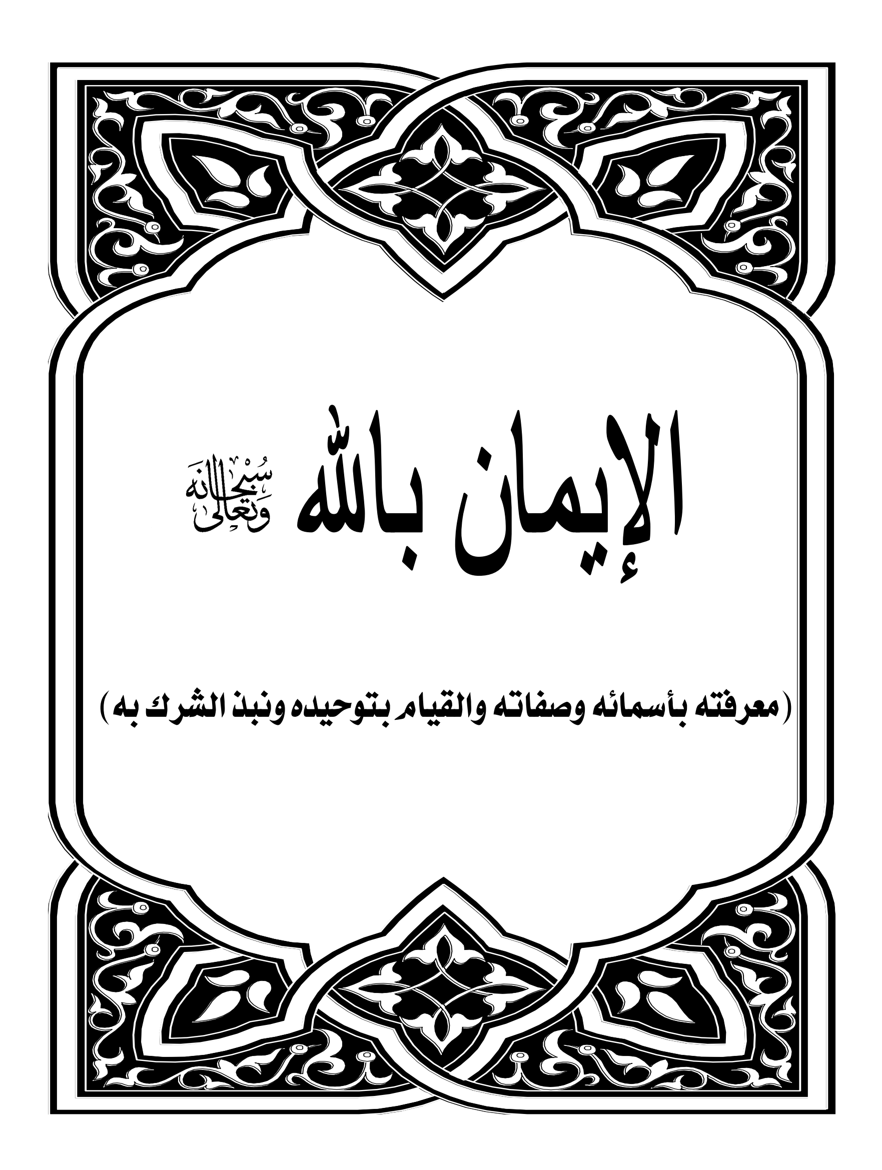
وكما قال أهل الإيمان :

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ١٥٤) .

(٢) برقم (١٥) .

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .



الإيمان بالله سبحانه وتعالى

(معرفته بأسمائه وصفاته والقيام بتوحيده ونبذ الشرك به)



قال الإمام الجويني إمام الحرمين رَحِمَهُ اللَّهُ :

أجمع العلماء على وجوب معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ

وقال شيخ الإسلام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ :

والعلم بالله يتناول ما بصفاته ، وما بأحكامه ، وما يتعلق بذلك ، فهذا هو الإيمان حقًّا[١] .

(١) انظر «فتح الباري» (١/ ٩٠) .

الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومعرفته

وجود الربّ سبحانه وتعالى :

لقد ردّ الرسل عليهم الصلاة والسلام على أممهم الكفار الذين أنكروا وجود الله سبحانه وتعالى فقالوا لهم :

﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [إبراهيم : ١٠] .

وإنّ وجود الله سبحانه وتعالى أظهرُ في دلالته من دلالة وجود الشمس في رابعة النهار، ولا يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل .

وقد دلَّ على وجود الله عز وجل :

الفطرة والعقل السليم ، أما الفطرة :

فكُلُّ إِنْسَانٍ مَوْلُودٌ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ[(١)] ، فلم يقل أو يُسلمانه ، لأنه مسلم بفطرته وهو على التوحيد ، ففطرة الله عز وجل التي فطر الناس عليها هي الإسلام .

قال الله سبحانه وتعالى للناس جميعًا وهم في صلب آدم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٥٩) ، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وأما العقل السليم :

يُنْظَرُ في مثل قوله ﷻ : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ [الطور : ٣٥] .هذا دليل عقلي خاطب الله عقول هؤلاء المنكرين بهذا الدليل العقلي وهم لا يؤمنون بالقرآن

وإذا كان أثر القدم يدل على المسير، والبعر يدل على البعير ، فالسماء وأبراجها ، والأرض وفجاجها وجبالها وبحورها و ... تدل على أنَّ هناك خالق خلقها وبارئ أبرأها ومُصورٍّ صوَّرها ، بل هذا الكون المحكم يدل على من كوَّنه، وذلك أوضح من شمس النهار .

وبما أنه لم يَدَّعِ أحدٌ – ادعاءً ينفع – خَلْقَ شيءٍ من هذا إلا الله ﷻ فيدل ذلك على وجوده ﷻ ، ولم يدَّعِ أحدٌ رزق العباد ولا شفاءهم ولا ... ، فدل ذلك على وجود الله ﷻ بدلالة التمانع ، فليُنظر ماذا في السموات والأرض

﴿ **وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [يونس : ١٠١] .

قال ﷻ : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

وقال ﷻ : ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٩١] .

فلو كان في العالم آلهة إلا الله أو رب سواه، ما وُجد هذا الانتظام في الكون

من حيث التدبير والإحكام... إلخ .

واعلم أن العقل يمكن أن يعرف انفراد الله ووجوده، وأنه واحد لا شريك له، وله صفات الكمال على وجه العموم، أنه منَّه عن صفا النقص،ولهذا إثبات وجود الله ثبتت بالأدلة العقلية، ولكن وجوه التفصيل في تعداد الصفات، ومكان وجوده ، وأن له من الصفات كذا وكذا إنما يُعرف بالشرع.

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ في الآية السابقة :

تَأَمَّلْ هَذَا الْبُرْهَانَ الْبَاهِرَ، بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ الظَّاهِرِ. فَإِنَّ الإِلَهَ الْحَقَّ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا فَاعِلاً، يُوصِلُ إِلَى عَابِدِهِ النَّفْعَ وَيَدْفَعُ عَنْهُ الضُّرَّ، فَلَوْ كَانَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ إِلَهٌ آخَرُ يُشْرِكُهُ فِي مُلْكِهِ، لَكَانَ لَهُ خَلْقٌ وَفِعْلٌ، وَحِينَئِذٍ فَلَا يَرْضَى تِلْكَ الشَّرِكَةَ، بَلْ إِنْ قَدَرَ عَلَى قَهْرِ ذَلِكَ الشَّرِيكِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْمُلْكِ وَالإِلَهِيَّةِ دُونَهُ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ انْفَرَدَ بِخَلْقِهِ وَذَهَبَ بِذَلِكَ الْخَلْقِ، كَمَا يَنْفَرِدُ مُلُوكُ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِمُلْكِهِ، إِذَا لَمْ يَقْدِرِ الْمُنْفَرِدُ مِنْهُمْ عَلَى قَهْرِ الآخَرِ وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِ. فَلا بُدَّ مِنْ أَحَدِ ثَلاثَةِ أُمُورٍ :

إِمَّا أَنْ يَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِخَلْقِهِ وَسُلْطَانِهِ .

وَإِمَّا أَنْ يَعْلُوَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ .

وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا تَحْتَ قَهْرِ مَلِكٍ وَاحِدٍ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ، بَلْ يَكُونُ وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهُ، وَهُمُ الْعَبِيدُ الْمَرْبُوبُونَ الْمَقْهُورُونَ مِنْ

كُلِّ وَجْهٍ .

وَانْتِظَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِحْكَامُ أَمْرِهِ، مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ، وَرَبٌّ وَاحِدٌ، لا إِلَهَ لِلْخَلْقِ غَيْرُهُ، وَلا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ . كَمَا قَدْ دَلَّ دَلِيلُ التَّمَانُعِ عَلَى أَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، لا رَبَّ غَيْرُهُ وَلا إِلَهَ سِوَاهُ، فَذَلكَ تَمَانُعٌ فِي الْفِعْلِ وَالإِيجَادِ، وَهَذَا تَمَانُعٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالإِلَهِيَّةِ .

فَكَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ رَبَّانِ خَالِقَانِ مُتَكَافِئَانِ، كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ (١) .

ودلالة الحسِّ واضحة

فمن الذي يُغيثُ المكروبَ ويُجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعاه ؟»

ومَن استجاب لدعوات الأنبياء عليهم السلام ومنهم محمد ﷺ

الذي دعا بالمطر فأُمطر .

ودعا برفعه فرُفع ... ؟»

ومَن الذي أيد النبي ﷺ بالمعجزات التي جاءنا خبرها بالسند الصحيح ؟»

من الذي أحيا الموتى لعيسى ﷺ

وفلق البحر لموسى ﷺ .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص (٧٧) ط. المكتب الإسلامي .

وشقَّ القمر لمحمدٍ ﷺ ؟»

ومن قرأ القرآن وجد الآيات الكثيرة التي منها :

قولُه ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ [فاطر : ٣] .

وقوله ﷻ : ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف : ٥٤].

وقولُه ﷻ : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٢] .

وليُعلم أن صَرْفَ شيءٍ مما هو من خصائص توحيد الربوبية – أعني انفراد الله بالخلق والرزق والتدبير والتصرف في الكون – ... صرف الاعتراف بشيء من ذلك لغير الله وحده ، شركٌ في الربوبية ، لم يشرك هذا الشرك كفار الجاهلية وعباد الأوثان .

ويَنقض توحيد الربوبية : الإلحادُ والميلُ وهو انكار وجود الله أو قدرته على البعث والنشور ، أو أن كل شيء بفعله وما شابه ذلك كالدهرية وغيرهم.

أقسام التوحيد

التوحيد ينقسم عند أهل السنة إلى ثلاثة أقسام :

توحيد الربوبية ، توحيد الألوهية ، توحيد الأسماء والصفات

قال ابن أبي العز «شارح الطحاوية» ص(٣٨):

التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان:

توحيد في الإثبات والمعرفة ، وتوحيد في القصد والطلب

ثَمَّ بيَّن أن الأول: إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه...

والثاني: هو توحيد الطلب والقصد وهو ما تضمنته سورة الكافرون وقوله ﷻ : ﴿ **أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا** ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

فرجع النوعان إلى الثلاثة: توحيد الربوبية ، والأسماء والصفات ، والألوهية.

فمن أدلة توحيد الربوبية :

قوله ﷻ : ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف : ٥٤].

وقوله ﷻ : ﴿ **قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...** ﴾ [الأنعام : ١٢] .

وقوله ﷻ : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [المؤمنون : ٨٦] وغير ذلك كثير[١].

ومن أدلة توحيد الألوهية :

(١) وهنا سؤال : وكيف يخلق الله الخلق ثانية؟ وما آية ذلك في الخلق؟

سؤال سأله رجلٌ للنبيِّ ﷺ، فأجاب :

كما في حديث أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ يُحْيِي الله الْمَوْتَى؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «**أَمَا مَرَرْتَ بِوَادٍ لَكَ مَحْلًا ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟**» ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ مَحِلًا ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟ « قَالَ: بَلَى. قَالَ: «**فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى، وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ**».

وهوحديث جيد . أخرجه الطيالسي (١١٨٥) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٦٩) ، وغيرهما وقد رددت على من جهّل أحد رواته في كتابي «الفوائد النيرة».

وقد قال ﷻ :﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٧] .

وقال ﷻ : ﴿ اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ .

ﷻ :﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٧].

قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

وقوله ﷻ: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢].

وقوله ﷻ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

ومن أدلة توحيد الأسماء والصفات:

قوله ﷻ: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل: ٣٠].

وقوله ﷻ: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقوله ﷻ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

وقوله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وثمَّ آيات جمعت أقسام التوحيد الثلاثة[1]:

قال ﷻ: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] وقد أشار إلى ذلك.

---

(١) ودليل تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هو الاستقراء، وقد أدخل بعض الخوارج في أقسام التوحيد– توحيد الحاكمية– لأنه إفراد الله بالحكم، وبناءً عليه كفَّروا من لم يحكم بما أنزل الله، وهو خلاف منهج السلف، وإنما توحيد الحاكمية داخل في توحيد الربوبية،وتحاكم الناس إلى حكم الله داخل في توحيد الألوهية.

فقوله ﷻ : ﴿ **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ توحيد ربوبية .

وقوله ﷻ : ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ توحيد الأسماء والصفات .

وقوله ﷻ : ﴿ **فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ** ﴾ توحيد الألوهية (العبودية) .

والأدلة على هذا التقسيم استقراء الأدلة استقراءً تامًا لنصوص الشرع فالتقسيم مستمدّ من الكتاب والسنة .

وهو في طيات كلام العلماء السالفين الأوائل رحمهم الله أجمعين .

فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم : ٤٨ – ٥٠] .

وعلى كل حال لخَلْقِ السموات والأرض أكبر من خَلْقِ الناس .

فالذي خَلَقَ السموات والأرض، ولم يَعيّ بخلقهن قادرٌ على أن يُحييَ الموتى.

وهذا شيء عن عظمة قوة الله وقدرته وعظمة ملكه التي لم يقدرها حق قدرها كثير من العباد فصرفوا كثيراً من العبادة لغير الله

قال ﷻ : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الزمر : ٦٧] .

وفي الصحيحين من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ » أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ » إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا

الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ :﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ[(١)].

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَطْوِى السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**»[(٢)].

وفي حديث ابن عمر مرفوعًا : «**يَطْوِى اللَّهُ ﷿ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ثُمَّ يَطْوِى الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟**»[(٣)].

وعن ابن مسعود ﵁ قال : ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨١١) ، ومسلم (٢٧٨٦) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤١٢) ، ومسلم (٢٧٨٧) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨) ولفظة «بشماله» انفرد بها مسلم وهي لفظة ضعيفة انفرد بها عمر بن حمزة ووهم في ذكرها والصحيح ثم يطوى الأرضين بالأخرى . فقد صح أن كلتا يدي الرحمن يمين وقد بينت علّته هذه في كتابي «الفوائد النيرة» .

والعرش على الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه[١].

والصحابة من أحر الناس عن الكلام في الغيبيات بغير توقيف،والله أعلم.

ما معنى لا إله إلا الله ؟ وما مقصود أن العبادة لله سبحانه وتعالى ؟

الجواب :

لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى ، فلا يُعبد إلا الله .

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .

فمن العبادات الباطنة التي تصرف لله عز وجل وحده : المحبة

فلا تكن محبة شيء كمحبة الله .

قال الله عز وجل : **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ**

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨١) وفي «الرد على بشر المريسي» (١/ ٤٧١) ، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٠٢) رقم (٨٩٨٧) ، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» (٢٧٩) وغيرهم من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه وإسناده حسن إن شاء الله .

مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٥ – ١٦٧] .

ومن العبادات القلبية: التوكل

كما قال ﷻ : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

وقال ﷻ : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

ومن هذه العبادات : الخوف

قال الله ﷻ ﴿ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٠] .والخشية: الخوف مع العلم، ولذا قال الله تعالى:«إما يخشى الله من **عباده العلماء**» .

وقال تعالى:« **فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين**» .

وقال ﷻ :﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الأنعام

ومن ذلك الرجاء

قال ﷻ : ﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [يونس : ١١]

وقال ﷻ عن قوم لوط لما أهلكهم:﴿ بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾[الفرقان : ٤٠]

وقد ورد عن علي رضي الله عنه «**لا يرجونَّ عبدٌ إلا ربه**» ، إلا أنَّ إسناده لا يصح[١] والله تعالى يُرجى رحمته ويخاف عذابه .

ومنها الاستعانة

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة : ٥] . أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك .

والاستعانة بالحي القادر في بعض ما يقدر عليه يجوز، يدل على ذلك ما أخرجه النسائي وغيره[٢] بإسنادٍ حسن أن رسول الله ﷺ قال لوفد هوازن: «... **وَإِذَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ فَقُومُوا فَقُولُوا : إِنَّا نَسْتَعِينُ بِرَسُولِ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَوِ الْمُسْلِمِينَ فِي نِسَائِنَا وَأَبْنَائِنَا...**» .فيجوز الاستعانة بالحي القادر على أمرٍ من أمور الدنيا، وهذا لا ينفي تقدُّم الاستعانة الله قبل الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه.

ومن العبادات الظاهرة : الصلاة والركوع والسجود

---

(١) أخرجه ابن أبي عمر العدني (١٩) ، وغيره ؛ وفيه السري بن إسماعيل ، وهو متروك ، وله إسناد آخر أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» بإسنادٍ ضعيف ، وإنما نبهت عليه لكثرة الذين يُوردونه في كتب العقيدة، والآثار تحتاج في تثبيت أسانيدها كالأحاديث كما أشار شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٥٦) .

(٢) أخرجه ابن المنذر في «الأوسط» (١١/ ١٤٤) ، وأحمد (٢/ ١٨٤) ، والنسائي (٦٤٨٢) وغيرهم .

كما قال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] .

وقال ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

ومن هذه العبادات : الدعاء

لقوله ﷻ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

ومنها : النذر ، فلا ينذر إلا لله

ولما نذر رجل نذرًا في الجاهلية أن يعتكف في المسجد الحرام قال له رسول الله ﷺ : «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**»(١) .

وقال لمن ماتت أمه وعليها نذر : «**اقْضِهِ عَنْهَا**»(٢) .

وقال ﷺ : «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**»(٣) .

لقوله ﷻ : ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٠٤٣) ، ومسلم (١٦٥٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦١) ، ومسلم (١٦٣٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٠٠) .

ومنها : الطواف

لقوله ﷻ : ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج : ٢٩] .

ومنها : التوبة

لقوله ﷻ : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور : ٣١] .

ومنها : الاستغاثة فلا تكون إلا بالله

لقوله ﷻ : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأنفال : ٩] .

والاستغاثة بغير الله شرك

وذلك أنَّ الاستغاثةَ دعاءٌ لله عند الشدائد فيما لا يقدر عليه لإلا الله، والدعاء عبادة ، ولذلك كان صرف ذلك لغير الله شرك .

قال الله ﷻ : ﴿ **وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [يونس : ١٠٦] . ويعني بالظلم الكفر ، كما في قوله ﷻ : ﴿ **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

فالابتغاء إنما يكون من الله كما أمر ﷻ وقال : ﴿ **فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

فدعاء غير الله سبحانه وتعالى – فضلاً عن الاستغاثة به [1]– من أكبر الضلال وأفحشه

قال الله عز وجل : ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] .

وسبحان الله ، الله عز وجل – الذى منه العطاء لا من غيره – يغضب إن تركْتَ سؤاله ، وابن آدم حين يُسأل يغضب» ، وليس هذا فحسب .

بل قال الله عز وجل : ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النمل : ٦٢] .

فكيف يعبد المرء ويستغيث بالعاجز مع ظهور عجزه ويترك القادر القدير المقتدر سبحانه وتعالى مع غضبه عليه إن ترك سؤاله ؟» .

ومن العبادة لله الاستعاذة به سبحانه

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ [الفلق : ١] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ** ﴾ [الأعراف : ٢٠٠] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ [الناس : ١] .

---

(١) أما الاستغاثة بالمخلوق الحي القادر فلا بأس بها، فلا يستغاث بالأحجار، ولذلك قال تعالى عن صاحب موسى ﷺ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴿١٥﴾ القصص ولو كان لا يجوز الاستغاثة بالحي القادر لأنكر عليه موسى عليه السلام، ولمَا سارع في إجابته وإنقاذه،والاستعانة قرينة الاستغاثة.

فالاستعاذة بالله ﷻ عبادة ، فصرفها لغير الله من الشرك الأكبر ، ولن تثمر ثمرة .

قال ﷻ : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ [الجن : ٦] . فمَن استعاذ بالجن زاده الله رهقًا إلى رهقه.

ومن أنزل حاجته واستعانته بالله وحده، واستعاذ به نجّاه وآواه وأعانه .

فعن خَوْلَةَ بِنْت حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ**[1] **اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» [2].

ولقد ورد عن وهب بن منبه أنه قال لرجل يغشى أبواب الملوك : ويحك تأتي من يغلق عنك بابه ويواري عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ويُظهر لك غناه ؟»

ولذلك

كان لابد من الانقياد لمعنى قول لا إله إلا الله، والتحاكُم إليها كما قال الله ﷻ : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي**

---

(١) كلمات الله هي كلمات الله الشرعية(أي المتعلقة بالأوامر والنواهي) ، وجاءت الاستعاذة بكلمات الله لأنها كلمات عظيمة شريفة وهي كلام الله ﷻ ، والمقصود بكلام الله الكوني ما قضي به كونـًا ، وكل ذلك عظيم

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٠٨) .

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

ويُحقق الصدق وتواطؤ القلب مع القول فيها

قال الله ﷻ : **﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾** [الزمر : ٢] .

وقال رسول الله ﷺ : «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ**[١] **إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»[٢].

وقال ﷺ : «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**».[٣]

---

(١) وفي مسند أحمد(٢٢٠٦٠) بسندٍ صحيح قوله ﷺ« مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ » فلابد أن يكون القائل مخلصاً صادقاً.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (١٢٨) ، ومسلم (٣٢) واللفظ للبخاري .

والمقصود بـ «**حرَّمه الله على النار**» أي حرّم خلوده ، ليستقيم الحديث مع معنى أحاديث الشفاعة وشبهها في بيان أن من أهل التوحيد من يُعذَّب ، ثم يخرجون من النار بعدما امتحشوا ونُقِّحوا ، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، وقد خاف النبيﷺ من فهم الإرجاء من مثل هذه النصوص ، فإنه لما سأله معاذ أن يخبر الناس بمثل هذا فقال :« **لا تخبرهم فيتكلوا** ...» كما في الصحيحين وغيرهما.

وخشي عمرت من مثل ذلك فقال للنبي ﷺ:« فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَخَلِّهِمْ**» أخرجه مسلم (٣١).

(٣) أخرجه البخاري(٩٩).

وفي حديث ابن عباس الذي أرسل النبيُّ ﷺ فيه معاذًا إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام وقوله: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَات ...**» **الحديث**[١].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ [٢].

فِي الحَدِيث مِن الْفَوَائِد الاقْتِصَار فِي الْحُكْم بِإِسْلامِ الْكَافِر إِذَا أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنَّ مِنْ لازِمِ الإِيمَان بِاَللَّهِ وَرَسُوله التَّصْدِيق بِكُلِّ مَا ثَبَتَ عَنْهُمَا وَالْتِزَام ذَلِكَ، فَيَحْصُل ذَلِكَ لِمَنْ صَدَّقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ؛ وَأَمَّا مَا وَقَعَ مِنْ بَعْض الْمُبْتَدِعَة مِنْ إِنْكَار شَيْء مِنْ ذَلِكَ فَلا يَقْدَح فِي صِحَّة الْحُكْم الظَّاهِر؛ لأَنَّهُ إِنْ كَانَ مَعَ تَأْوِيل فَظَاهِر، وَإِنْ كَانَ عِنَادًا قَدَحَ فِي صِحَّة الإِسْلَام، فَيُعَامَل بِمَا يَتَرَتَّب عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كَإِجْرَاءِ أَحْكَام الْمُرْتَدّ وَغَيْر ذَلِكَ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم.

(٢) في «فتح الباري» (١٣/ ٤٣٠).

المحبة لله عز وجل

محبة الله عز وجل محبةً لا تضاهيها محبة لغيره من مال أو إنسان أو غيرهما

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة : ٢٤] .

وضرورة المحبة لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولعباده المؤمنين

لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ [المائدة : ٥٤] .

ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** »(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا** » .

الأدلة على محبة المؤمنين

واعلم أن : مَن أحبَّ شيئًا وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ، ووالَى لأجله، وعادى لأجله ، فهو عبده.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٥) ، ومسلم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

وأعني بالحبّ أي: الذي ينجمع القلب عليه ، وإن كان ثيابًا أو لُعبةً أو شهوةً أو نحوها ، ويعتبر هذا الشيء معبوده وإلهه .

ولا أدلّ على ذلك من تسمية الله ﷻ طاعة الشيطان عبادة فقال سبحانه وتعالى :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [يس : ٦٠ ، ٦١] .

وتسمية هوَى العبد إلهاً كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

ويمكن أن يكون العبد عبدًا للأموال أوللألبسة، قال ﷺ :

«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ[(١)] ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ[(٢)] ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِى السَّاقَةِ ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ

---

(١) أي انقلب على رأسه، وهذا منه ﷺ دعاء عليه بالخيبة والخسران.

(٢) أي إذا أصابته شوكة فلا قَدر على إخراجها بالمقاش ولا خرجت منه.

لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ» (١).

ومحبة الكفار وموالاتهم والرضا بما هم عليه من الكفر ، ورؤية أنه حق كما أنَّ الإسلام حق هذا كفر (٢).

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) . ومعناه إذا دخلت في جسده شوكة لا خرجت منه ، و«طوبى»: من الطيب أي كانت له حياة طيبة ، وجزاء طيب ، ومعنى «وإن كان في الحراسة» أي قام بها راضيًا لا يهمه أن يشفع له أو لا يشفع له متواضعًا لله عز وجل .

(٢) وقد فصلت القول في الموالاة للكفار وأنها على أطباق ثلاثة في كتابي «التوضيحات الجلية في بيان عقيدة أهل السنة».

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] .

فلا تركنوا إلى الذين كفروا فتمسَّكم النار

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ . يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود :٩٦ – ٩٨] .

فجعلهم أتباعًا له في الآخرة إلى النار حين اتبعوه في الدنيا .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] .

دليل على أنَّ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين تجعلهم مثلهم في الكفر سواء .

عظم أجر الشهادتين لمن قال ذلك بإخلاص وصدق

عَنْ عَمْرٍو - يَعْنِى ابْنَ دِينَارٍ - قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما يَقُولُ: أَخْبَرَنَا مَنْ شَهِدَ مُعَاذاً حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ يَقُولُ: اكْشِفُوا عَنِّى سَجْفَ[1] الْقُبَّةِ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَ مَرَّةً: أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ إِلاَّ أَنْ تَتَّكِلُوا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ يَقِيناً مِنْ قَلْبِهِ - لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ**» أَوْ «**دَخَلَ الْجَنَّةَ**». وَقَالَ مَرَّةً: «**دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ**»[2].

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «**يَا مُعَاذُ ابْنَ جَبَلٍ**» قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: «**لا يَشْهَدُ عَبْدٌ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ثُمَّ يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» قَالَ: قُلْتُ: أَفَلا أُحَدِّثُ النَّاسَ قَالَ: «**لا إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلُوا عَلَيْهِ**»[3].

وعن عُبَادَة بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ**

---

(١) أي: سَترَ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦) بإسنادٍ صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٠) بإسنادٍ صحيح.

أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَىِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»[١].

وفي رواية عنه :«**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ**»[٢].

وفي حديث رفاعة الجهني عن رسول الله ﷺ حديثًا مطولاً وفيه... قال : «**أَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ لا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ ثُمَّ يُسَدِّدُ**[٣] **إِلا سُلِكَ فِي الْجَنَّةِ**»[٤].

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ٤١٧) بإسناد صحيح عَنْ أَبِى عَمْرَةَ الأَنْصَارِيِّ عَن النبيِّ ﷺ قال : «**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ لاَ يَلْقَى اللَّهَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِهِمَا إِلاَّ حُجِبَتْ عَنْهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»

وحديث رفاعة الجهني السابق فيه تقييد الشهادة بالصدق واشتراطه فيها فالقول مع مخالفة شروطها الآتية لا يترتب عليها آثارها،وستأتي الشروط .

ومنه حديث معاذ الذي أخرجه البخاري (١٢٨) أن النبي ﷺ قال : «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩) .

(٣)السداد معناه القصد فى الامر والعدل فيه اى يقتصد فلا يغلو ولا يسرف.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٦) بإسنادٍ قوي .

فقيَّد الشهادة بأن تكون صدقًا كما تقدَّم في الحديث الصدق المقتضي لتحصيل الشروط الآتية.

شروط لا إله لا الله

اعلم أن قوله ﷺ : «**لاَ يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ فَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ**» ، وشبهه من الأحاديث المتقدمة إنما يكون إذا وفَّى القائل شروطها ، وإلا تعارضت هذه الأحاديث مع الأحاديث التي مفادها تعذيب المؤمنين ببعض الذنوب ، فلابد من اجتماع الشروط كلها في الشهادة وإليك تعدادها مدللاً عليها .

الشرط الأول : العلم بمعنى لا إله إلا الله .

وإثباتها لنفي الألوهية إلا عن الله ﷻ ، فيشهد بـ «لا إله» «إلا الله» علمًا بقلبه ونطقًا بلسانه ، وجزمًا بقلبه كما في قوله ﷻ :

﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٥ ، ٨٦] .

فقوله: «**وهم يعلمون**» دليل على المراد، والله أعلم .

وكما يدل عليه قوله ﷺ : «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ**

الْجَنَّةَ» [(١)].

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦) .

والحديث فيه حجة على الخوارج والمعتزلة ، وأما المرجئة فإنْ احتجَّت بظاهره قلنا : هو محمول على أنه غفر له أو أخرج من النار بالشفاعة ، ثم أدخل الجنة ، فيكون معنى قوله × : «**دخل الجنة**» أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب ، وهذا لابد من تأويله لما جاء في ظواهرنصوص كثيرة من عذاب بعض العصاة ، لئلا تتناقض نصوص الشريعة ، وفي قولهﷺ: «**وهو يعلم**» إشارة إلى الرد على من قال من غلاة المرجئة : إن مُظهر الشهادتين يدخل الجنة وإن لم يعتقد ذلك بقلبه، وقد جاء هذا القيد كذلك في حديث آخر في قوله ﷺ:«**غير شاك فيهما**» ، وهذا يؤكد ما قررناه ، وحديث أبي هريرة ﭬ في المفلس في صحيح مسلم فيه أعظم الردود على المرجئة فإن مذهبهم أنه لا يضّر مع الإيمان معصية ، وحديث المفلس دليل على حصول الضرر بسبب الاعتداءات وظلم الآخرين .

وفي فتح الباري (١١/ ٢٦٩) ط دار المعرفة :

«وأصعبها قولهﷺ: «لاَ يَلْقَى الله بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ، وفي آخره : «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» وقيل : أشكلها حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة عِنْد مُسْلِم بِلَفْظِ: «مَا مِنْ عَبْد يَشْهَد أَنْ لا إِلَه إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله إِلا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّار» لأَنَّهُ أَتَى فِيهِ بِأَدَاةِ الْحَصْر وَمِنْ الاسْتِغْرَاقِيَّةَ وَصَرَّحَ بِتَحْرِيمِ النَّار ، بِخِلافِ قَوْله : «دَخَلَ الْجَنَّة» ، فَإِنَّهُ لا يَنْفِي دُخُول النَّار أَوَّلا، قَالَ الطِّيبِيُّ : لَكِنَّ الأَوَّل يَتَرَجَّح بِقَوْلِهِ : «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» لأَنَّهُ شَرْط لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيد، وَلاسِيَّمَا وَقَدْ كَرَّرَهُ ثَلاثًا مُبَالَغَة وَخَتَمَ بِقَوْلِهِ « وَإِنْ رَغِمَ أَنْف أَبِي ذَرّ » تَتْمِيمًا لِلْمُبَالَغَةِ ، وَالْحَدِيث الآخَرُ مُطْلَقٌ يَقْبَلُ التَّقْيِيدَ فَلا يُقَاوِمُ قَوْله :« وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» أ.هـ .

=

الشرط الثاني : اليقين المنافي للشك .

لقوله ﷺ : «**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» (١).

واليقين : عدم التردد أو الشك أو الريبة أو القلق في داخله بل بمعنى السكون إلى هذا الاعتقاد مطمئن القلب بذلك ، فيكون مصدقًا بثوابها مخلصًا من قلبه ... .

كما في حديث عِتْبَان بن مَالِكٍ مرفوعًا «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . يَبْتَغِى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**» (٢).

وفي صحيح مسلم (٣) قوله ﷺ : «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**» .

=

وقد استدل بعض المكفرين للناس بالذنوب بقوله × : «كَلا إِنِّي رَأَيْته فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ» ، وقال ﷺ: «يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» ، وهذا الحديث قد صرفه عن ظاهره أحاديث أخرى ، إذ أن معناه إما لا يدخل الجنة حتى يُنَقَّى أو معناه أن الكافر لا يدخل الجنة إذا مات على الكفر وهو إجماع فالحديث غير مشكل إذاً .

إذ المراد بالمؤمنين المنَقون من الذنوب ، وبالدخول : الدخول بلا عذاب .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٢٥) ، ومسلم (٣٣) .

(٣) برقم (٣١) .

قلت : فإن كانت بعض الأحاديث مشكلة في ظاهرها كقَوْلِهُ ﷺ : «**لا يَلْقَى اللَّه بِهِمَا عَبْد غَيْر شَاكٍّ فِيهِمَا إِلا دَخَلَ الْجَنَّة**» وَفِي آخِره «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» أ.هـ .

فلابد أن يُفهم هذا الحديث مع الأحاديث التي مفادها تعذيب أهل التوحيد بالمعاصي كحديث المُفلس ، وحديثِ آخر رجل يدخل الجنة ، وأحاديث الشفاعة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين وإخراجِ بعضِ أهلِ النارِ فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل صفراء ملتوية وغيرها .

وقد قال الله ﷻ : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [الحجرات : ١٥] .

الشرط الثالث : القبول للشهادة بمقتضياتها .

كما قال ﷻ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ٦٠] فكأن هؤلاء لم يعملوا بمقتضيات الإيمان والشهادة ، فصار إيمانهم زعمًا فقط .

وقال ﷻ عن الكفار ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ** ﴾ [الصافات : ٣٥ ، ٣٦] ، وذلك لأنهم علموا أن من لوازم الشهادة العمل بمقتضاها من ترك ما يعبد من دون الله .

وفي الصحيحين قول رسول الله ﷺ : «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى**

وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً ، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١)

فقبولهم للإيمان وللشهادتين حملهم على العمل بمقتضى ذلك.

الشرط الرابع : الانقياد لما دلت عليه الشهادتان انقيادًا تامًا

قال ﷻ : ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** ﴾ [الزمر : ٥٤] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ [النساء : ١٢٥] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ [لقمان : ٢٢] .

والعروة الوثقى : هى لا إله إلا الله ، ومعنى يسلم وجهه وهو محسن : أى ينقاد وهو محسن موحِّد فمن لم يكن على هذه الصفة فما أسلم وجهه لله واتبع الأمر .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٩) ، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري .

والانقياد للشهادتين ظاهرًا وباطنًا يثمر عند المؤمن من العمل بمقتضاها .

الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب

وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطيء قلبه لسانه

قال ﷻ : ﴿ **الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت : ١ - ٣] .

وقال ﷻ في شأن المنافقين الذين قالوها كذبًا : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [البقرة : ٨ - ١٠] .

وكم ذكر الله ﷻ من شأنهم وأبدى وأعاد وكشف أستارهم وهتكها ، وأبدى فضائحهم في غير موضع من كتابه كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة ، وسورة كاملة في شأنهم وغير ذلك .

وفي الصحيحين عن معاذ ﷺ قال : «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**» [(١)] .

فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقًا من قلبه فلا

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) ، ومسلم (٣٢) .

ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب .

وقد قال ﷺ لمن تعهد بفعل أمور : «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**» [(١)]، و«**صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ**» ، «**إِنْ تَصْدُقِ اللَّهُ يَصْدُقْكَ**»[(٢)].

الشرط السادس : الإخلاص المنافي للشرك

وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك .

قال ﷻ : ﴿ **أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾ [الزمر : ٣] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ [البينة : ٥] .

قال ﷻ : ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾ [الزمر : ٢] .

قال ﷻ : ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ﴾ [الزمر : ١١] .

وقال ﷻ عن المنافقين : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا . إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النساء : ١٤٥ ، ١٤٦] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦) ، ومسلم (١١) عن طلحة بن عبيد الله .

(٢) أخرجه النسائي في «الكبري» (٢٠٩١) .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»[١].

وقد قال عتبان بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»[٢].

الشرط السابع : الموالاة لأولياء الله ﷻ والمعاداة لأعدائه ﷻ، والكفر بما يعبد من دون الله

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

ولقوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وقال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] .

وقال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة : ٢٣]

وقال ﷻ : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٩٩) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٢٥) ، ومسلم (٣٣) .

وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] فاتخاذ أعداء الله ورسوله أولياء يناقض مقتضى لا إله إلا الله محمد رسول الله(١).

وتقدَّم أن الموالاة للمؤمنين والمعاداة للكافرين من الإيمان .

الشرط الثامن: المحبة لله

كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وهذا رجل ما إن أسلم ونطق الشهادتين حتى علم أنه ينبغي عليه أنْ يوالي من والى الله ورسوله ﷺ ، ويعادي من عادى الله رسوله ﷺ

فانظر إلى حديثه :

أخرج البخاري في صحيحه(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : «**مَا**

---

(١) وانظر «معارج القبول» وغيره من كتب السلف التي اهتم مؤلفوها بالكلام على شروط الشهادتين ففيها تفريعات .

(٢) برقم : (٤٣٧٢) ، ومسلم (١٧٦٤) .

عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ»، فَقَالَ : عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ**» ، قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ ، فَقَالَ : «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ**» ، فَقَالَ : عِنْدِ مَا قُلْتُ لَكَ ، فَقَالَ : «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**» ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، يَا مُحَمَّدُ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ ، فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ : صَبَوْتَ . قَالَ : لاَ ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلاَ وَاللَّهِ لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ .

وقد قال ﷻ عن الكفار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧﴾ الصافات.

لقد فهم هذا أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ حينما بايع البراء بن معرور وقومه رسول الله ﷺ واعترض قول البراء وعلم لازم البيعة فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ» ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً ، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْعُهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ ، وَتَدَعَنَا ؟ قَالَ : فَتَبَسَّمَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : «**بَلِ الدَّمَ الدَّمَ ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ أَنَا مِنْكُمْ ، وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ...**» (١).

فعلم هؤلاء أن لا إله إلا الله لها شروط، وتستلزم أشياء واجب الإتيان بها، فهؤلاء علموا شروطها، فأبوا أن يقولوها، أما كثير من الناس اليوم فيقولومها دو أن يفهموا معانيها.

وثمَّ أمثلة لبعض الصحابة بمجرَّد قولها:

منهم: هند بنت عتبة رضي الله عنها كما في الصحيحين(٢)عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَت رضي الله عنها: جَاءَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، ثُمَّ مَا أَصْبَحَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَهْلُ خِبَاءٍ،أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ، قَالَ: «**وَأَيْضًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**». هكذا بمجرَّد أن نطقت بالشهادتين!

ومنهم:ثمامة ابن أُثال رضي الله عنه: هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٠) بإسنادٍ جيد.

(٢)البخاري(٣٨٢٥) ومسلم(١٧١٤) .

مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، يَا مُحَمَّدُ، و مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَض إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَالله مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَض إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَالله مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ﷺ، وَلاَ وَالله، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ.(١)

ومَن لم يُكفِّر اليهود والنصارى والملحدين الذين اتضح كفرهم في القرآن والسنة بعد معرفته بأدلة تكفيرهم ، ويجزم أنهم في النار إن قامت عليهم الحجة، فهو كافر مُكذِّب لِمَا جاءِ في القرآن والسنة من تكفيرهم(٢)

وقد صرح القرآن والسنة بتكفيرهم، فقال الله ﷻ عن اليهود الذين قالوا

(١) أخرجه البخاري(٤٣٧٢) مسلم (١٧٦٤).

(٢) وبنحو هذا كانت فتوى «اللجنة الدائمة» (٢/ ٣٠).

عُزَير بن الله ، وعن الذين قالوا المسيح ابن الله : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [التوبة : ٣٠] .

وقال ﷻ عن فرقة من النصارى الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة : ١٧] .

وقال ﷻ عن الذين قالوا: إن الله ﷻ ثالثُ ثلاثةٍ الأبُ والابن وروح القدس: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [المائدة : ٧٣ ، ٧٤] .

وقال تعالى في شأن جماعة يكفرون ببعض ويؤمنون ببعض: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]

أما القائلون – من سذّج المسلمين – بأنهم أهل كتاب وليسوا كفارًا

فنقول هو من أهل النار – وإن كان من أهل الكتاب – ما لم يؤمن بما جاء عن نبيّنا ﷺ ، ويتبع الدين القيم ، دينَ الحق، دينَ الإسلام دين محمد ﷺ

الذي لا يقبل الله من أحدٍ من الناسِ سواه .

قال ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وقال رسول الله ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (١).

بل أمر الله ﷻ المسلمين بقتالهم لعدم اعتناقهم دين الحق بضوابط محلُها كتب الفقه .

قال ﷻ : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] .

أمّا من ودَّ هؤلاء اليهود والنصارى وحباهم واتخذهم أولياء – فهو منهم ـ إذا أقيمت عليه الحجة ـ وقد نفى الله عنه الإيمان .

قال الله ﷻ : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٥٣) باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد × إلى جميع الناس ونسخ الملل بملّته .

خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وقال ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ** ﴾ [الممتحنة : ١] .

وقال ﷻ في الكفار عمومًا : ﴿ **وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

وقال ﷻ فيمن يتخذهم أولياء : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المائدة : ٥١] .

وإني سائل من توقف في هذا سؤالاً :

يقول الله ﷻ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ** ﴾ [البينة : ٦] .

من الكافر من أهل الكتاب الآن والذي هو شر البرية وخالد في النار ، ومن هو المؤمن منهم ؟» **هل يقال بإيمان من لم يؤمن برسول الله ﷺ** ؟

مع قول رسول الله ﷺ «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» .وهو في صحيح مسلم قد تقدم ؟»

الدعوة إلى التوحيد

وأول ما ينبغي أنْ يُدعى الناس إليه التوحيد

قال الله ﷻ : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه أَنَّ مُعَاذًا – قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّكَ تَأْتِى قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ**» وفي رواية : **إلى أن يوحدوا الله** (١)

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» (٢) .

وفي الصحيحين من حديث عمر رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**» (٣) .

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ أعطى عليًا الراية فقال له :

---

(١) وهي في صحيح البخاري باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٩٥) ، ومسلم (١٩) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٩٩) ، ومسلم (٢٠) .

«انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ(١)» (٢).

ولا يكفي التلفظ بكلمة التوحيد وحدها، بل لابد من الكفر بما يعبد من دون الله ﷻ ، وهذا مقتضى معنى لا إله إلا الله .

قال الله ﷻ : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٦] .

فلا يغني التلفظ بالشهادتين مع كون الـمُتلفِّظ بها يدعو مع الله ﷻ إلهًا آخر أو يشرك في عبادته، أو يتقرَّب إلى غير الله ﷻ بقربان، أو يسأل المدد من الأموات أو يذبح لغير الله ﷻ أو نحو ذلك مما لا يصح صرفه إلا لله تعالى كالاستعانة والاستغاثة والتوكل والإنابة والدعاء وغير ذلك .

فهذا ناقض لكلمة لا إله إلا الله لا تبرأ ساحته إن صرف شيئًا من ذلك لغيره سبحانه إلا أن يكون له عذر .

---

(١) وحمر النعم هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يُضرب بها المثل في نفاسة الشيء ، وأنه ليس هناك أعظم منها .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٩٤٢) ، ومسلم (٢٤٠٦) .

قال ﷺ : «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**» [(١)]. **كما قال تعالى:«ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله»**

فهناك صور من الشرك قد يفعلها البعض وهي منافية للتوحيد أو لكماله كما قال ﷻ : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾ [يوسف : ١٠٦] فقد يقول القائل لا إله إلا الله رياءً فيشرك بعمله مع الله ﷻ ، أو يعلق تميمة مشتملة على شرك ، أو يحلف بغير الله ﷻ ، أو يدعو غير الله ﷻ ، أو نحو ذلك .

وقد خلق الله ﷻ الخلق ليعبدوه وبالإلوهية يُفردوه

قال الله ﷻ : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦ ، ٥٧] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقال ﷻ : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [النساء : ٣٦]

وثَمَّ أدلة أخرى

ومن سنة رسول الله ﷺ

حديث معاذ بن جبل ﵁ قَالَ : كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣) .

عُفَيْرٌ ، فَقَالَ : «**يَا مُعَاذُ ، هَلْ تَدْرِى حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ**» . قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : «**فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ : «**لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»[1].

ومن تعظيم الشهادتين أنها :

لو وضعت السموات والأرض في كفه و لا إله إلا الله في كفَّه مالت بهن لا إله إلا الله

فهذا نوح ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لابْنِهِ إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ : «آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَتَيْنِ ، آمُرُكَ بِلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٨٥٦) ، ومسلم (٣٠) . وما ورد من نهيه × عن إخبار الناس في قوله : «لا تُبشِّرهم» مع حثه ﷺ على تبليغ الناس العلم وعدم كتمانه ، والحض على تبليغ الشاهدُ الغائبَ ، إنما ذلك خشية اتكال الناس على مثل هذا تكاسلهم عن العمل ، وهذا نظير ما وافق عليه عمر رضي الله عنه حيث قال : «فَلاَ تَفْعَلْ فَإِنِّى أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ» ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**فَخَلِّهِمْ**» الذي أخرجه مسلم (٣٠).

قَصَمَتْهُنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ»[1] فلا يثقل مع لا إله إلا الله شيء .

وقال رسول الله ﷺ قال ﷻ : «**الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ أَوْ أَغْفِرُ وَلَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[2] .

وهذا من عظم أجر الشهادة وقد طاشت السجلات (تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر) لما وُضعت أمام لا إله إلا الله وثقلت البطاقة المشتملة على ذلك فلا يثقل مع اسم الله شيء[3] .

---

(١) أخرجه الامام أحمد (٢/ ٢٢٥) بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو وفي إسناده خلاف ذكرته في تحقيقه في كتابي «فقه الوصية» (ص١٤٠) وقد صححه الحافظ ابن كثير في «تاريخه» (١/ ١١٢) ط. الريان .

(٢) حديث صحيح أخرجه أحمد (٥/ ١٤٨) بإسناد حسن لحال عاصم بن بهدلة .

وفي صحيح مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر عن رسول الله × قال الله تعالى «**...ومن لقيني بقراب الأرض خطايا لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**» .

(٣) وذلك في حديث صحيح أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣) ، والترمذي (٢٦٣٩) ، وابن ماجة (٤٣٠٠)، وابن حبان (٢٢٥) من حديث عمرو بن العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ قَالَ : لا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ ، فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ ، فَيَقُولُ : لا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ**»

=

ومن أسلم لكنه أصرَّ على الذنوب التي كان يعملها أو أسلم بلسانه دون قلبه فإنه يعاقب بفعله في الكفر وفعله في الإسلام

لحديث ابن مسعود ﷺ قال : قَالَ أُنَاسٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالَ : « **أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الإِسْلاَمِ فَلاَ يُؤَاخَذُ بِهَا وَمَنْ أَسَاءَ أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلاَمِ**»[(١)] .

وفي رواية : « **مَنْ أَحْسَنَ فِى الإِسْلاَمِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فِى الإِسْلاَمِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ** » [(٢)] .

وهذا ليس ظلم لأنه ـ في الحقيقة ـ لم يُحدثْ توبة صادقة من كل إساءة كان يعملها، بل هو مُصرّ عازم على الذنب لم تصح توبته[(٣)] .

وقد استنبط من حديث ابن مسعود أن الذنوب التي كان الكافر يفعلها في

=

وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لا تُظْلَمُ ، قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كَفَّةٍ ، قَالَ : فَطَاشَتْ السِّجِلاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ ، وَلا يَثْقُلُ مع اسم الله شَيْءٌ» .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٩٢١) ومسلم (١٢٠) .

(٢) أخرجه مسلم (١٢٠) .

(٣) وأما حديث «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلاَّ وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ لاَ يُفَارِقُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا ...» فقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٠٤) رقم (١١٨١٠) ، وله علة سيأتي ذكرها تحت شرح اسم الله التواب جل جلاله .

جاهليته إذا أصر عليها في الإسلام ، فإنه يؤاخذ بها ؛ لأنه بإصراره لا يكون تاب منها ، وإنما تاب من الكفر فلا يسقط عنه ذنب تلك المعصية لإصراره عليها ، وإلى هذا ذهب الحليمي من الشافعية[١] .

لكن يبقى إشكال :

وهو أن الإجماع قد انعقد على أن المسلم لا يؤاخذ بما عمل في الجاهلية وبه جزم المحب الطبري وغيره

لكن نقد هذا الإجماع الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٢٦٧) بمخالفة أحمد والحليمي[٢] .

وقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**»[٣] .

وقال ﷻ لرسول الله ﷺ : ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال : ٣٨] فكيف يؤاخذ، وهذا مخالف لهذه الأدلة ؟

والجواب عليه :

أن الإسلام يهدم ما قبله ، فإذا أساء أخذ بالعقوبة لما جنته يده في الإسلام ،

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٢/ ٣٢٠) .

(٢) حكاه الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٢٠) والنووي في «شرح مسلم» (١/ ٤١٣) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٢١) .

ويُبكَّت لما فعله في الكفر .

كأن يقال له : ألست فعلتَ كذا وأنت كافر فهلا منعك إسلامك عن معاودة مثله ؟

قال الحافظ رحمه الله : وحاصله : أن العلماء أوَّلُوا المؤاخذة في الأول بالتبكيت وفي الآخر بالعقوبة[١].

وحكى نحوه الحافظ في «الفتح»[٢] عن الخطابي قال :

إن المراد بالإساءة ـ في الحديث الأول ـ الكفر لأنه غاية الإساءة وأشد المعاصي ، فإذا ارتد ومات على كفره كان كمن لم يسلم فيعاقب على جميع ما قدمه، وإلى هذا أشار البخاري .

والحقيقة أن من أصرَّ على بعض الذنوب بعد إسلامه أو أسلم بلسانه دون قلبه ما أسلم أصلاً إسلامًا صحيحًا فيعاقب ـ حكمة من الله سبحانه وتعالى ـ لما جناه بعد إعلانه لإسلامه أو قبله والله أعلم ونحوه هو مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) حكى نحوه الحافظ في «فتح الباري» (١٢/ ٣١٩) عن الخطابي وتعقبه بقوله : «والأولى قول غيره إن المراد بالإساءة الكفر ؛ لأنه غاية الإساءة وأشد المعاصي ، فإذا ارتد ومات على كفره كان كمن لم يسلم فيعاقب على جميع ما قدمه ، وإلى ذلك أشار البخاري بإيراد هذا الحديث بعد حديث «أكبر الكبائر الشرك» وأورد كلا في أبواب المرتدين...» .

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٣٢٠) .

رَحِمَهُ اللهُ وغيره [(١)].

ومن نواقض الإسلام

اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، وأفضل وأحسن من حكمه وأعدل، كمن اعتقد أن حكم الله لا يناسب العصر ولا يواكب الحضارة، أو استحل ما حرم الله من شرب الخمر أو الحكم بغير ما أنزل الله ونحو ذلك

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]

وقال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]

وقال: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]

فمن سوى بين حكم الله وحكم غيره فهو كافر

كما في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (١١/ ٧٠١).

وراجع ما دوناه في «التوضيحات الجلية في بيان عقيدة أهل السنة»، ففيه مناقشة مسألة الحكم بغير ما أنزل الله.

ومن نواقض الإسلام

بغض شيء مما أنزل الله أو مما دعى إليه الرسول ﷺ، فمن كان كذلك كفر وإن عمل به

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: ٨، ٩].

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ . فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٥ - ٢٨].

فبغض شيء مما جاء به رسول الله ﷺ ولو عمل به ردَّة

ومن نواقض الإسلام

الاستهزاء بالله أو بالرسول ﷺ أو بالقرآن أو بأي شعيرة من شعائر الإسلام سواء أكان واجبًا أم سنة

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ . وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ . فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ**

يَضْحَكُونَ . عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩- ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

ومن ذلك السحر، وسيأتي الكلام عليه

ومن ذلك مظاهرة المشركين ومعاونتهم على ما فيه أذى للمسلمين

وفي ذلك تفصيل ذكرته في «التوضيحات الجلية».

ومن ذلك ظنَّ البعض أنه يسعُه الخروجَ عن أوامر شريعة محمد ﷺ

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ - وإن كان في إسناده مقال -: «**لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»

ومن النواقض

الإعراض الكلي عن الدين

لا يتعلم أصله الذي يكون به مسلمًا (وإن كان لا يجب عليه تعلم التفاصيل)

فإن الله تعالى وصف الكفار بالإعراض في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ**﴾ [الأحقاف: ٣].

وقال: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**﴾ [السجدة: ٢٢].

فعدم الاهتمام بالدين لا يعلم ولا يعمل به ولا يلتفت إليه فهو واقع في كفر الإعراض.

لكن من أعرض كسلا فهذا لا يكفر

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره[١]، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعا[٢].

وتنزيل النواقض على المعينين له ضوابط تكلمنا عليها في غير هذا الموضع

فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم

(١) لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]

(٢) قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «مجموعة رسائل في التوحيد» ص ١٨٧.

كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام[١]

من ارتكب ناقضًا منها فسد إسلامه وحبط عمله وصار من الخالدين في نار جهنم ولا تنفعه دعواه للإسلام ما لم يكن معذورًا، وهي:

♦ **الأول من نواقض الإسلام : الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له .**

قال ﷻ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ٤٨] .

وقال ﷻ : ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَار** ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الزمر.

ومن الشرك :

الذبح لغير الله ﷻ كمن يذبح للجن ـ كالسحرة والمشعوذين ـ أو للقباب أو للموتى أو نحو ذلك .

قال ﷺ : «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ...**»[٢] . ويأتي مزيد لهذا .

ومن الشرك:

---

(١) وقد ذكر هذه النواقض الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن «مجموع رسائله» (١/ ٢١٢) وما بعدها بتصرف يسير وسيأتي تفصيل لهذه النواقض يأتي ذكره .

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٩٧٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

طاعةُ الأمراءِ والعلماءِ وغيرِهم في تحليلِ الحرامِ أو تحريم الحلال(١)

قال ﷻ عن اليهود والنصارىٰ الذين ساروا خلف من أحل لهم الحرام وحرم عليهم الحلال فأطاعوهم : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : ٣١] .

صور من الشرك وقعت في الأمة ولا حول ولا قوة إلا بالله

مثل شرك يقال له شرك المحبة :

وهو محبة الأشياء أو الأشخاص كحب الله ﷻ كما في قوله ﷻ :

---

(١) ويخرج من هؤلاء : المقلِّدين الذين لا يفهمون الحجة ، فإن فرضَهم التقليد لعجزِهم وعدم أهليتهم للإجتهاد أو لعدم فهم الحجة بأنفسهم ، فمن اتبع عالمًا أو أميرًا في شيء والعالم مخطئ والمقلِّد لا يعلم بخطئه فهو معذور

والحاصل أن هؤلاء على حالين كما قال شيخ الإسلام (٧/ ٧٠) «أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بَدَّلُوا دِينَ اللهِ فَيَتْبَعُونَهُمْ عَلَى التَّبْدِيلِ ، فَيَعْتَقِدُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَحْرِيمَ مَا أَحَلَّ اللهُ اتِّبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ خَالَفُوا دِينَ الرُّسُلِ فَهَذَا كُفْرٌ ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ شِرْكًا – وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ وَيَسْجُدُونَ لَهُمْ – فَكَانَ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَهُ فِي خِلافِ الدِّينِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ خِلافُ الدِّينِ ، وَاعْتَقَدَ مَا قَالَهُ ذَلِكَ دُونَ مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ؛ مُشْرِكًا مِثْلَ هَؤُلاءِ .

وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ اعْتِقَادُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ بِتَحْرِيمِ الْحَلالِ وَتَحْلِيلِ الْحَرَامِ ، ثَابِتًا لَكِنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ الْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَعَاصٍ ؛ فَهَؤُلاءِ لَهُمْ حُكْمُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

فكل من أحب شيئًا مع الله لا لله ، ولا من أجله فقد اتخذه ندًا من دون الله وقد تقدم نحوه .

ومن الشرك: الرياء وهو العمل لغير الله ـ لإرادة المخلوقين أو غير ذلك ـ

وقد سُمِّى شركًا في قوله ﷺ : «**قَالَ اللَّهُ ﷻ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِى عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِى فَأَنَا مِنْهُ بَرِىءٌ وَهُوَ لِلَّذِى أَشْرَكَ**».

وفي رواية مسلم : «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».[1]

والعمل لغير الله سبحانه وتعالى أقسام :

الأول : أن يكون رياءً محضًا بحيث لا يراد به سوى مُراآة المخلوقين لغرض دنيوي كحال المنافقين الذين قال الله عنهم : ﴿ **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى** ﴾ [النساء : ١٤٢] . فويل لهم .

وهذا الرياء لا يكاد يصدر من مؤمن في فرضي الصلاة والصيام وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها ، فإن الإخلاص فيها عزيز .

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٢٩٨٥) واللفظ الأول لابن ماجة (٤٢٠٢) .

وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه مستحق المقت والعقوبة من الله ﷻ .

الثاني : أن يكون العمل لله ـ ويشاركه الرياء وهو قسمان :

الأول : أن يشاركه الرياء من أصله :

فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضًا .

ويدل على ذلك الحديث المتقدم : «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» .

وفي حديث أبي سعد بن أبي فضالة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ نَادَي مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ ﷻ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ**»[1] .

وقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده»[2] بإسنادٍ حسن من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«**بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ . فَمَنْ**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٦) وغيره بإسناد قال عنه ابن المديني «إسناده صالح» كما حكاه الحافظ في «الإصابة» (٧/ ١٤٥) ، ويشهد له رواية مسلم المتقدمة فإسناده حسن والله أعلم .

(٢) وابنه في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٤) .

عَمِلَ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ» .

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ [(١)] **عن هذا النوع:**

«لا نعرف عن السلف في هذا خلافًا وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين» .

الثاني : أن يكون أصل العمل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ثم يطرأ عليه نية الرياء :

فإن كان خاطرًا ودفعه ، فلا يَضره بغير خلاف ، وإن استرسل معه ، فهل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازيه الله على أصل نيته ؟ .

في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف :

قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازيه بنيته الأولى .

فإن خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء مثل أخذ أجرة للخدمة ، أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكلية ، ففي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ إِلاَّ تَعَجَّلُوا ثُلُثَىْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ**» [(٢)] .

---

(١) في «جامع العلوم والحكم» ص (٤٧) .

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٩٠٦) .

ذكر هذا ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم قال :

وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عرضًا من الدنيا أنه لا أجر له [١].

«وهى محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد» [٢].

وأما إذا عمل العمل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خالصًا :

ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضرّه ذلك ، لحديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن الرجل يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ : «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**» [٣].

وقد اختار الغزالي فيما يتعلق بالثواب أنه إن كان القصد الدنيوي هو الأغلب لم يكن فيه أجر، أو الديني أجر بقدره، وإن تساويا فتردد القصد بين الشيئين فلا أجر، وأما إذا نوى العبادة وخالطها شيء مما يغاير الإخلاص فقد نقل أبو جعفر ابن جرير الطبري عن جمهور السلف أن الاعتبار بالابتداء فإن كان ابتداؤه لله خالصًا لم يضرّه ما عرض له بعد ذلك من إعجاب وغيره والله أعلم[٤].

---

(١) لكن في ثبوتها عندي نظر من ناحية أسانيدها .

(٢) «جامع العلوم الحكم» (ص٤٨) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٤٢) .

(٤) «فتح الباري» (١/ ٢٠) شرح حديث الأعمال بالنيات ، وقد قال بدر الدين بن جماعة في

=

ولذلك جزم بعض العلماء بأنه لا يجوز الإقدام على العمل قبل معرفة الحكم لأن في حديث «**الأعمال بالنيات**» أن العمل يكون منتفيًا إذا خلا عن النية ولا يصح نية فعل الشيء إلا بعد معرفة حُكمه (١).

وسيأتي مزيد في باب التحذير من الشرك.

♦ **الثاني من النواقض**:

أن يجعل العبد بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ففاعل هذا يكفر إجماعًا .

قال ﷻ عن الكفار : ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ [الزمر : ٣] .

وقال تعالى : ﴿**وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾

=

«تذكرة السامع والمتكلم» ص(٩٣) : «ومن أدوية الرياء الفكر بأن الخلق كلهم لا يقدرون على نفعه بما يقضه الله له ، ولا على ضَيره بما لم يُقدِّره الله تعالى عليه ، فَلِمَ يُحْبِطُ عمله ويضرّ دينه ويُشْغِلُ نفسه بمراعاة من لا يملك له في الحقيقة نفعًا ولا ضرًا ؟» مع أن الله تعالى يطلعهم على نيته وقبح سريرته كما صح في الحديث : «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**» البخاري ومسلم وسيأتي .

(١) المصدر السابق .

[يونس : ١٠٦]

وقال ﷻ : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون** ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

تنبيه :

النداء للأموات كدعائهم سواءً بسواء فقد سمى الله تعالى النداء دعاء كما في قوله تعالى عن إبراهيم ﵇ : ﴿ **إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** ﴾ [مريم : ٣] . أي دعا ربه دعاءً خفياً.

وقال عن يونس ﵇ : ﴿ **فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

فنداء الأموات كدعائهم لا فرق بين هذا وذاك وكله من البدع الشركية .

♦ الناقض الثالث من نواقض الإسلام :

من لم يُكَفِّرْ المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعًا .

ولا يكفي قول لا إله إلا الله للدخول في الإسلام حتى يكفر بما يُعْبَدُ من دون الله ﷿ .

قال ﷺ : «**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**»[1].

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣) .

وفي كتاب الله ﷻ عن إبراهيم ﷺ : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴿٤﴾ ﴾ الممتحنة.

وفي كتاب الله ﷻ ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة : ٢٥٦].

فعلى المسلم أن يعتقدَ بطلانَ عبادة غيرِ اللهِ ﷻ ويتركها ويُبغضها ويُكفِّرَ أهلَها ويعاديَهم ـ وقد تقدم مزيد عن هذا الناقض ـ

♦ **الناقض الرابع من نواقض الإسلام :**

من اعتقد أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه .

كالذين يفضّلون حكم الطاغوت على حُكمه ، وهو حينئذٍ مُصادم لشرع محمدٍ ﷺ الذي كان يقول في خطبته كثيرًا :

«أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ﷻ وخير الهدى هدى محمد ﷺ» (١).

قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ

(١) وهذا في صحيح مسلم (٨٦٧) .

الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

قال ﷻ : **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا ﴾** [النساء : ٦٠] .

♦ الناقض الخامس من نواقض الإسلام :

أن يبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ فهو كفر إجماعًا ولو عمل بهذا الذي يكرهه .

قال الله ﷻ : **﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾** [محمد : ٨ ، ٩] .

وقال ﷻ : **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾** [محمد : ٢٨] .

♦ الناقض السادس من نواقض الإسلام :

الاستهزاءُ بشيءٍ من دينِ الرسولِ ﷺ أو ثوابِهِ أو عقابِهِ فهذا كفر .

قال الله ﷻ عن قوم استهزأوا بالقرآن وادعوا أنهم كانوا يخوضوا ويلعبوا: **﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾** [التوبة : ٦٥ ، ٦٦] .

وقال ﷻ : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ**

هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المطففين : ٢٩ - ٣٤] .

فمن وجد أحدًا منهم يستهزيء بشيء من الدين أو يسخر منه أو يلمز أهل الإمان أو يضحك عليهم أو نحو ذلك فليُعرض عنه ولا يَقْعُد معه إلا إذا كان النصح يجدي فيقعد مضطرًا بقدر المنفعة :

قال ﷻ : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠] .

ويأتي مزيد لهذا الناقض في موطنه من هذا الكتاب والله المستعان .

♦ الناقض السابع من نواقض الإسلام :

السحر، تَنَاولُه أو فعلُه أو تعليمهُ أو الرضا به.

لقوله ﷻ : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

ولذلك وردت الأدلة على قتل الساحر وأن حده ضربة بالسيف .

♦ الناقض الثامن من نواقض الإسلام :

مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .

مثل الذب عنهم أو موالاتهم أو إعانتهم بالمال أو البدن أو الرأي أو نحو ذلك ، وثم تفصيل ذكرته في «التوضيحات الجلية» فاستغنيت عن تكراره .

قال الله ﷻ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المائدة : ٥١ ، ٥٢] فإلقاء المودة إليهم مع كفرهم بما جاء به الرسول جعلهم منهم كما في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴿٥١﴾﴾ المائدة.

وقد تقدم حديث ثمامة بن أثال ﷺ ، وتقدم أن من شروط لا إله إلا الله الموالاة لأولياء الله والمعاداة لأعدائه .

♦ **الناقض التاسع من نواقض الإسلام :**

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام[١] فهو كافر لأنه مكذب لقول الله ﷻ ولرسوله ﷺ : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

ولحديث ابن مسعود ﷺ قال : خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ : «**هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ**» ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ : «**هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ قَرَأَ ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾[٢].

---

(١) كمن يعتقد أن فلانًا سقطت عنه الصلاة أو نحو ذلك لأنه من الأولياء أو من الأقطاب أو نحو ذلك.

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٤١) ، وابن حبان (٦) بإسنادٍ حسن .

وقد قال ﷺ : «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى**» قَالُوا : وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[(١)].

♦ الناقض العاشر من نواقض الإسلام :

الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾ [الكهف : ٥٧] .

فإذا أعرض المرء بسمعه وقلبه ، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغى إلى ما جاء به فهو كافر .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ** ﴾ [سبأ : ١٦] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾ [فصلت : ١٣] وقوم عاد وثمود كانوا كفارًا .

وقال عز وجل : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ** ﴾ [الأحقاف : ٣] .

وقد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله **عقب ذكر هذه النواقض :**

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازِل والجادّ والخائف إلا المكره فقط .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) .

لقول الله ﷻ : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦] .

فلابد من اطمئنان القلب بالإيمان إن قال المرء أو فعل وهو مُكْرَه .

واعلم أن من امتنع من النطق بالشهادتين مع القدرة علي ذلك كان كافرًا مخلدًا في النار وإن علم أنهما حق واعتقد صحتهما وضرورة النطق بهما .

لقوله ﷺ : «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِى قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَكَانَ فِى قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً**» .

وفي رواية قال ﷻ : «**وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي » وَعَظَمَتِي ، وَجِبْرِيَائِي لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**» [(١)] .

وأبو طالب لما امتنع من القول بها مع القدرة عليها جعله الله ﷻ من المخلدين في نار جهنم[(٢)] .

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣) ، واللفظ له من حديث أنس رضي الله عنه وقوله «وجبريائي» أي : عظمتى وسلطاني أو قهري .

(٢) وحديثه في صحيح البخاري (١٣٦٠) ، ومسلم (٢٤) .

فهو في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه[١] بشفاعة رسول الله ﷺ الخاصة به لا لأحد من أهل الشرك غيره لأنه كان يحوط النبي ﷺ ويمنعه من أذى المشركين.

ومن حقق التوحيد الخالص لله دخل الجنة بغير حساب .

قال رسول الله ﷺ : «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ ، فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ» . ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ .فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ ﷺ : هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ[٢]، ولا يكتوون [٣]، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ [٤]وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ[١]»[٢]** .

---

(١) ففي صحيح مسلم (٢١٢) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ» .

(٢) أي لا يطلبون من يرقيهم، ولكن يظهر لي جواز التعريض لا التصريح بطلب الرقية .

(٣) أي مع جواز الكي فالمقصود أنهم يتركونه تنزيهًا وإن كان ليس محرمًا ، فقد أخرج الترمذي (٢٠٥٠) وابن حبان (٦٠٧١) أن النبيﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة ، وكذلك قد كُوى أنس في ذات الجنب في حياة رسول الله ﷺ كما في صحيح البخاري (٥٧١٩) .

(٤) الطيرة : هي التشائم بالمرئيات أو المسموعات يتشاءم حتى يرده التشاؤم ويوقفه عن حاجته .

=

وقد وردت رواية:«**لا يرقون**» ولكنها لفظة معلولة كما بينت في شرحي لكتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وسيأتي تعليق عليها أيضاً إن شاء الله تعالى.

=

قال ﷺ : «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**» أخرجه أبو داود (٣٩١٠) بإسنادٍ صحيح وأُعلَّت زيادة في آخره «وما منا إلا ولكن يذهبه الله بالتوكل ...» سيأتي تحريرها ، وفي صحيح مسلم (٥٣٧) من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ الله ﷺ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِى الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِى الْكُهَّانَ، قَالَ ﷺ : «**فَلاَ تَأْتُوا الْكُهَّانَ**» قَالَ قُلْتُ كُنَّا نَتَطَيَّرُ، قَالَ ﷺ: «**ذَاكَ شَىْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِى نَفْسِهِ فَلاَ يَصُدَّنَّكُمْ**» فلا عدوى تُؤَثِّر بنفسها ولا طيرة .

(١) وعلى ربهم يتوكلون : أي يعتمدون على الله ﷻ ، ويفوِّضون أمورهم إليه : فهذا شأنهم ثقة بالله ﷻ إذ يعلمون أنه لا يصيبهم إلا ما كتب الله لهم فهم بُعداء بُعداء عن الشركيات بل والمكروهات كالكي بالنار

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٠٥) ، ومسلم (٢٢٠) .

التحذير من الشرك

اعلم أن الشرك بالله ﷻ من أعظم الذنوب، وقد سُئل النبي ﷺ : أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ ، قَالَ ﷺ:«**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» (١)، فمن أشرك فقد حبط عمله لأنه ضل ضلالاً بعيدًا ، وقال ﷺ :«**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ ثَلاثًا : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ...الحديث**»

أخرجه مسلم من حديث أبي بكرة .

وأمر النبي ﷺ باجتناب الموبقات – المهلكات – وعدَّ أولها «الشرك بالله».(٢)

ولذا كان لا يغفره الله ـ إن مات الإنسان عليه ـ .

قال ﷻ :﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء** ﴾ [النساء : ٤٨] .

ولا يُحمل قوله تعالى: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء** ﴾ على التائب من الذنب إذ السياق لا يستقيم بذلك إذ هو يصادم حديث عبادة المتقدم.

ويكون المعنى ويغفر ما دون ذلك للعبد إذا تاب منه ليخرج على الناس بمذهب الخوارج الذين يكفرون الناس بعموم المعاصي ويقول إن من مات

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٤٧٧) ، ومسلم (٨٦) من حديث ابن مسعود .

(٢) كما في الصحيحين البخاري (٢٧٦٦) ، ومسلم (٨٩) .

على أي ذنب دون توبة فإن الله يخلده في النار.

وفي الآية السابقة قد خص الله نوعًا من أنواع الذنوب إن شاء غفره لقوله ﷻ : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [الزمر : ٥٣] .

ففي الآية الأولى خص الله نوعًا من أنواع الذنوب بالمغفرة متى شاء وهو ما دون الشرك .

أما في الآية الثانية أطلقَ غفرانَ الذنوبِ جميعها لمن تابَ ولم يذكر نوعًا من أنواعِ الذنوب .

فالآية الأولى في شأن من لم يتب ومات على الذنب الغير مكفر ، بخلاف الآية الثانية فهي في شأن من تاب من أي ذنب ، ولذلك كان مَن مات وهو يشرك بالله شيئًا ، يسيرًا كان أو كثيرًا دخل النار كما قال ابن مسعود رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّار وَمَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1] .

أجارنا الله وأقاربنا وذريتنا من الشرك عظيمه وحقيره وأماتنا على العروة الوثقى .

فقد كان الأنبياء والصالحون يخافون من الشرك على أنفسهم وأبنائهم لأنه

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٣٨) ، ومسلم (٩٢) ومؤخرة الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه كما سيأتي .

يُفوِّت عليهم الخير ويجلب لهم ما لا يوصف من الشر .

قال إبراهيم ﷺ وهو يدعو ربه : ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ** ﴾ [إبراهيم : ٣٥] وهو أبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكيف لا يخاف من الشرك وهو الظلم العظيم ولذا .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء** ﴾ [النساء : ٤٨]

وقال ﷺ : «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» ، قال ابن مسعود : وأنا أقول : «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١) .

وفي حديث جابر رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارِ**» (٢) .

وفي رواية أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَان ؟ فَقَالَ ﷺ : «**مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» (٣) .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٣٨) ، ومسلم (٩٢) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٩٣) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٩٣) أيضًا .

والرياء من الشرك الأصغر

وهو أن يعمل المرء العملَ يحسِّنه يرجو بذلك وجه الناس[(١)].

والله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبًا وهو أغنى الشركاء عن الشرك من ابتغى في عمله معه أحدًا تركه اللهُ وشركَه .

ففي مصنف ابن أبي شيبة وصحيح ابن خزيمة بإسنادٍ صحيح عَنْ مَحْمُودِ ابْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : «**أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**» ، قَالُوا : وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ ؟ قَالَ ﷺ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ ، جَاهِدًا ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**» [(٢)].

---

(١) وذلك حبُّ لذة الحمد والثناء والمدح أو الفرار من الذم أو الطمع فيما في أيدي الناس .

هؤلاء الأصناف الثلاثة هم المذكورون في حديث أبي موسى الأشعري قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، قَالَ : «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**» أخرجه البخاري (٢٦٥٥) ، ومسلم (١٩٠٤) .

فقوله «يُقَاتِلُ شَجَاعَةً» : أي ليذكره الناس بخير ويمدحوه ويثنوا عليه .

وقوله «حَمِيَّةً» : أي ليفر من الذم أنفة .

وقوله «يُقَاتِلُ رِيَاءً» : ليُرى مكانه ، وهذا هو لذة الجاه والمنزلة .

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٣٤٠٠) من طريق أبي خالد الأحمر وعيسى بن يونس كلاهما عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال .... فذكره ، وإسناده صحيح رجاله ثقات .

=

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ **أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** ﴾ (١).

أي لم أقبله بل أتركه لذلك الغير .

والمقصود أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به .

وفي حديث أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ ـ وَكَانَ مِنْ الصَّحَابَةِ ـ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِذَا جَمَعَ اللَّهُ ﷻ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَغْنَى**

=

وأخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٢٧) من طريق أبي خالد الأحمر وحده ، وخالف أبو خالد ـ في رواية أخرى عند البيهقي (٢/ ٢٩٠) ـ هذه الرواية ورواه بنفس الإسناد إلا أنه قال عن محمود ابن لبيد عن جابر ﷺ والأول أقوى ، وقد روى الإمام أحمد (٥/ ٤٢٧) قول محمود بن لبيد «أتانا رسول الله ﷺ فصلى بنا المغرب» وهذا ما يدل على إثبات صحبة محمود بن لبيد ﷺ فلا إشكال والإسناد حسن كما بينته في كتابي «الجامع في ذكر رواية المراسيل» .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٨٥) .

الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ»[١].

وأكثر ما كان يخاف علينا النبي ﷺ منه الرياء هذا .

ففي حديث مَحْمُودِ بْنِ لَبِيد ـ السابق في رواية منه ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ ؟ ، قَالَ ﷺ : «**الرِّيَاءُ**» . إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : «**يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا ، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»**[٢].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ»**[٣].

قال العلماء معناه :

من راءى بعمله وسمَّعَه الناسَ ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمَّع الله

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٦، ٢١٥) وبعض أصحاب السنن من طريق محمد بن بكر البرساني عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن زياد بن مينا عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري به وإسناده ثابت .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٩) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد به ، وإسناده قوي .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤٩٩) ، ومسلم (٢٩٨٦) .

به يوم القيامة وفضحه[(١)].

وأنبه إلى أن الرياء قد يدخل على الصالحين ؛ لأنه قد يراءي بصلاته، وزكاته ، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر ، وطلبه للعلم ، وخطبته، وذبحه ، وإطعامه، وبره بأمه أو بوالديه .

وهو أخفى من دبيب النمل، ليس كدبيب النمل بل هو أخفى ، والله المستعان، فليتنبه له [(٢)].

---

(١) وقيل معناه من سمَّع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه وقيل أسمعه المكروه ، وقيل أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه ، وقيل معناه من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه.أ . هـ .

(٢) وإنَّ خطره عظيم جسيم فإن الرياء يفضي بالمرء إلى الشرك الأكبر وهو سبب حبوط الأعمال كما قال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

وهو سبب للعذاب في الآخرة المراؤون أول من تسعر بهم النار يوم القيامة كما في صحيح مسلم (١٩٠٥) في ذكر الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار يوم القيامة .

والرياء سبب للهوان والفضيحة فالنبيﷺ يقول : «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي الله بِهِ**» أخرجه البخاري (٦١٣٤) ، ومسلم (٢٩٨٦) .

ويعالج الرياء بمعرفة عظمة الباريء سبحانه وأنه لا يليق صرف العمل له إلى العمل لغيره ، والدعاء وكثرة اللجوء إلى الله ليجعل العمل خالصًا صوابًا ، ومعرفة خفايا الرياء وعواقبه، ومن =

ومن الشرك: تعليق التميمة[1] (الحجاب أو الورقة) المشتملة عل كلام شرك أو غير مفهوم أو كلام مشتمل على استغاثة أو استعانة بجن أو نحو ذلك .

أما تخصيص ذلك بما ذكر فجمعًا بين حديث عقبة بن عامر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا قَالَ ﷺ : «**إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا فَبَايَعَهُ وَقَالَ مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ**»[2] .

وحديث أبي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُول اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولاً أَنْ لاَ يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِنْ

=

يتقي الرياء يخفي العمل ففي إخفاءه راحة ، ومصاحبة أهل العلم والإخلاص ومراقبة النفس وحث الناس على الإخلاص وتحذير الناس من الرياء ومعرفة ثمرات الإخلاص ونحو ذلك ، كل ذلك مما يعين على إخلاص العمل لله تعالى .

(١) التمائم شيء يعلَّق على الأولاد وغيرهم يتقون به من العين ونحوه . قال ابن عبد البر : إذا اعتقد الذي قلَّدها أنها ترد العين فقد ظن أنها تردّ القدر وذلك لا يجوز اعتقاده. حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٧٣) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا يزيد ابن أبي منصور عن دُخَين الحجري عن عقبة بن عامر به وإسناده قوي .

وأخرج أحمد (٤/ ١٥٤) عنه ﷺ بإسنادٍ فيه مقال بلفظ «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلاَ أَتَمَّ الله لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلاَ وَدَّعَ الله لَهُ» .

وَتَرٍ أَوْ قِلاَدَةٌ إِلاَّ قُطِعَتْ»[١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ الرُّقَى**[٢] **وَالتَّمَائِمَ ، وَالتِّوَلَةَ**[٣] **شِرْكٌ**»[٤].

وورد في رواية أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رأى في عنق امرأته خرزًا قد تلَّعقته من الحمرة فقطَّعه وقال : إن آل عبد الله لأغنياءٌ عن الشرك[٥].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠٠٥) ، ومسلم (٢١١٥) .

(٢) أي المشتملة على شرك أو كلام غير مفهوم «ويسميها السحرة عزيمة»، وأما إذا كانت بشيء من القرآن أو الأدعية فتجوز لآثار في ذلك، وقد رقى النبيﷺ وأقر من رقى بفاتحة الكتاب .

(٣) التولة : هي شيء يضعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والزوج إلى امرأته .

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٨١) إلا أن في طرقه كلها مقال فلم أر إسنادًا يسلم ولكن له طريق آخر يتقوى به . أخرجه الحاكم (٤/ ٢٤١) وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني في «الصحيحه» (٣٣١)

ولكن أحمد بن مهران في الإسناد ولم أر معتبراً وثقه، إلا أن أبا نعيم قال عنه: كان لا يخرج من بيته إلا للصلاة. كذا في «أخبار أصبهان» في ترجمته، وقد أخرج الطبراني في«الأوسط»(١٤٤٢) بإسناد حسن عَنْ قَيْسِ بْنِ السَّكَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الله ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: كَانَ مِمَّا حَفِظْنَا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ : «**أَنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ مِنَ الشِّرْكِ**» . فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: وَمَا التِّوَلَةُ؟ قَالَ: «التَّهْيِيجُ» .

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٣٤٣)والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٧٤) رقم (٨٨٦١) عن معمر عن عبد الكريم الجزري ـ وتصحف عند عبد الرزاق عبد العزيز ـ عن زياد بن أبي مريم أو عن أبي
=

وإن كان في أسانيد هذين الخبرين مقال إلا أن المعنى هو المعنى الموجود في الحديث الصحيح المتقدم وقد صححه بعض العلماء فلا إشكال في المعنى .

فَلْيَرق المرء بما أذن فيه الشافي سبحانه الذي لا شفاء إلا شفاؤه شفاءً لا يغادر سقمًا.

وانظر إلى هذا الوعيد الشديد لمن علَّق وترًا أو غيره من الخيط وتعلَّق به .

فقد أخرج النسائي وأحمد بإسنادٍ صحيح من طريق شُيَيْمَ بْنِ بَيْتَانَ أَنَّهُ سَمِعَ رُوَيْفِعَ بْنَ ثَابِتٍ يَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي**[١] **فَأَخْبِرْ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ**[٢] **أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا**[٣] **أَوْ اسْتَنْجَى**

=

عبيدة شك معمر قال : رأى ابن مسعود في عنق امرأته...، ورواه الطبراني (٨٨٦٣،٨٨٦٢) من طريقين عن غير معمر وسماه أبا عبيدة عن عبد الله بن مسعود ولكن لم يسمع منه عند الجمهور، والخبر لا يثبت.

(١) فقد طالت حتى توفى سنة ٣٥ بإفريقيا وهو آخر من مات من الصحابة كما ذكره أبو زكريا بن مندة فيما حكاه السيوطي في «شرح النسائي» (٨/ ١٣٥) وقيل توفى سنة ٥٦ .

(٢) عقد لحيته : أي جَعَّدَها ونفشها للتكبر والتعاظم ، وقيل صففها تصفيفًا يناسب ميوعة النساء وأهل التخنس وقد كانوا يفعلون ذلك تكبراً وعجبًا .

أما العناية بها وتسريحها وتكريمها فهذا ليس منه فإن الله جميل يحب الجمال .

(٣) تقلد وترًا : وهو ما يتخذ من الأمعاء وغيره وكانت الجاهلية تقلدها الإبل والصبيان حذر العين.

بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ[(١)] فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»[(٢)].

وذلك والله أعلم لكونها مظنة لأن يصحبها اعتقاد أن لغير الله تأثيرًا في الشفاء من الداء ، وفي المحبة، والبغضاء فكيف بمن نادى غير الله وطلب منه مالا يطلب إلا من الله ، واعتقد استقلاله بالتأثير أو اشتراكه مع الله ﷻ [(٣)].

أما إذا كان المعلّق شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله مع وجود الاعتقاد بأن الضر والنفع إنما هو من الله فالأحسن حسم هذا الباب بالكلية سداً لذرائع الشرك .

فقدْ صحح بعض العلماء ما أخرجَه أبو داود والبخاري في «خلق أفعال العباد

---

(١) لأن العظم طعام إخواننا من الجن كما أن البعر علف لدوابهم كما في صحيح مسلم (٤٥٠) وقد نهى ﷺ عن أن نستنجي برجيع كما عند مسلم (٤٥٠، ٢٦٣) .

(٢) أخرجه النسائي (٥٠٦٧) ، والطحاوي في «شرح المعاني» (١/ ١٢٣) رقم (٧٠١) عن حيوة بن شريح ، وأحمد (٤/ ١٠٨) عن ابن لهيعة كلاهما (حيوة وابن لهيعة) عن عياش بن عباس القتباني أن شييم بن بيتان سمع رويفع فذكره وهذا إسنادٍ صحيح ولا يضر أن يرويه أبو داود (٣٦) من طريق الْمُفَضَّلِ بْن فَضَالَةَ عَنْ عَيَّاشٍ أَنَّ شُيَيْمَ بْنَ بَيْتَانَ أَخْبَرَهُ عَنْ شَيْبَانَ الْقِتْبَانِيِّ قَالَ: إِنَّ مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ اسْتَعْمَلَ رُوَيْفِعَ بْنَ ثَابِتٍ عَلَى أَسْفَلِ الأَرْضِ... فذكره .

فأثبت شيبانَ القتباني وشيبان هذا فيه جهالة ولكن حيوة ، وإن كان دون المفضل بن فضالة الذي أثبت الواسطة إلا أن حيوة ثقة وتابعه ابن لهيعة إضافة إلى أن شييم قد صرح بالسماع من رويفع فلا إشكال في تصحيح الخبر والله أعلم .

(٣) قاله الخطابي في «الغنية عن الكلام وأهله» ص١٤ .

» عن عبد الله بن عمرو أنه كَانَ يُعَلِّمُ بنيه مِنْ الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ.

وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ عمرٍو يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ عَقَلَ مِنْ بَنِيهِ وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ كَتَبَهُ وَعْلَقَهُ عَلَيْهِ. وله إسناد ظاهره الصحة.

وليس في الصحابة مبتدع على الإطلاق وعبد الله بن عمرو من علماء الصحابة وكان أكثرهم حديثًا بشهادة أبي هريرة ﵁ .

لكن من يُضَعِّف الأثر عن عبد الله بن عمرو- وهو الراجح لدينا- فيحرم عنده تعليق التمائم مطلقاً سواء كان المعلَّق من كتاب الله سنة رسوله والأذكار والأدعية، أم كانت من الطلاسم التى لا تعرف معناها .

وإن كان الأحسن حسم مادة الشرك وسدّ الذرَائع واستبدال ذلك بما كان من عموم أحوال النبي ع وأصحابه من الرقى والتعاويذ والأدعية فإن الأحاديث والأدلة الواردة في الرقى والتعاويذ ونحو ذلك أصح بكثير(١) من خبر عبد الله ابن عمرو هذا والله أعلم(٢).

---

(١) وقد ذكرت أكثرها في كتابنا «تبصير النساء» (١/ ٣٧) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٩٣) ، والترمذي (٣٥٢٨) ، والإسماعلي في «المعجم» (١/ ٤٦٢) ترجمة

=

ويعجبني أن لا تعلق التمائم ولو كان المعلق شيئًا من القرآن لأمور :

الأول : أن ذلك لم يُؤثَر عن غير عبد الله بن عمرو- إن صح عنه- والذي عليه أكثر الصحابة أولى بالاتباع ، وتحسين حديثه إنما هو على مضد .

الثاني : أنَّ الأحاديث في النهي عن التمائم جاءت عامة ، ولم يأت حديث واحد في الإذن بذلك .

الثالث : أنَّ تعليق شيء من القرآن والأدعية والأذكار المشروعة والاستعاذة عبادة ، والأصل في العبادات التوقيف ، فلا يجوز إحداث عبادة إلا بدليل .

الرابع : أنَّ في تعليق هذه التمائم بشيء من القرآن تعريض لها للإهانة والنجاسة والنوم عليها ودخول الخلاء بها وربما تبول الأطفال عليها ونحو ذلك .

والله تعالى يقول : ﴿ **وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج : ٣٢] .

الخامس : أنَّ في المنع من ذلك سدًّا لذريعة الشرك، وتعلق القلوب بغير الله تعالى، ولا يتخيَّل أن يستمسك المعلِّق بها علَّقه بعد ما سمع هذا إلا لتعلُّق قلبه بهذه

=

محمد بن إسحاق الصوفي بإسنادٍ فيه عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس ولم أره صرح بالتحديث . وله طريق آخر عند البخاري في «خلق أفعال العباد» ص٩٦ وتكلمت على تقويته من عدمها في كتابي «تبصير النساء» (١/ ٣٦) .

التميمة، والله أعلم.

ومن التمائم المنهيّ عنها – والتي وقعت في زماننا – :

تعليق بعضهم نعل الفرس على باب الدار، أو في صدر المكان، وتعليق بعض السائقين نعلاً في مقدمة السيارة أو مؤخرتها، أو في رقبة الحيوان، أو الخرز الأزرق على مرآة السيارة التي تكون أمام السائق من الداخل، كل ذلك من أجل العين زعموا » [(١)].

ويدخل في ذلك وضع المصحف في السيارة بقصد حفظها من المصائب، هذا يُمنع، ونحو ذلك .

ومحصلة الباب [(٢)]:

---

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني طيب الله ثراه (٢/ ٦٥٠) بتصرف يسير .

(٢) «النهاية في غريب الأثر» (٢/ ٦٢١) ، و«شرح الكلم الطيب» للبدر العيني ص(٤١٠) بتصرُّف .

(٢) أخرجه النسائي(٧٥٦١) وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٢٧٢) بإسناد صحيح من طريق عَقَار بْن الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِيهِ، فَلَمْ أَحْفَظْهُ فَمَكَثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَمَرْتُ حَسَّانَ مَوْلًى لِقُرَيْشٍ، أَنْ يَسْأَلَهُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَأَلَهُ فَقَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**مَا تَوَكَّلَ مَنِ اكْتَوَى وَاسْتَرْقَى**»، ومعناه محمول على حق التوكل

(٢)وهذا أخرجه أحمد وأبو داود (٣٨٩٦) بسند يحسن إذ له شواهد.

أن الرقي يكره منها ما كان بغير اللسان العربي وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة ، وأن يعتقد أن الرقية نافعة لا محالة فيتكل عليها ، وإياها أراد بقوله «ما توكل من استرقى»(١) ولا يكره منها ما كان بخلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن وأخذ عليه أجرًا فقد قال ﷺ:« **فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةٍ بَاطِلٍ، لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةٍ حَقٍّ**»(٢) قال ذلك لمن أخذ على الرقية أجراً.

وأما كتابته وتعليقه – وهو من النوع الأول – ، فيحرم وعليه تتنزل الأحاديث المانعة ، وأما إن كان من القرآن والأذكار ، فأقل ما فيه الكراهة، والأولى تركه كما هي أغلب عادة السلف، ولسد ذرائع الشرك والله أعلم (٣).

والمقصود أنَّ : الرقي والتعاويذ لا بأس بها ، بل مستحبة قد فعلها النبيﷺ وأمر بها ، وهي نوع من أنواع التداوي والدعاء لله تعالى ولذلك أدلة كثيرة

ما لم تكن الرقية مشتملة على شرك أو محرم ، كخلوة بين رجل وامرأة ونحو

---

(٣) أما ما قاله الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٧٤) من أن الذي فيه ذكر الله فلا نهي ، لأنه إنما يجعل للتبرك به والتعوذ بأسمائه وذكره ، فهو وإن كان حق إلا أنَّ تركه أولى لانتشار الجهل بين الناس، فلربما طال الزمان فاعتقدوا نفع التميمة المعلَّقة من دون الله، والله أعلم .

وقد نص الشيخ ابن باز رحمه الله في تعليقه على كتاب التوحيد ص (٦٤) إلى أن تعليق التمائم من الشرك الأصغر .

ذلك ، أما حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وفي وصفهم «**لاَ يَسْتَرْقُونَ ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ ، وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»(١).

فمعناه : لا يطلبون الرقية من أحد، فيكره حق المسترقي لأن الاسترقاء طلب الرقية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٢).

فلا يطلبون من أحد أن يرقيهم؛ لأن الرقية من جنس الدعاء ، فلا يطلبون من أحد ذلك، والله أقرب إلى عباده من حبل الوريد .

أما رواية مسلم التي بلفظ «**لاَ يَرْقُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ**» ، فهي لفظة شاذة غلط من راويها كما جزم بذلك شيخ الإسلام(٣).

وكيف يكون هذا والراقي محسن على غيره والنبي ﷺ كان يرقي وهو أكمل الخلق حالاً وأحسنهم توكلاً وقد رقى نفسه عند موته بل ورقاه جبريل عليه السلام ، فكيف تكون الرقية مذمومة وقد قام بها من لا عتب عليه ولا نقص عنده ؟»

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٠٥) ، ومسلم (٢١٨) .

(٢) في «مجموع الفتاوى» (١/ ٧٨ ، ١٨٢) وغيره .

(٣) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٨٢) قال ابن القيم رحمه الله في «الحادي» وبنحوه في «الزاد» (١/ ٤٩٥): «هذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث، وهى من غلط بعض الرواة» .

قلت : وقد روى البخاري هذا الحديث فلم يذكر هذه اللفظة وهو الصواب ، والمقصود أن اللفظة لا تصح وإن رواها مسلم ، ويبدو أنها وهم من راويها سعيد بن منصور، وليس لها طرق تثبت.

لكن النبي ﷺ لم يسترقي .

وأما حديث النبي ﷺ « **مَنْ اكْتَوَى أَوْ اسْتَرْقَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ**»[١] فمعناه أنه ينقص من عبادة التوكل ، أي : بريء من كمال التوكل إذا اعتقد أنها تنفع بذاتها لا بإذن الله وبتقديره .

والراجح : أن الكي مكروه ، وليس بحرام إذا كان له حاجة أو علة ، لأن النبيَّ ﷺ قد فعله مع غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم بأسانيد صحيحة عنهم[٢]، وتقدمت الإشارة إلى ذلك ، وهو ينفع بقدرة الله ، وقد أشار الحافظ في «الفتح» (١٠/ ١٦٧) إلى نحو ذلك، ومن تركه ثقة بالله كان أحسن .

ولابن القيم كلام ماتع في اعتقاد العبد في أمر التداوي وهو كلام منبثق من

---

(١) وهو حديث حسن : أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٥٤) ، وأحمد (٤/ ٢٥٣) ، وأصحاب السنن ، وغيرهم من طريق منصور وغيره عن مجاهد عن عقار بن المغيرة بن شعبة عن أبيه به ، وقد رُوي فجُعل حسان بن أبي وجزة بين مجاهد وعقار ، وهو من المزيد في متصل الأسانيد ، لأن مجاهدًا قد سمع هذا الحديث من عقار كما تدل عليه رواية شعبة وهي محفوظة كما أشار الدارقطني في «العلل» (٧/ ١١٦) في سياق الخلاف والله أعلم ، وعقار حسن الحديث، وبقية رجال الحديث ثقات .

(٢) **فمن ذلك** : ما أخرجه مسلم(٢٢٠٧) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: «رُمِيَ أُبَيٌّ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَى أَكْحَلِهِ فَكَوَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ » .

ومنه :ما أخرجه أخرجه البخاري(٥٧١٩)عن أَنَس رضي الله عنه قال:«كُوِيتُ مِنْ ذَاتِ الجَنْبِ، وَرَسُولُ الله ﷺ حَيٌّ، وَشَهِدَنِي أَبُو طَلْحَةَ وَأَنَسُ بْنُ النَّضْرِ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبُو طَلْحَةَ كَوَانِي ».

أدلة صحيحة في سنة رسول الله ﷺ حيث قال[1] :

«وفي الأحاديث الصحيحةِ الأمرُ بالتداوي ، وأنه لا يُنَافى التوكل، كما لا يُنافيه دفْع داء الجوع، والعطش، والحرّ ، والبرد بِأضدادها، بل لا تتم حقيقةُ التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نَصَبها الله مقتضياتٍ لمسبَّباتها قدراً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدَحُ في نفس التوكل ، كما يَقْدَحُ في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن مُعطِّلُها أنَّ تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزاً يُنافى التوكلَ الذي حقيقتُه اعتمادُ القلب على الله في حصولِ ما ينفع العبد في دينه ودنياه ، ودفْعِ ما يضرُّه في دينه ودنياه ، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب ؛ وإلا كان معطِّلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبدُ عجزه توكلاً، ولا توكُّلَه عجزاً» أ.هـ .

وأنبه إلى أن تعلق قلوب الناس بالراقي ينافي كمال التوكل ، وسبب نقص التوكل عند من يطلب الرقية أن طالب الرقية يكون في قلبه ميل إلى هذا الذي رقاه وإلى الرقية ، ونوع توكل ، أو نوع استرواح لهذا الذي يرقي أو للرقية .

والتبرك بالحجر والجمادات شرك مِن فِعل أهل الجاهلية

قال الله ﷻ : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى** ﴾ [النجم : ١٩ - ٢٢] .

ولا يُحْلَفُ بالآباءِ ولا بالأمهات ولا بأي مخلوق ، والحلف بشيءِ من هذا محرم ،

---

(١) في «زاد المعاد» (٤/ ١٥) .

ولا ينعقد اليمين به على مذهب جمهور العلماء[١]،وهو حرام وإذا اعتقد في به التعظيم كان أشنع في الحرمة .

ففي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ﵁ قال : قال لي رسول الله ﷺ حين وجده يحلف بأبيه:«**إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»، قَالَ عُمَرُ : فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاكِرًا وَلاَ آثِرًا.[٢]

وفي حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ مرفوعًا:«**لاَ تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِى وَلاَ بِآبَائِكُمْ**» [٣].

وقد قال اليهودي لرسول الله ﷺ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ،قَالَ:«**سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا ذَاكَ**

(١) عزاه إليهم شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٠٤) فقال:« وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِالْمَخْلُوقَاتِ الْمُحْتَرَمَةِ أَوْ بِمَا يَعْتَقِدُ هُوَ حُرْمَتَهُ كَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْكَعْبَةِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَلَائِكَةِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمُلُوكِ وَسُيُوفِ الْمُجَاهِدِينَ وَتُرَبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَيْمَانِ الْبُنْدُقِ وَسَرَاوِيلِ الْفُتُوَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَا يَنْعَقِدُ يَمِينُهُ وَلَا كَفَّارَةَ فِي الْحَلِفِ بِذَلِكَ. وَالْحَلِفُ بِالْمَخْلُوقَاتِ حَرَامٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ » .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٦٦٤٧) ومسلم (١٦٤٦) وبقية الكتب التسعة بما فيهم مالك في الموطأ رواية محمد بن الحسن الشيباني .

(٣) صحيح أخرجه مسلم (١٦٤٨) وفي رواية في صحيح مسلم أيضًا قوله ﷺ: «**من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله** ....الحديث» ، والطواغي: هي الأصنام وأحدها طاغية ، ومنه: هذه طاغية دوس أي : صنمهم ومعبودهم .

؟» قَالَ: تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ: وَالْكَعْبَةِ، قَالَتْ(أي قتيلة بنت صيفي الجهنية راوية الحديث): فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ : «**إِنَّهُ قَدْ قَالَ : فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ... الحديث**»(١).

ومن حلف بغير الله ﷻ فكفارة ذلك أن يقول «لا إله إلا الله» :

لحديث أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِى حَلِفِهِ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى ، فَلْيَقُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ**» (٢).

وأمَّا قوله ﷺ لمن بيّن له فرائض الصلاة والصيام والزكاة ، وأدبر وهو يقول: والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص:«**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**» (٣).

وقوله ﷺ لمن سأله عن أحق الناس بحسن الصحبة، وذكر الأم ثُمَّ الأب، قال ﷺ : «**نَعَمْ وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّ**» (٤).

وقوله ﷺ لمن سأله عن أَي الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ:«**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ:**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٢) بإسناد صحيح ، وفي إسناده المسعودي ، وقد اختلط لكن رواية يحيى ابن سعيد القطان – الراوي عنه هنا – عنه صحيحة فهى قبل الاختلاط .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٨٦٠) ، ومسلم (١٦٤٧) .

(٣) أخرج هذا اللفظ مسلم (١١) ، وهو في صحيح البخاري (٤٦) ، ومسلم (١١) من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر «**وأبيه**» التي هي محل الشاهد أن النبيّ ﷺ حلف بغير الله ﷻ .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٤٨) .

أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَلاَ تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ»[(١)].

فذاك لفظ كان يجري على ألسنتهم من غير قصد الحلف أصلاً كإطلاقهم كلمة «كذبت» لمن يقصدون أنه أخطأ[(٢)]، وقول النبي ﷺ لمعاذ :«**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ**»[(٣)] ، ولم يقصد ﷺ أصل الدعاء .

وقوله ﷺ :«**عَقْرَى حَلْقَى**» [(٤)]فالعقرى : دعاء بالإصابة في الجسد ، والحلقى: دعاء أن يصيبها الوجع في حلقها ، ولم يقصد الرسول ﷺ ذلك ولم يكن هذا له بخلق .

و«**تَرِبَتْ يَمِينُكِ**»[(٥)] التي هي بمعنى التصقت يمينك بالتراب ، فهذه ألفاظ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ومنه قوله ﷺ لغلام حاطب لما قال : لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**كَذَبْتَ لاَ يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا**» أخرجه مسلم (٢٤٩٥) .

(٣) وكذلك قول ابن عباس لعكرمة «ثكلتك أمك» أخرجه البخاري (٧٨٨)، وقول عمر لأسلم «ثكلتك أمك» أخرجه البخاري (٤١٦٠)، وقول عمر لنفسه «ثكلتك أمك» كما في «صحيح البخاري» (٤١٧٧)، وقول عبد الله بن عمر لمن كان يطلب أن يحدثه عن القتال في الفتنة «ثكلتك أمك» أخرجه البخاري (٧٠٥٩) .

(٤) قال ذلك رسول الله ﷺ لبعض زوجاته كما في صحيح البخاري (١٥٦٢) ، ومسلم (١٢١١) .

(٥) كما في قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : «**تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا**» أخرجه البخاري (١٣٠) ، ومسلم (٣١٠) .

جَرَت لم يُقْصَد أصل ظاهرها. أي الدعاء.

فكذلك الألفاظ التي هي ظاهرة في الحلف لم يقصد بها أصل الحلف كالألفاظ التي تقدمت .

هذا إن صحت أسانيد الروايات الثلاثة المذكورة، وإلا فبالنظر إلى القواعد الحديثية يتبين أن الروايات التي فيها الألفاظ المُوهِمَةُ أن النبيّ ﷺ حلف بغير الله هي دونَ الروايات التي نُهى فيها عن الحلف بغير الله ولا يتسع المقام هنا لتحرير ذلك(١).

وفي الأحاديث السالفة التي فيها النهي عن الحلف بغير الله فيها ما يفيد أنَّ الحلف بغير الله شرك(٢).

ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه :«لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ، وَأَنَا صَادِقٌ »(٣).

---

(١) ولعلي أفرد ذلك ببحث مستقل إن يسر الله لأظهر علل هذه الأحاديث .

(٢) كما أقر النبيﷺ اليهودي على قوله : «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ ، قَالَﷺ : «**وَمَا ذَاكَ ؟**» قَالَ : تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ : «وَالْكَعْبَةِ» كما أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٢) بإسنادٍ ثابت وقد تقدم .

(٣) **خبر ثابت** أخرجه ابن أبي شيبة(٣/ ٤١٦) الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٨٣) من طريق مسعر بن كدام عن وبرة بن عبد الرحمن قال قال عبد الله فذكره ، وإسناده ثابت .

وأخرجه عبد الرزاق (١٥٩٢٩) عن الثوري عن أبي سلمة عَنْ وَبَرَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله: لَا أَدْرِي ابْنَ مَسْعُودٍ أَوِ ابْنَ عُمَرَ – لِأَنْ أَحْلِفَ بالله كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا » .

وذلك والله أعلم لأنه إذا حلف بالله كاذبًا كان كذّابًا، أما الحلف بغير الله فهو شرك ، والشرك أعظم من الكذب، كما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية(١).

والمقصود بالشرك هنا: كبائر الذنوب، وليس المخرج من الملة ، كما سيأتي في ضابط التفرقة بين الشرك الأكبر والأصغر.

ومحاولة تقليد المشركين في اقتناء الأصنام ـ كخوفوا وخفرع ومنقرع ورمسيس وتوت عنخ آمون وغيرهم(٢) ـ كل ذلك من ركوب سنن المشركين واتباع طريقتهم التي أخبر بها النبي ﷺ

فعَنْ أَبِى وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ(٣) ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ**

(١) في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٠٤) .

(٢) وماذا يقال في هذه الحجارة التي هي أصنام يُخشى أن يؤول الأمر إلى عبادتها من دون الله، بل ظهر في هذه الأيام تحسين بعض السُّذَّج من أهل مصر حيث صاروا يتبجَّحون بنسبتهم إلى نسلهم، وهم كفار! فيقولون:«نحن أولاد الفراعنة»! كذا وهم قوم كفار طواغيت حملوا الناس على عبادتهم دون الله.

وهذا هو ذريعة الشرك، والغلو في الآباء والأجداد والجاهلية التي وضعها النبي ع تحت قدميه، فقيَّد الله لهذه الأصنام من يضعها في مكاها اللائق بها .

(٣) اسم شجرة كان المشركين يعلقون بها سلاحهم .

لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (١).

وإن كان المقصود بالموافقة هنا الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر لكن الحديث يعمّ، وهذا من معجزات النبي ﷺ ، فقد حصل هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال الخطابي رحمه الله **في «الغنية»** :

إنما طلبوا أن يجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم، كما كانت الجاهلية تفعل ذلك، ولم يكن من قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة أو يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور، فأخبرهم ﷺ أن ذلك بمنزلة الشرك الصريح وأنه بمنزلة طلب آلهة غير الله تعالى(٢).

والذابح لغير الله عز وجل **(كالذابح لأصحاب القبور أو الجن أو للأولياء) كالمصلّي**

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢١٨٠) وغيره، وله شواهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند البخاري (٣٤٥٦) ، ومسلم (٢٦٦٩) بلفظ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**» ، قُلْنَا يَا رَسُولَ الله الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ : «فَمَنْ»، ورواه الحاكم (٤/ ٥٠٢) عن ابن عباس وفي آخره «**حتى لو جامع الرجل امرأته في الطريق لفعلتموه**» وصححه هو والذهبي وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٧٣١٩) بلفظ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ كَفَارِسَ وَالرُّومِ، فَقَالَ: «ومن النَّاسُ إِلا أُولَئِكَ» .

(٢) «الغنية عن الكلام وأهله» ص (١٦) .

لغير الله وكالحاج لغير الله سبحانه وتعالى ،كل هذا داخل في الشرك

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [الكوثر : ٢] أي وانحر له أيضًا .

وقال عليٌّ رضي الله عنه : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات:«**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ**»[1] .

والمقصود تغيير منار الأرض: أي علاماتها حدودها ومعالمها، ومعلوم أن ذلك إنما يفعله المغَيِّر لاغتصاب الأرض وأخذها من الغير.

قال النووي رحمه الله :

فَإِنْ قَصَدَ مَعَ الذَّبحِ لغَيْرِ الله تَعْظِيم الْمَذْبُوح لَهُ غَيْر اللَّه تَعَالَى وَالْعِبَادَة لَهُ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا ، فَإِنْ كَانَ الذَّابِح مُسْلِمًا قَبْل ذَلِكَ صَارَ بِالذَّبْحِ مُرْتَدًّا [2].

ودعاء غير الله وطلب المدد من الأموات شرك بالله تعالى وقد ورد النهى عنه

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المؤمنون : ١١٧] .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٩٧٨)

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/ ١٥٦ - ١٥٧) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣ ، ١٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] .

وقال صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1] [غافر : ٦٠].

وقال سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٠].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

والنذر لغير الله عز وجل من شرك الجاهلية ، ومنه شرك عُبَّاد الأضرحة الذين ينذرون لأصحاب القبور ويستغيثون بهم ويطلبون الحوائج منهم

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧) ، وأبو داود (١٤٨١) ، والترمذي (٣٢٤٧) ، وابن ماجة (٣٨٢٨) وغيرهم. وطرقه عن ذر عن يسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير به ، وإسناده صحيح.

فمن نذر لغير الله فهو مشرك شركاً أعظمَ من شرك من حلف غير الله وهو كالسجود للصنم[١].

والنذر لله ﷻ واجب الوفاء به بقوله ﷻ : ﴿ **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ﴾ ، أما إذا كان لغير الله ، فقد قال ﷺ : «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**»[٢].

والنذر لغير الله شرك لأن النذر عبادة لله قد مدح عليها الموفِّين بها، ثم إن النذر لغير الله مبني على اعتقاد الضرِّ والنفع في المنذور له، واعتقاد أنه يعلم حال الناذر وأنه يتصرف في الأمور، ويسمع النداء ويقضي له حاجاته ولا شك أن هذا شرك، ثم إن النذر يستلزم محبة المنذور له والتقرب له بأنفس القُرَب من الأحوال وغيرها ، ثم إن الواقع يشهد بأن الذي ينذر إنما ينذر للأموات من دون الله ، فيكون من التقرب لمن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن أن يجلب لغيره ، وهذا شرك في صرف سمات الربوبية لغير الله فتنبه.

ولما كانت النفقة عبادة وقُرِنَ النذر بها في قوله ﷻ : ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ**

---

(١) فقد قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٢/ ٢٧٠) ط قرطبة : «لا يجوز أن ينذر أحد إلا طاعة ، ولا يجوز أن ينذرها إلا لله، فمن نذر لغير الله فهو مشرك، كمن صام لغير الله وسجد لغير الله»، وقال في «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ١٣): «وَمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِ الله فَهُوَ مُشْرِكٌ أَعْظَمُ مِنْ شِرْكِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ الله وَهُوَ كَالسُّجُودِ لِغَيْرِ الله ».

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٦٩٦) .

أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٠] .

دلَّ على أن النذر عبادة حيث قرنه بالنفقة التي هي عبادة ، فإذا نذر وتصدَّق بشيء للقبر أو لبنائه أو لآلهة معينة صار هذا شركًا أكبر بالله ﷻ [(١)].

وبيَّن سبحانه حال الكفار في نذرهم حيث كانوا يجعلون الشيء للآلهة فقال منكرًا عليهم : ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾** [الأنعام : ١٣٦] .

فكل عمل موصوف بالعبادة وقد طُلب فيه الإخلاص لله ﷻ فإن صرفه لغير لله شرك .

وفي الاستعانة قال ﷺ :«**إذا سألت فاسأل اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»وهو حديث ثابت .

فلا تقرِّب لغير الله ﷻ شيئًا وأنت مختارًا وإنْ كنتَ مكرهًا وقلبك موقنًا ، فالأخذ بالعزيمة أقوى في الدين

فعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ:دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ، مَرَّ رَجُلاَنِ عَلَى قَوْمٍ قَدْ عَكَفُوا عَلَى صَنَمٍ لَهُمْ وَقَالُوا: لاَ يَمُرُّ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَحَدٌ إِلاَّ قَدَّمَ شَيْئًا، فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَدِّمْ شَيْئًا، فَأَبَى فَقُتِلَ، وَقَالُوا: لِلآخَرِ: قَدِّمْ شَيْئًا، فَقَالُوا: قَدِّمْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَالَ: وَأَيْشٍ ذُبَابٌ ، فَقَدَّمَ

---

(١) «شرح كتاب التوحيد» للشيخ ابن باز ص ٧٧ .

دُبَابًا فَدَخَلَ النَّارَ، فَقَالَ سَلْمَانُ: فَهَذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي دُبَابٍ ، وَدَخَلَ هَذَا النَّارَ فِي دُبَابٍ[١].

ولا يقال : إن هذا إكراه، لأن الإكراه صورته الصورة التي حصلت لعمار بن ياسر، أي بالقول دون الفعل، ولا يقع بالتهديد فقط، كما لا يقع الإكراه بمجرَّد التخويف والتوقع، ولذلك قال الله تعالى عم توقَّعوا الضَّرر فسارعوا في موالاة الكفار لأجل توقعاتهم: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ المائدة.

فلم يجعل الله مجرَّد الخشية في القلب من الكافرين عذراً في مولاتهم، بل جعله مذموماً، فالرجل الذي في أثر سلمان رضي الله عنه لم يكن مكرهاً إكراهاً صحيحاً- لو كان الإكراه عذراً في هذه الأمة كأمة محمد ﷺ- وإلا فلا يبعد أن لا يكون الإكراه مؤاخذ به في شريعتهم، فسقط الإشكال من أصله، والله أعلم.

تحريم مشابهة المسلمين لليهود والنصارى والكفار[٢] في أعيادهم وطبائعهم..

---

(١) صحيح عن سلمان قوله : أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤٧٣) رقم (٣٣٠٣٨) عن وكيع عن سفيان عن مخارق بن خليفة عن طارق بن شهاب عن سلمان به وإسناده صحيح ، وأخرجه أحمد في «الزهد» ص(١٥) ، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣) والخطيب في «الكفاية» ص(١٨٥) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان به، وعند أبي نعيم اقتران نعيم بأبي معاوية، ويبدو أنه من الإسرائيليات .

(٢) والأدلة على كفر اليهود والنصاري كثيرة تقدمت .

نهى النبي ﷺ عن العبادة حتى في أماكن عبادتهم[١] .

ففي حديث ثابت بن الضَّحَّاكِ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُول اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ**» ، قَالُوا : لاَ قَالَ : «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ**» ، قَالُوا : لاَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**أَوْفِ**

(١) ولذلك كان النبيّ ﷺ يتحرى مخالفة اليهود حتى شعروا بذلك وكانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحابُ النبي ﷺ، فأنزل الله ﷻ ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، فقال ﷺ«**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**» فبلغ ذلك اليهود ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه» ، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله إن اليهود تقول: كذا وكذا أفلا نجامعهن ... الحديث ، أخرجه مسلم (٣٠٢) .

لقد ورثوا من نبيهم ﷺ حب مخالفة اليهود في كل شئون الحياة حتى وإن كان في ذلك تلبس بشيء كريه فيه أذى يتغاضون عنه ما دام فيه مخالفة لليهود».

وحُقَّ لمن اشتعل الإيمان في قلبه أن يكره مشابهتهم في هديهم الظاهر وغيره ، وكيف لا وهم ضالون مغضوب عليهم، والتشبه بهم في الظاهر قد يؤول إلى التشبه بهم في الباطن، ثم لا تسأل عن الشر حينئذٍ ؟

بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»[١].

فدلَّ ذلك على أنَّه لو كان بها ذلك لمنعه من الوفاء بنذره ، ولأن في هذا تعظيمًا لغير ما عظّم الله ، يشبه تعظيم الكفار للأصنام فحُرّم كتعظيم الأصنام[٢] كما تقدم والله أعلم .

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣) ، والطبراني (٢/ ٧٥) رقم (١٣٤١) ، والبيهقي (١٠/ ٨٣) من طريق داود بن رشيد ثنا شعيب بن إسحاق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال حدثني أبو قلابة قال حدثني ثابت ابن الضحاك به ، وإسناده صحيح كما قال الحافظ في «التلخيص» (٤/ ١٨٠) ، وصححه الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب في كتاب «التوحيد» .

(٢) أما صلاة النبي × في الكعبة ، وبها الأصنام وهي مكان عبادة المشركين عُبَّاد الأصنام؛ فلأنه لا عائض عن المسجد الحرام فكانت ضرورة ، ولمَّا تمكَّن لم يدخل الكعبة حتى أُخرج ما فيها من التماثيل، وقال: ظهر الحق وزهق الباطل .

وقد تنازع الفقهاء في الصلاة في الكنيسة :

فرخَّص فيها بعضهم؛ لأنها داخلة في حديث «**فأينما أدركتك الصلاة فصل فإنه مسجد**» وقد أخرجه البخاري (٣٣٦٦) ، ومسلم (٥٢٠) .

وذهب بعضهم إلى الكراهة مطلقًا ، أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ .

فقال في «الرد على البكري» (٢/ ٥٧٠) :

«الصحيح أنه إن كان فيها تماثيل كانت بمنزلة المساجد المبنية على القبور، وبمنزلة دار الأصنام، فالمصلي فيها مشابه لمن يعبد غير الله، وإن كانت نيته الصلاة لله كما أن المصلي عند طلوع الشمس وعند غروبها لما شابه من يعبد غير الله ، نُهى عن ذلك سدًا للذريعة ، والملائكة لا =

ولا تعارض بين قوله ﷺ «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِى التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» [١].

وبين وقوله ﷺ : «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ**[٢] **نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ**» [٣]، ذوالخلصة : صنم كان يعبد في الجاهلية .

وقوله ﷺ : «**لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى**» [٤].

فإنه محمول على أنّ النبي ﷺ قال ذلك لما نزل الوحي ، وآمن الناس ودخلوا في دين الله أفواجًا ، فهذا معنى الأول .

ومعنى الأحاديث الأخرى إخبار عما يقع ، فلم يعد هناك إشكال في المعنى بين هذا الحديث الأول والحديثين الآخرين .

=

تدخل بيتًا فيه صورة، فكيف يصلي فيه ؟» ولذا لم يدخل النبي ﷺ الكعبة حتى أزيلت الصور بخلاف الكنيسة التي لا صور فيها» ، وأشار إلى أن النبيﷺ قد أمر ثقيفًا أن يتخذوا مسجدهم موضع بيت اللات بعد هدم اللات، ومحلّ تحرير المسألة ليس المقام مقامه، والمنع أولى إلا إذا بُدِّلت مسجدًا، بدَّل الله كنائسهم مساجد .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨١٢) .

(٢) أليات :جمع ألية وهي المقعدة، وهي اسم من أسماء الدبر، وهذا كناية عن كثرة النساء، وهذا تزاحم على الشرك.

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧١١٦) ، ومسلم (٢٩٠٦) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٠٧) .

والحمد لله، فلا تزال عصابة أُمَّة محمد ﷺ ظاهرة على الحق لا يضرّهم مِن خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك .

ويحتمل أن يكون الشيطان آيس أن يجتمعوا على الكفر، وإنما قد يقع الكفر ولكن من بعضهم دون بعض والله أعلم.

وللشرك ضوابط :

فضابطه أن كل ما سماه الله ورسوله شركًا، أو كل ما فيه تشبيه الخالق بالمخلوق، أو صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى كالدعاء والاستغاثة أو النذر، أو إثبات واسطة بين الله وخلقه؛ فهو معدود في الشرك بالله تعالى كما بينا كثيرًا منه في ثنايا البحث، فيحكم بأن الوقوع في شيء من ذلك من الشرك دون الفاعل حتى تقام عليه البينة أو الحجة بيانًا يفهمه لا لبس فيه عنده — على الراجح —.

وليحذر المسلم من تكفير المسلمين أو لعنهم من غير برهان

فإنَّ النبيَّ ﷺ قال : «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ**» [(١)].

وقال ﷺ : «**وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**» [(٢)].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦١٠٤) ، ومسلم (٦٠)، واللفظ له .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١١٠) وهو عند البخاري (٦٠٤٧) من حديث ثابت بن الضحاك أن النبيّ × قال : «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ فَهْوَ كَمَا قَالَ ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لاَ =

ولا يُلْعَن المسلم حتى ولو أتى بكبيرة من كبائر الذنوب .

لحديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁ أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لاَ تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إلا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» (١).

قال شيخ الإسلام ﵀ :

فيه دلالة علي أنا منهيون عن لعنة أحد بعينه، وإن كان مذنبًا إذا كان يحب الله ورسوله (٢).

وقال في موطن آخر : «كره أهل السنة لعنة أحد بعينه» (٣).

ومن موانع الحكم بالتكفير على المعين :

=

يَمْلِكُ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهْوَ كَقَتْلِهِ ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهْوَ كَقَتْلِهِ» ، والمعنى أنه يعاقب ويُعذَّب كما لو قتله .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧٨٠) .

(٢) «قاعدة في المحبة» ص (٧٣) .

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٠٩) وإن كان هذا مشكلاً مع ما ورد عن الصحابة ﵃ ، من لعنهم الجار المؤذي، وقد اطلع النبي ﷺ على ذلك، وكأنه أقرَّه، بل أمره ﷺ بما يؤدي إلى ذلك .

أن يكون هذا المعين جاهلاً سواء أكان الجهل في أصول الدين، كالتوحيد أم في غيره لعموم قوله ﷻ: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا** ﴾ [الإسراء : ١٥]

ولأن الله تعالى عذر من قال لأبنائه: «إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا وأوقدوا فيه نارًا ... » .

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته، بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين ومع ذلك فقد عذره الله .

وكذلك لم يكفِّر النبيُّ ﷺ من قالوا : «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ... »؛ لأنهم كانوا حدثاء عهد بكفر ولم يعلموا حرمة ذلكلله هذا هو الظاهر، والله أعلم .

والمقصود:

أن تكفير المعين موقوف على أن تبْلغَه الحجة النبوية ، وهناك من يَنشأ في أمكنةٍ وأزمنةٍ قد يندرس فيها العلم بالتوحيد وأصوله، فلا يحكم بكفر مثل هذا إذا أتى ناقضًا من نواقض الإيمان حتى يُعرَّف.

كما قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَدْرُسُ الإِسْلاَمُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ ، حَتَّى لاَ يُدْرَى مَا صِيَامٌ ، وَلاَ صَلاَةٌ ، وَلاَ نُسُكٌ ، وَلاَ صَدَقَةٌ ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ ، فَلاَ يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ ، يَقُولُونَ : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا فقَالَ لَهُ صِلَةُ : مَا تُغْنِي عَنْهُمْ : لاَ إِلَهَ**

إِلاَّ اللَّهُ ، وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ مَا صَلاَةٌ ، وَلاَ صِيَامٌ ، وَلاَ نُسُكٌ ، وَلاَ صَدَقَةٌ ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاثًا ، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ ، فَقَالَ : يَا صِلَةُ ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ ثَلاثًا» (١) .

فليس كل من جهل شيئًا من الدين يكفر .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ :

تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئًا من الدين يكفر» (٢) .

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٠٤٩) ، وانظر تمام تخريجه في «الفوائد النيرة» ، وراجع «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٠٨) .

(٢) «الرد على البكري» (٢/ ٤٩٢) ، وانظر «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٧٤) ، و«فتاوى اللجنة الدائمة» (١/ ٣٣٤) حيث قالوا عمن يسجد لغير الله ونحو ذلك : «لكنه قد يعذر لجهله فلا تنزل به العقوبة حتى يُعلَّم وتقام عليه الحجة» .

وقال ابن العربي المالكي: «الجاهل والمخطيء من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركًا أو كافرًا ، فإنه يعذر بالجهل والخطأ حتى تتبين له الحجة التي يكفر تاركها بيانًا واضحًا ، ما يلتبس على مثله ، وينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام ، مما أجمعوا عليه إجماعًا جليًا قطعيًا يعرفه كل المسلمين من غير نظر وتأمل» نقلاً عن «تطهير الاعتقاد» للصنعاني ص(٤١) عن «محاسن التأويل» للقاسمي ، فدندنة البعض بأنه لا عذر في أصول الدين وإنما العذر في الفروع كذا بإطلاق قول مجانب للصواب ، بل ما =

ومن موانع التكفير

وجود الشُّبَه والتأويل – وهو أوسعها –والخطأ والتقليد كذلك، فقد يقلِّد العاصى لكونه لا يحفظ الدليل ولا يفهمه [(١)].

وأما مَن لُعِنوا في الكتاب أو في السنة على عمل ما، كقاتل المؤمن متعمدًا، والمنافقين، والذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات وأشباههم، فهذا حكم عام تنزيله على الأشخاص لا بد فيه من وجود شروط وانتفاء موانع... .

فالأَقْوَالُ الَّتِي يَكْفُرُ قَائِلُهَا – وَالأَفْعَال – قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ لَمْ تَبْلُغْهُ النُّصُوصُ الْمُوجِبَةُ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ ، وَقَدْ تَكُونُ عِنْدَهُ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ أَوْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ فَهْمِهَا ، وَقَدْ يَكُونُ قَدْ عَرَضَتْ لَهُ شُبُهَاتٌ يَعْذُرُهُ اللَّهُ بِهَا...» قاله شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٢٣/ ٣٤٦) كما تقدم بيانه .

وهذه جملة من أقوال العلماء بضرورة إقامة الحجة قبل تنزيل الأحكام على

=

يحتمل أن يكون المرء معذورًا بجهله فيه فلا يكفَّر وعلى ذلك كلمة العلماء المحققين رحمهم الله والله أعلم .

(١) وانظر لذلك كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٣٢) ، وقد قال ابن القيم في «الطرق الحكمية» ص(١٤٨) : إن تكفير المقلِّد الذي يسأل ويطلب ويتبين له الهدى ويتركه تقليدًا وتعصبًا أو بغضًا أو معاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقًا وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل».

المعينين:

قال شيخ الاسلام بعد أن ذكر الشفاعة لنبينا ﷺ: « الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ أَنْكَرُوا شَفَاعَتَهُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ وَلَمْ يُنْكِرُوا شَفَاعَتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ وَهَؤُلَاءِ مُبْتَدِعَةٌ ضُلَّالٌ وَفِي تَكْفِيرِهِمْ نِزَاعٌ وَتَفْصِيلٌ وَأَمَّا مَنْ أَنْكَرَ مَا ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ وَالْإِجْمَاعِ فَهُوَ كَافِرٌ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ»[1] .

وقال[2]: «أَكْثَرُ السَّلَفِ يَأْمُرُونَ بِقَتْلِ الدَّاعِي إلَى الْبِدْعَةِ الَّذِي يُضِلُّ النَّاسَ لِأَجْلِ إفْسَادِهِ فِي الدِّينِ سَوَاءً قَالُوا: هُوَ كَافِرٌ أَوْ لَيْسَ بِكَافِرِ.

وَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَتَكْفِيرُ الْمُعَيَّنِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالِ وَأَمْثَالِهِمْ - بِحَيْثُ يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مِنْ الْكُفَّارِ - لَا يَجُوزُ الْإِقْدَامُ عَلَيْهِ إلَّا بَعْدَ أَنْ تَقُومَ عَلَى أَحَدِهِمْ الْحُجَّةُ الرسالية الَّتِي يَتَبَيَّنُ بِهَا أَنَّهُمْ مُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ لَا رَيْبَ أَنَّهَا كُفْرٌ. وَهَكَذَا الْكَلَامُ فِي تَكْفِيرِ جَمِيعِ الْمُعَيَّنِينَ مَعَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْبِدْعَةِ أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ وَبَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ يَكُونُ فِيهِ مِنْ الْإِيمَانِ مَا لَيْسَ فِي بَعْضٍ فَلَيْسَ لِأَحَدِ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَخْطَأَ وَغَلِطَ حَتَّى تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ وَتُبَيَّنَ لَهُ الْمَحَجَّةُ. وَمَنْ ثَبَتَ إيمَانُهُ بِيَقِينِ لَمْ يَزُلْ ذَلِكَ عَنْهُ بِالشَّكِّ؛ بَلْ لَا يَزُولُ إلَّا بَعْدَ إقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ » .

---

(١) «مجموع الفتاوى»(١/ ١٠٧-١٠٩).

(٢) في«مجموع الفتاوي»(١٢/ ٥٠٠).

وقال(١) بعد أن ذكر قول الذين يعطلون صفات الباري سبحانه:

«وَهُوَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّة الَّذِينَ كَفَّرَهُمْ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ تَكْفِيرًا مُطْلَقًا؛ وَإِنْ كَانَ الْوَاحِدُ الْمُعَيَّنُ لَا يَكْفُرُ إلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ الَّتِي يَكْفُرُ تَارِكُهَا» .

قال العثيمين(٢):

« الخطأ في العقيدة: فإن كان خطأً مخالفًا لطريق السلف، فهو ضلال بلا شك ولكن لا يحكم على صاحبه بالضلال حتى تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة، وأصر على خطئه وضلاله، كان مبتدعًا فيما خالف فيه الحق، وإن كان سلفيًّا فيما سواه، فلا يوصف بأنه مبتدع على وجه الإطلاق، ولا بأنه سلفي على وجه الإطلاق، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف، مبتدع فيما خالفهم، كما قال أهل السنة في الفاسق: إنه مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما معه من العصيان، فلا يعطي الوصف المطلق ولا ينفى عنه مطلق الوصف، وهذا هو العدل الذي أمر الله به، إلا أن يصل المبتدع إلى حد يخرجه من الملة فإنه لا كرامة له في هذه الحال» .

ضابط التفرقة بين الشرك الأكبر والأصغر :

(١) في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٢٥).

(٢) في كتابه «العلم» ص ١٤٩.

يميز الشرك الأكبر من الأصغر بأمور

منها: أن يأتي النص من النبي ﷺ على أنه الشرك الأصغر أو الأكبر كما في قوله ﷺ : «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ ؟ قَالَ ﷺ:«**الرِّيَاءُ**» وتقدَّم فهذا بَيِّن في الحديث أنه الأصغر

وفي قوله ﷺ :«**بين الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ**»، «**الْعَهْدُ الَّذِى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» بين هنا أنه الأكبر .

ويؤِّده كلام الصحابة رضي الله عنهم في تكفير تارك الصلاة أنه الأكبر.

ومنها:أن يُنص على عدم خروج الفاعل له من النار، فيدل على عدِّ العمل المذكور من الشرك الأكبر.

ومن ذلك أن يبين الصحابي أنه قد وقع منهم، ثم لا يؤمرون بالنطق بالشهادتين إذا وقع.وذلك كما في قول عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، قال ابن مسعود رضي الله عنه :« وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»

فدل على أنه من الأصغر لا الأكبر، ويؤيِّده إذهابه بالتوكل، ولو كان شركاً أكبر ما أذهبه التوكل، وإنما يذهبه الدخول في الاسلام من جديد، والله أعلم .

ومثال ذلك: الحلف بغير الله شرك أصغر .

لأن النبي ﷺ ما أمر مَن نهاهم عن الحلف بغير الله بالنطق بالشهادتين ثانية

للخول في الإسلام، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

ويؤيِّد ذلك ما أخرجه عبد الرزاق[1] بسندٍ صحيح عن عَبْد اللهِ بْن أَبِي مُلَيْكَةَ يُخْبِرُ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُخْبِرُ، أَنَّ عُمَرَ لَمَّا كَانَ بِالْمِخْمَصِ مِنْ عُسْفَانَ اسْتبَقَ النَّاسُ، فَسَبَقَهُمْ عُمَرُ فقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَانْتَهَزْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَقُلْتُ: سَبَقْتُهُ وَالْكَعْبَةِ، ثُمَّ انْتَهَزَ فَسَبَقَنِي، فقَالَ: سَبَقْتُهُ وَاللهِ، ثُمَّ انْتَهَزْتُ فَسَبَقْتُهُ، فَقُلْتُ: سَبَقْتُهُ وَالْكَعْبَةِ، ثُمَّ انْتَهَزَ الثَّالِثَةَ فَسَبَقَنِي، فقَالَ: سَبَقْتُهُ وَاللهِ، ثُمَّ أَنَاخَ، فقَالَ: «أَرَأَيْتَ حَلِفَكَ بِالْكَعْبَةِ، وَاللهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ فَكَّرْتَ فِيهَا قَبْلَ أَنْ تَحْلِفَ لَعَاقَبْتُكَ، احْلِفْ بِاللهِ، فَأْثَمْ أَوِ ابْرَرْ»

ومثال آخر لذلك: الحكم بغير ما أنزل الله : عدَّه ابن عباس رضي الله عنه من الأصغر لا الأكبر فقال في تفسير الآية: «لَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِكَذَا وَكَذَا»، فهذه قرينة تدل على أنه من الشرك الأصغر، ولذلك لم يخالفه صحابي آخر.

ومن الفارق بين الشرك الأكبر والأصغر

أن الأكبر :يحبط الأعمال كلها بحيث لا يبقى العبد مسلماً، ويعذب صاحبه أبداً في النار خالداً أبداً ولا يدخل الجنة أبداً، فصاحبه من الخاسرين خسرناً مطلقاً.

بخلاف الأصغر فيحبط العمل الذي وقع فيه التلبُّس بالشرك، ويبقى العبد

(١) برقم (١٥٩٢٧).

معه مسلمـًا، وينقطع عذابه في النار إذا نقي بالتعذيب، وقد يؤخَّر دخوله الجنة، وصاحبه خسارته مقيَّدة، ولا يمنع من دخول الجنة.

وملخص ذلك: أنه ﷺ نهى عن التشاؤم الذي يتشاءم الناس بهم في الغالب(وهم المرأة والدار والدابة)

درء تعارض أحاديث في الظاهر في باب المعتقد

وحديث «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ**» أي: لا تشاؤم .

والحديث الذي فيه أن أعرابيًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ إِبِلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا فَقَالَ ﷺ : «**فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ**»[1] وغير ذلك مما فيه نفي وجود العدوى أصلاً .

لا تعارُض بين ذلك وبين الأحاديث التي فيها نهي النبي ﷺ أن «**لاَ يُورد مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»[2]، والحديث الذي فيه قول النبي ﷺ : «**وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**»[3]، وأن النبي ﷺ أَرْسَلَ إلى رَجُل مِن وَفْدِ ثَقِيفٍ كَانَ مَجْذُومًا، فقال له: «**إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ**»[4]، وقوله ﷺ في الطاعون : «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**»[5].

لا تعارض؛ لأن المعنى: لا عدوى تؤثِّر بذاتها أوبطبعها كما كان أهل الجاهلية يعتقدون ، والنهي عن الدخول في الأرض التي بها الطاعون إنما كان

---

(١) وهو حديث في صحيح البخاري (٥٧١٧) ، ومسلم (٢٢٢٠) .

(٢) الذي أخرجه البخاري (٥٧٧١) ، ومسلم (٢٢٢١) .

(٣) أخرجه البخاري معلقًا عقب رقم (٥٧٠٦) وبوب له بباب الجذام وجزم به .

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٣١) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٢٩) ، ومسلم (٢٢١٩) .

لأن الإقدام عليها وهو فيها فيه تعريض النفس للبلاء ، ولعلها لا تصبر عليه والله ﷻ يقول : ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

وربما كان فيه ضرب من الدعوى لمقام الصبر أو التوكُّل، فمنع من ذلك حذرًا من اغترار النفس ودعواها ما لا تثبت عليه عند الاختبار

أما الفرار : فقد يكون داخلاً في التوغل في الأسباب بصورة من يحاول النجاة مما قُدِّر عليه ، فأمرنا الشارع بترك التكلف في الحالتين .

ومن هذه المادة قوله ﷺ : «**لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**» [(١)] .

فَأَمَرَ بِتَرْكِ التَّمَنِّي لِمَا فِيهِ مِنْ التَّعَرُّض لِلْبَلاءِ ، وَخَوْف اغْتِرَار النَّفْس ، إِذْ لا يُؤْمَن غَدْرهَا عِنْد الْوُقُوع ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ عِنْد الْوُقُوع تَسْلِيمًا لأَمْرِ اللَّه تَعَالَى [(٢)] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

فِي النّهْيِ عَنْ الدّخُول فِي أَرْضِ الطّاعُون الأَمْرُ بِالْحَذَرِ وَالْحِمْيَةِ، وَالنّهْيِ عَنْ التّعَرّضِ لأَسْبَابِ التّلَفِ، وَفِي النّهْيِ عَنْ الْفِرَارِ مِنْهُ الأَمْرُ بِالتّوَكّلِ

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٩٦٦) ، ومسلم (١٧٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) حكاه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٣٠) عن ابن دقيق العيد .

وَالتّسْلِيمِ وَالتّفْوِيضِ ، فَالأَوّلُ تَأْدِيبٌ وَتَعْلِيمٌ ، وَالثّانِي تَفْوِيضٌ وَتَسْلِيمٌ (١).

والحاصل :

أنه لا عدوى بطبعها تعدي كما قال ﷺ : «**لا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا لا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا ثلاثًا**» ، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النُّقْبَةَ تَكُونُ بِمِشْفَرِ الْبَعِيرِ أَوْ بِعَجْبِهِ فَتَشْمَلُ الإِبِلَ جَرَبًا ، قَالَ : فَسَكَتَ سَاعَةً، فَقَالَ : «**مَا أَعْدَى الأَوَّلَ ؟ لا عَدْوَى وَلا صَفَرَ وَلا هَامَةَ** (٢)، **خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ فَكَتَبَ حَيَاتَهَا وَمَوْتَهَا وَمُصِيبَاتِهَا وَرِزْقَهَا**»(٣).

ولكن بإذن الله ﷻ ومشيئته ، فإذا وقعت فيسلم لقدر الله ، وإن كان في وسع الإنسان الوقاية فيقي نفسه بأن لا يَرِد على مريض ونحو ذلك مع علمه أنّ هذا بقدر الله ومشيئته وحكمته ﷻ كما قال ﷻ : ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ**

---

(١) قاله في «زاد المعاد» (٤/ ٤٤) ، وبنحوه في «تهذيب السنن» (٤/ ٢١٦) .

(٢) أي: لا يؤخر السفر إلى شهر صفر وقيل صَفَرَ الطائر .

والهامة: اسم لطائر ليلي كانوا يتشاءمون منه، وهو كالبومة .

(٣) أخرجه أحمد (٤١٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

وأخرج (٨٣٤٣) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعـًا بلفظ:« **لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا، لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا »، ثَلَاثًا** » وصححه الحافظ في«نزهة النظر» ص ٨٢ والسحاوي في«فتح المغيث» (٣/ ٨٣) ورجَّح أبو حاتم في«العلل» (٢٣١٣) رواية من رواه عن ابن مسعود الذي في سنده رجل مبهم، وبكل حال معنى الحديث صحيح ، وله طريق آخر أخرجه الحميدي في «المسند» (١١٥٠) لكن ليس بهذا السياق .وقد صححه الألباني في«الصحيحة»(٣/ ٢٢٦).

فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢]. ولعله يكون شهادة له ، فكم من مكروه كان خيرًا لبني آدم. وبذلك يتم الجمع بين المتعارض وإعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما، لا سيما وأن الطب يثبت العدوى كما هو مقرر .

والأحاديث التي فيها تحريم الطيرة – التشاؤم – كحديث : «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِى الْفَأْلُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**»[1] .

وقوله ﷺ ردًّا على معاوية بن الحكم السلمي لَّما قَالَ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ[2] قَالَ : «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ**»[3].

ولا تعارُض بينها وبين قوله ﷺ : «**وَالشُّؤْمُ فِي ثَلاَثٍ فِي الْمَرْأَةِ ، وَالدَّارِ ، وَالدَّابَّةِ**»[4].

وقوله ﷺ : «**إِنْ يَكُنْ مِنَ الشُّؤْمِ شَىْءٌ حَقٌّ فَفِى الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالدَّارِ**»[5].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٥٦) ، ومسلم (٢٢٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه ، وفي رواية «...**ويعجبني الفأل**» قال : قيل : وما الفأل ؟ قال : «الكلمة الطيبة» ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه «**وأحب الفأل الصالح**» .

(٢) وفي رواية عند مسلم عقب (٢٢٢٧) : «كنا نتطير» .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٥٣٧) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٧٢) ، ومسلم (٢٢٢٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٢٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

وفي رواية[١]: «**إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ فَفِي الرَّبْعِ**[٢] **وَالْخَادِمِ وَالْفَرَسِ**» .

فالمقصود: إثبات ما يتشاءم الناس منه غالبًا، وأنّ عليهم ترك هذه الأشياء ومفارقتها مع اعتقاد أن الله ﷻ هو الخالق الفعّال لما يريده ، وهو الذي بيده الضرّ والنفع سبحانه ، وأنَّ هذه الأشياء ليس لها بنفسها تأثير ، فإن هذا شرك كما في حديث «**الطيرة شرك**» ، وإنما شؤمها ويُمنها ما يُقدِّره الله ﷻ فيها من الخير والشرِّ .

وفي حديث أنس ﷺ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّا كُنَّا فِي دَارٍ كَثِيرٌ فِيهَا عَدَدُنَا وَكَثِيرٌ فِيهَا أَمْوَالُنَا فَتَحَوَّلْنَا إِلَى دَارٍ أُخْرَى فَقَلَّ فِيهَا عَدَدُنَا وَقَلَّتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«**ذَرُوهَا ذَمِيمَةً**»[٣].أي: اتركوا الدار فإنها مذمومة، أمرهم بذلك ليزول ما وقع بهم من استيحاش الدار، ليزول عنهم ما يجدون، لا أنه عليه الصلاة والسلام أقرَّ الطيرة فتنبّه[٤].

فالشؤم المثبت في حديث رسول الله ﷺ هو ما يجدُه الإنسان في نفسِه من الكراهة لهذه الأشياء عند حصول الضرر منها أو فيها، ومن سماته أن لا يكون إلا بعد وقوع الضرر وتكرّره من الشيء المتشائم منه، فإذا ظهر تضرُّر الإنسان

---

(١) من حديث جابر أخرجه مسلم (٢٢٢٧) .

(٢) أي المنزل .

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٥٠ معالم السنن) بإسناد حسن .

(٤) وانظر «التمهيد» لابن عبد البر (٢٤/ ٧٠) و«شرح السنة» للبغوي (١٢/ ١٧٩).

من شيءٍ أبيح له تركه، بل قد يجب ذلك، وإنما ينبغي أن يكون التشاؤم لصفة مذمومة في الشيء نفسه لا لشيء خارج عنه[١].

وقد يُحتمل أن يكون إنما أمرهم بتركها والتحوُّل عنها إبطالاً لما وقع في نفوسهم من أن المكروه إنما أصابهم بسبب الدار وسكناها ، فإذا تحوَّلوا عنها انقطعت مادةُ ذلك الوهم ، وزال ما كان خامَرهم من الشبهة فيها والله أعلم. [٢]

قال ابن القيم رحمه الله عن بعض العلماء :

الشؤم الذي في الدار والمرأة والفرس قد يكون مخصوصًا بمن تشاءم بها وتطيرَّ ، وأما من توكَّل على الله وخافه وحده، ولم يتطير ولم يتشاءم، فإن الفرس والمرأة والدار لا يكون شؤمًا في حقه[٣].

ولا يطلق كلمة السيد والمولى إلا على الله عز وجل وكذلك لا يطلق كلمة عبدي وأمتي على العبد ، لأن الإنسان عبد لله سبحانه وتعالى والمولى قد أُطلق على الله عز وجل في قوله تعالى ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

---

(١) بتصرف من «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض» ص (١٤٧) وهو كتاب حسن جزى الله مؤلفه خيرًا استفدنا منه .

(٢) «معالم السنن» للخطابي (٤/ ٢١٩) وانظر «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (/ ٢/ ٢٩٨) ، و«النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٢١) و«لسان العرب» و«السنن الكبرى للبيهقي» (٨/ ١٤٠) .

(٣) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٩٧) .

وفي حديث أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلاَمِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي**»[1] .

وقد قال الله ﷻ : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** ﴾ [الكهف : ٦٠] .

وقال ﷺ : «**السيد الله**»[2] – كذا عند إطلاقه .

وفي رواية في صحيح مسلم في الحديث المتقدم : «**وَلاَ يَقُلِ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ مَوْلاَيَ**» ، وفي رواية : «**فَإِنَّ مَوْلاَكُمُ اللَّهُ ﷻ**»[3] .

وقد قال ﷺ للصحابة ﷺ عند الانصراف من غزوة أحد:«**قُولُوا اللَّهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ** » .[4]

وفي رواية : «**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي ، فَكُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ وَلَكِنْ لِيَقُلْ فَتَايَ، وَلاَ يَقُلِ الْعَبْدُ رَبِّى ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ سَيِّدِي**»[5] .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٤٩) .

(٢) في حديث خرجته في اسم الله السيد جل جلاله وسيأتي إن شاء الله .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري(٢٥٥٢) ومسلم (٢٢٤٩) .

(٤) أخرجه البخاري(٣٠٣٩)

(٥) المصدر السابق، لكن في السند اختلاف على الأعمش بيَّنه الإمام مسلم في سياق رواياته، وأن منهم من رواه بذكر هذه الزيادة «ولا يقل أحدكم مولاى فإن مولاكم الله ولكن ليقل سيدي»، =

وفي رواية: «**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ.وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ**[١]**، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي.وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي**»[٢].

وسببُ النهي والله أعلم :

أَنَّ حَقِيقَة الرُّبُوبِيَّة لِلَّهِ تَعَالَى ، لأَنَّ الرَّبّ هُوَ الْمَالِك وَالْقَائِم بِالشَّيْءِ فَلا تُوجَدُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ إِلا لِلَّهِ تَعَالَى .

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : سَبَب الْمَنْع أَنَّ الإِنْسَان مَرْبُوبٌ مُتَعَبِّدٌ بِإِخْلَاص التَّوْحِيد لِلَّهِ وَتَرْك الإِشْرَاك مَعَهُ ، فَكَرِهَ لَهُ الْمُضَاهَاة فِي الِاسْم لِئَلا يَدْخُل فِي مَعْنَى الشِّرْك[٣].

وأمّا عند الإضافة ، فيجوز إطلاقه

كما قال ﷺ : «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ**» يعني ﷺ سعد بن معاذ رضي الله عنه .

=

ومنهم من لم يذكرها ، وقال عياض : حذفها أصح ، وقال القرطبي : المشهور حذفها قال : وصار إلى ترجيح رواية الحذف لوجود التعارض مع تعذر الجمع وعدم العلم بالتاريخ حتى يصار إلى النسخ ، حكاه عنه الحافظ في «الفتح» (٥/ ٢١٨) وسيأتي سياق الأحاديث المعارضة قريبًا إن شاء الله ـ .

(١) فلم يذكرﷺ المولى المطلق، وإنما قال:«سيدي مولاي» .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥٥٢) ، ومسلم (٢٢٤٩) .

(٣) «فتح الباري» (٥/ ٢١٧) .

وقوله ﷺ : «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» يعني الحسن .

وقوله ﷺ : «**أنا سيدُ ولد آدم**» كما أشرت إلى نحوه .

ومن كتاب الله قوله ﷻ حكاية عن يوسف عليه السلام :﴿ **اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** ﴾ [يوسف : ٤٢] ، ﴿ **ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ** ﴾ [يوسف : ٥٠] .

وقول الرسول ﷺ في أشراط الساعة: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**»[^1] .

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ **وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** ﴾ [النور : ٣٢] .

وفي سنة رسول الله ﷺ :«**الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ سَيِّدَهُ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**»[^2] .

وقد جمع العلماء بين الأحاديث التي ظاهرها التعارُض في هذا الباب بوجوه أخرى من الجمع

فمنهم من قال:إن النهي للتنزيه، وما ورد في ذلك من الإذن من الأدلة المتقدمة لبيان الجواز، وقيل: هو مخصوص بغير النبي ﷺ ، وقيل: المراد عدم الإكثار من ذلك واتخاذ استعمال هذه اللفظة عادة، وليس المراد النهي عن ذكرها في الجملة.

[^1]: (١) صحيح أخرجه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٨) .
[^2]: (٢) صحيح أخرجه البخاري (٦٨١٣) ومسلم (١٧٠٣) .

وقال الإمام مالك : بتخصيص الكراهة بالنداء فيكره أن يقول : يا سيدي ، ولا يكره في غير النداء .

فيحمل المتعارض في الظاهر من الأحاديث على وجه من هذه الوجوه[١].

تنبيه: يجور إطلاق المولى على المرء بمعنى التداخل كلحمة النسب والقرابة، كما في قوله ﷺ لزيد رضي الله عنه :«**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا** »[٢].

فالمعنى:أنك متصل بي من جهة القرابة، ومنه قوله ﷺ لعلى رضي الله عنه :«من كنت مولاه فعلي مولاه» أي ولاء الإسلام، فالله مولى المؤمن، والكافر لا مولى له .

وقد سدَّ النبي ﷺ مداخل الشرك حتى في الألفاظ ، فنهى ﷺ عن المشاركة في اللفظ الجامع بين الله ﷻ ورسوله

ففي حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ رَجُلاً خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : مَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ. قُلْ وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ** »[٣]. كذا قال:«**وَمَنْ يَعْصِهِمَا**».

فأَنْكَرَ ﷺ عَلَيْهِ لِتَشْرِيكِهِ فِي الضَّمِيرِ الْمُقْتَضِي لِلتَّسْوِيَةِ، وَأَمَرَهُ بِالْعَطْفِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ سبحانه وتعالى بِتَقْدِيمِ اسْمه ، كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْحَدِيث الآخَر:«**لا يَقُلْ أَحَدكُمْ**

---

(١) وقد أشار إليها الحافظ في «الفتح» (٥/ ٢١٨) ، وغيره .

(٢)أخرجه البخاري(٢٦٩٩)؟

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٨٧٠) .

مَا شَاءَ اللَّه وَشَاءَ فُلان وَلَكِنْ لِيَقُلْ : مَا شَاءَ اللَّه ثُمَّ شَاءَ فُلان» [١] قاله: القاضي وجماعة من العلماء[٢].

لكن يشكل على هذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال :

عَلَّمَنَا رَسُول اللَّه ﷺ خُطْبَة الْحَاجَة : «**الْحَمْد لِلَّهِ نَسْتَعِينهُ وَنَسْتَغْفِرهُ وَنَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا مِنْ يَهْدِ اللَّه فَلا مُضِلّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِي لَهُ وَأَشْهَد أَنْ لا إِلَه إِلا اللَّه وَأَشْهَد أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْده وَرَسُوله أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْن يَدَيْ السَّاعَة مَنْ يُطِعْ اللَّه وَرَسُوله فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَإِنَّهُ لا يَضُرّ إِلا نَفْسه ، وَلا يَضُرّ اللَّه شَيْئًا**»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٨٢) بإسنادٍ صحيح .

(٢) حكاه عنهم النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٧٢٦) .

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٩٩) بإسناد صححه النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٧٢٧) لكن في إسناده عمران بن داور القطان وهو ضعيف على الراجح .

قال ابن القيم رحمه الله في «تهذيب السنن» :

إن صح حديث عمران بن داور ، فلعله رواه بعضهم بالمعنى فظن أن اللفظين سواء ، ولم يبلغه حديث «**بئس الخطيب أنت**» وليس عمران بذاك الحافظ » .

وذهب الملا علي القاري في «شرح المرقاة» (١/ ١٨٦) إلى أن :

العمل بخبر المنع أولى، لأن الخبر الآخر يحتمل الخصوصية ، وذهب بعضهم إلى أن ترك اللفظ إنما هو للأدب لكنه مشكل ؛ لأن النبيﷺ ذكر اللفظ وحاشاه ﷺ أن يخالف الأدب »

=

فإن صح بهذا السياق – ولا أظنه يصح – فوجه الجمعِ بينهما ما قاله النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وَالصَّوَابُ أَنَّ سَبَبَ النَّهْي أَنَّ الْخُطَب شَأْنهَا الْبَسْط وَالإِيضَاح وَاجْتِنَاب الإِشَارَات وَالرُّمُوز ، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا لِيُفْهَم .

ولكن الإسناد بالحديث الذي جمعهما النبيّ ﷺ لا يصح والله أعلم .

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ**»[١] كذا قال « مِمَّا سِوَاهُمَا ».

والحاصل أنَّه ينبغي العدول عن الجمع بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله ﷺ في اللفظ ، فإن حديثَ عدي بن حاتم وغيره ناقلٌ عن الأصلِ ، والحديث المثبت لهما باقٍ على الأصل والعمل بالحديث الناقل عن الأصل أولى .

ثم إنَّ القول يُقدَّم على الفعلِ لاحتمالِ دخولِ الخصوصيةِ بالنبيِّ ﷺ في

=

وأصل الحديث من رواية ابن مسعود رضي الله عنه الثابت في خطبة الحاجة ، ليس فيه هذا اللفظ ، والله أعلم.

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) .

القول والله أعلم .

متفرقات تتعلق بمباحث العقيدة

والإسلام بدأ غريبًا ، وهو آخر الزمان غريبًا فلا يهولنك كثرة الهالكين ، ولا تغترّ بكثرة السالكين ، ولا تستوحش من قلة السالكين .

ففي صحيح مسلم[(١)] من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﭭ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا**»[(٢)] .

وقد قال ﷺ : «**إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَة**» [(٣)] .

والله ﷻ يقول : ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ [سبأ : ١٣] .

وإذا كان النبي ﷺ أخبر أنه يأتي زمان على أناس تجَارَى بهم[(٤)] الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه كما قال رسول الله ﷺ، فقد بيَّن عليه الصلاة والسلام سبيل الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة لئلا يضل الناس بعده .

---

(١) برقم (١٤٥) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٨٧٦) ، ومسلم (١٤٦) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٩٤) .

(٤) «تجارى بهم» أي تسري في عروقهم ومفاصلهم .

ففي مسند الإمام أحمد وغيره بإسنادٍ حسن عَنْ أَبِي عَامِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لُحَيٍّ قَالَ : حَجَجْنَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَامَ حِينَ صَلَّى صَلاةَ الظُّهْرِ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي الأَهْوَاءَ - كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ**[1] **لا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلا دَخَلَهُ**»

وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ لَغَيْرُكُمْ مِنْ النَّاسِ أَحْرَى أَنْ لا يَقُومَ بِهِ[2].

وثم سؤال يتعلق بالاعتقاد هل الله في جهة أم ليس في جهة ؟

والجواب أن يسأل سؤالاً آخر :

ماذا تعني الجهة ؟

---

(١) والكَلَب : هو داء يصيب الإنسان بسبب عض الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا يعض أحد إلا كَلِب ، والمقصود أن الأهواء تؤثر فيهم كما يؤثر عض الكلب المسعور فيمن يعضه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٠٢) وبعض أصحاب السنن، وفي النفس شيء من تحسين آخره: «والله يا معشر...» وإلا فالمعنى مخالف لـقوله: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الأنعام. ونحو هذه الآيات.

إن كنت تعني جهةً تحيط به ، جهة تخضع لمقاييس البشر فالله ليس كذلك إذ ليس كمثله شيء وليس له سميًا .

وإن كنت تعني بالجهة جهة علو تليق بالله، فالله كذلك .

يدل عليه قوله ﷺ : «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِى صَلاَةِ الْعَصْرِ وَصَلاَةِ الْفَجْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ... الحديث**»[١] فهي جهة علو.

وقوله ﷺ : «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلاَّ الطَّيِّبُ**»[٢]. فهذه أيضاً جهة علو.

وقوله ﷺ : «**أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[٣] يعني على السماء[٤]. ومن قال بأن السؤال هكذا بدعة لكون السلف لم يكونوا يسألوا عنه فله وجه ، وهو أسلم والله أعلم .

وقد قال ﷺ : «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْء... الحديث**»[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٤) وراجع «فتح الباري» (١٣/ ٥٠٧) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤١٨) .

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» عن ابن المنير :

نَبَّهَ البخاري عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ مَنْ أَثْبَتَ الْجِهَةَ أَخْذًا من قَوْله ذِي المعارج فَفُهِمَ أَنَّ الْعُلُوَّ الْفَوْقِيَّ مُضَافٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَبَيَّنَ الْمُصَنِّفُ أَنَّ الْجِهَةَ الَّتِي يَصْدُقُ عَلَيْهَا أَنَّهَا سَمَاءٌ وَالْجِهَةُ الَّتِي يَصْدُقُ عَلَيْهَا أَنَّهَا عَرْشٌ كُلٌّ مِنْهُمَا مَخْلُوقٌ مَرْبُوبٌ مُحْدَثٌ وَقَدْ كَانَ اللهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ فَحَدَثَتْ هَذِهِ الْأَمْكِنَةُ وَقِدَمُهُ يُحِيلُ وَصْفَهُ بِالتَّحَيُّزِ فِيهَا وَالله أعلم »[1] .

والرؤية في الدنيا تستلزم وجود الجهة ، والله يُرى في الآخرة ، لكن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا ، والله تعالى في جهة تليق به وليس كمثله شيء ، وأما اشترطه الخوارج ، والمعتزلة ، وبعض المرجئة من شروط عقلية كالبنية المخصوصة ، والمقابلة ، واتصال الأشعة ، ونحو ذلك فخطأ ، خطأ عند أهل السنة الذين لا يشترطون إلا وجود المرئي[2] .

لكن قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ [3]:

«ظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [طه : ٥] .

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٥٠٧) ، وانظر (١٣/ ٥٠٩) .

(٢) راجع «فتح الباري» (١٣/ ٥١٠) بتصرف .

(٣)في «الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٠٥) فما بعدها

ومثل قوله ﷻ : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

ومثل قوله ﷻ : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧].

ومثل قوله ﷻ : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥] .

ومثل قوله ﷻ : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] .

ومثل قوله ﷻ : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾ [الملك : ١٦] .

والشبهةُ التي قادت نفاةَ الجهةِ إلى نفيها :

هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية.

ونحن نقول : هذا كله أوقعهم فيه أنهم قاسوا العالَم الوجودي على العالَمِ العدمي الذي هو معدوم الكيفية بالنسبة إلينا .

وقد ردَّ ابن القيم رحمه الله [1] على قول المعطِّلة «تنزَّه عن الجهة» قال :

إن أردتم أنه منزه عن جهة وجودية تحيط به وتحويه وتحصره إحاطة الظرف للمظروف وحصره له فنعم هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى، ولكن لا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى .

---

(١) في «الصواعق» (٣/ ٩٤٧ ، ٩٤٩).

وإن أردتم بالجهة أمرًا يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه فنفيكم لهذا المعنى باطل ، وتسميتكم له جهة اصطلاح منكم توسلتم به إلى نفي ما دلَّ عليه العقل والنقل والفطرة ، فسميتم ما فوق العالم جهة ، وقلتم منزه عن الجهات وسميتم العرش حيزًا ، وقلتم الرب ليس بمتحيز ، وسميتم الصفات أعراضًا ، وقلتم الرب منزه عن قيام الأعراض به ، وسميتم حكمته غرضًا وقلتم إنه منزه عن الأغراض ، وسميتم كلامه بمشيئته ونزوله إلى سماء الدنيا ، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء ، وإرادته ، ومشيئته المقارنة لمراده ، وإدراكه المقارن لوجود المدرك ، وغضبه إذا عُصِيَ ورضاه إذا أطيع، وفرحه إذا تاب إليه العباد ، ونداءه لموسى حين أتى إلى الشجرة ، ونداءه للأبوين حين أكلا من الشجرة في الجنة ، ونداءه لعباده يوم القيامة ، ومحبته لمن كان يبغضه في حال كفره ثم صار يحبه بعد إيمانه ، وسميتم شؤون ربوبيته التي هو كل يوم في شأن منها حوادث ، وقلتم الرب منزه عن حلول الحوادث ، وحقيقة هذا التنزيه أنه منزه عن الوجود وعن الإلهية وعن الربوبية وعن الملك، وعن كونه فعالاً لما يريد ، بل عن الحياة والقيومية ، ولا يتقرر كونه ربًا للعالمين، وإلهًا للعباد إلا بالتنزيه عن هذا التنزيه والإجلال عن هذا الإجلال ، فانظر ماذا تحت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب ولا تقوم به الأعراض ، ولا يوصف بالأبعاض ولا يفعل الأغراض ، ولا تحله الحوادث ، ولا تحيط به الجهات ، ولا يقال في حقه أين ، وليس بمتحيز ، كيف كسوا حقائق أسمائه وصفاته وعُلُوَه على خلقه واستوائه على عرشه وتكليمه

لعباده ورؤيتهم له بالأبصار في دار كرامته هذه الألفاظ ثم توصلوا إلى نفيها بواسطتها، وكفَّروا وضلَّلوا من أثبتها ، واستحلوا منه مالم يستحلوه من أعداء الله من اليهود والنصارى ؟»

فالله الموعد وإليه التحاكم وبين يديه التخاصم

ونحن وإياهم نموت ... ولا أفلح عند الحساب من ندما.



فصل في:

أسماء الله الحسنى وصفاته

أولاً : أسماء الله الحسني

تمهيد : إن الإيمان بأسماء الله الحسنى ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة :

توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات[١].

وهذه الأنواع هي روح الإيمان ورَوحه ، وأصله وغايته .

فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ؛ ازداد إيمانه ، وقوي يقينه ، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه فى معرفة الأسماء والصفات ... ، وهذه المعرفة النافعة التى لا يزال صاحبها فى زيادة فى إيمانه ، وقوة فى يقينه ، وطمأنينة فى أحواله ...

فالإيمان يحصل ويقوى بأمور كثيرة ؛ منها- بل من أعظمها- معرفة أسماء الله الحسنى الواردة فى الكتاب والسنة ، والحرص على فهم معانيها ، والتعبد لله بها .

قاله الشيخ السعدي رحمه الله [٢]في ذكره للأمور التي يستمد منها الإيمان.

---

(١) فإن معرفة أسماء الله الحسنى والإيمان بها يستلزم التعرُّف على ذات الله، وربوبيته، وهذا يحمل الإنسان على التعبُّد بأسماء الله وصفاته، والعمل بمقتضيات الأسماء وهي العبودية أو الألوهية فبذلك يكون الإيمان بالأسماء الحسنى ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة.

(٢)فى «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص٧١ ـ ٧٢).

وقد سقنا أكثر مبحث الأسماء والصفات في أسئلة وأجوبة ليسهل تناول الناس لها ، وأسأل الله عظيم النفع منه .

فالواجب على العبد أن يعتقده فى باب أسماءِ اللّه تعالى وصفاته

أولاً : أن يعلم أن أسماء الله كلها حُسنى ، وتدل على صفات عَلَيَّة تليق به سبحانه على أنها لا تُماثلها صفات المخلوقين لا من قريب ولا من بعيد كما قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١] ، وقال تعالى : ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً** ﴾ [مريم:٦٥] ، وقال: ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ [الاخلاص:٤] ، وقال : ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ [النحل:٦٠] .

ثانياً : أن يعلم أن ظواهر الآيات التى تتكلَّم على الصفات مرادة كما حكاه الخطابي وأبو بكر الخطيب عن السلف، وقد ذكره عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ١٧٧) ، وسيأتي .

ولو كانت الحقيقة غير الظاهر الذى هو إثبات اليد والعين والقدم والنزول...وغير ذلك لسأل أصحابُ النبيِّ ﷺ نبيَّهم عن ذلك، إذ كيف يعبدون اللهَ ببواطن آياتٍ غير ظاهرها، ولا يسألون النبيَّ ﷺ ولا حتى يبيِّنُها هو ﷺ لهم، وهو مما يؤدي إلى اختلاف الخلف الذين يأتون بعده فى الاعتقاد مع السلف رضي الله عنهم فى ذلك؟

فالسلف يقولون : لله عين ووجه ؛ لقولـه تعالى مخاطباً موسى ﷺ : ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾ [طه:٣٩] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

ويقولون : لله يد كلتاهما يمين مباركة ؛ لقولـه تعالى عن نفسه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤] .

ولقولـه ﷺ : «**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ...**»(١)، وقولـه : «**وكلتا يديه يمين**»(٢).

ويقولون : الله مستوٍ على العرش ؛ لقولـه تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥] .

ويقولون : الله يجيء ؛ لقولـه تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ [الفجر:٢٢] .

ويقولون : الله يحب ؛ لقولـه تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة:٤٢]

ويقولون : الله يرضى ؛ لقولـه عن نفسه : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:١٨] .

ويقولون : إن الله يكره ويبغض ؛ لقولـه تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٦] ، ولقول النبي ﷺ : «**إِذَا أَبْغَضَ الله عَبْدًا قَالَ لِجِبْرِيلَ إِنِّي**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥١٩) ، ومسلم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو .

أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ»(١).

ويقولون : إن الله يغضب ؛ لقوله تعالى : ﴿ **عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾ [الفتح:٦] .

ويقولون : لله رحمة، كما قال تعالى : ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ** ﴾

ويقولون : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا ؛ لقوله ﷺ : «**يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**»(٢)

ويقولون : إن الله يضحك ؛ لقوله ﷺ عن الرجل الذى يدخل الجنة بعدما يعطي الله المواثيق أن لا يسأل الله غير ما أعطاه : «**... فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ : ادْخُلْ الْجَنَّةَ**»(٣)

ويقولون : إن الله يفرح ؛ لقوله ﷺ : «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا**»(٤).

ويقولون : إن الله يعجب ؛ لقوله ﷺ : «**عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ**»(٥).

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٨٥) ، ومسلم (٢٦٣٧) .

(٢) صحيح : متفق عليه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٤٥) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠١٠) .

ومع إثبات ذلك فهم ينزهون ربَّهم عن مماثلته فى صفاته لذوات المخلوقين، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] وشبهها .

فليس كمثله شيء مع إثبات صفات السمع والبصر... ونحو ذلك من صفات الذات وصفات الأفعال .

والمقصود :

أن على المسلم أن يعتقد أن الله تعالى جلَّ اسمه فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسن أسمائه وعلو صفاته لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، ولا يشبَّه به ، وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقي ، فصفات الخالق بخلاف صفات المخلوق .

فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات ، كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض [(١)] والأغراض [(٢)]، وهو تعالى منزه عن ذلك ، بل لم يزل بصفاته وأسمائه ، وكفى فى هذا قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[(٣)].

والمقصود :

(١) أي أنها عرض تتلف وتفنى وتمرض ... إلى غير ذلك .

(٢) الأغراض: المقاصد، أي: تُقصد وتُدرك من قِبل مَن أرادها بخلاف صفات الله تعالى .

(٣) ذكر هذا القاضي عياض فى «الشفا فى ذكر حقوق المصطفى» ص ٢٦٠ ، وقال : «هذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم» .

أن اشتراك الاسم أو الصفة بين الخالق والمخلوق لا يُوجِبُ تشابهًا لا في الأذهان السليمة ، ولا في أدلةِ الشرعِ المطهرِ .

وعمدة جميع الذين نفوا الصفات والأسماء عن الله ظنوها تُوجِبُ تشابهًا أو تماثلاً، وهذا لا يليق بالله – وليس الأمر كذلك –

بل الأسماء والصفات تُطلقُ على الله بمعنى يَخُصُّهُ سبحانه، وتُطلق على المخلوق بمعنى يخصه، كلٌّ على ما يليقُ به .

فالله حليمٌ ووصف عبده إبراهيم عليه السلام بأنه حليمٌ وليس الحِلمُ كالحلم ، والله رؤوفٌ رحيم، ووصف عبده محمدًا ﷺ بأنَّهُ رؤوفٌ رحيمٌ بالمؤمنين وليس هذا كذا، والله تعالى جليلٌ كريمٌ ذو الجلال والإكرام ، وكل نبيٍ كريمٌ جليلٌ وليس جلالةُ النبي كجلالة المولى سبحانه، والله شكور ووصف نبيه نوحًا ﷺ بأنه كان عبدًا شكورًا، وليس الشكور من عباده كالشكور سبحانه ، والله حيٌّ وجميع الخلق أحياء وليست الحياة كالحياة، والله مولى الرسول ﷺ وجبريلُ وصالحُ المؤمنين كلٌّ منهم مولىً لرسول الله ﷺ، وليست ولاية جبريل وصالح المؤمنين في النصرة كولايته سبحانه، ولم يلزم ذلك مشابهةٌ بين الخالق والمخلوق.(١)

س : ما معنى إحصاء أسماء الله الحسنى الذى في قوله ﷺ فى الحديث الذى فى الصحيحين : «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» حتى ينال العبد بإحصائه لها الجنة ؟ وهل لإحصائها مراتب ؟ مع ذكر

(١) ثم ذكر بعض أقوالهم وراجع «فتاوى اللجنة الدائمة» (٣/ ١٦٣) .

كيفية العمل بأسماء الله الحسنى وهو التعبد لله تعالى بها ؟

الجواب :

معنى الحديث أن أسماء الله متعددة من شأنها أن مَن أحصاها دخل الجنة .

أما معنى الإحصاء فى الحديث :

فقيل : حفظها ، وصححه النووي ، لما جاء مفسراً فى رواية مسلم (٢٦٧٧) أن النبي ﷺ قال : «... **مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

ويؤيده قوله تعالى : ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾ [يس : ١٢] أي حفظناه وهو تفسير البخاري رحمه الله[١].

وقيل: أحصاها ؛ العمل بها لا عدَّها وحفظها فحسب ، لأن ذلك قد يقع للكافر والمنافق كما فى حديث الخوارج قال ﷺ : «**يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ**»[٢].

وقال ابن بطال : الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل .

فالذي يقع بالقول: أن لله أسماء يختص بها كالأحد والمتعال والقدير ونحوها فيجب الإقرار بها والخضوع عندها ، وله أسماء يستحب الاقتداء بها فى معانيها كالرحيم والكريم والعفو ونحوها ، فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها ، فبهذا يحصل الإحصاء العملي .

---

(١) راجع «فتح الباري» (١٣/ ٤٥٨) .

(٢) هذا الحديث جزء من حديث أخرجه البخاري (٣١٣٨) ، ومسلم (١٠٦٣).

وأما الإحصاء القولـي فيحصـل بجمعهـا وحفظها، والسـؤال بها، ولو شارك المؤمن غيره فى العدّ والحفظ فإن المؤمن يمتاز عنه بالإيمان والعمل بها[١]

وللإحصاء معانٍ أخرى :

منها : الإحصاء الفقهي، وهو العلم بمعانيها من اللغة وتنزيهها على الوجوه التى تحملها الشريعة .

ومنها : الإحصاء النظري ، وهو أن يعلم معنى كل اسم بالنظر فى الصيغة، ويستدل عليه بأثره الساري فى الوجود ، فلا تمرّ على موجود إلا ويظهر لك فيه معنى من معاني الأسماء ، وتعرف خواص بعضها ، وموقع القيد ، ومقتضى كل اسم ، وهذا أرفع مراتب الإحصاء .

وتمام ذلك أن يتوجه إلى الله تعالى من العمل الظاهر والباطن بما يقتضيه كل اسم من الأسماء ، فيعبد الله بما يستحقه من الصفات المقدسة التى وجبت لذاته ، فمن حصلت لـه جميع مراتب الإحصاء حصل على الغاية، ومَن مُنح منحاً مِن مناحيها فثوابه بقدر ما نال والله أعلم[٢].

وقد لخص بعض أهل العلم معنى الإحصاء فقال :

«**مَن أحصاها دخل الجنة**» قد فسر ذلك بمعانٍ منها :

حفظُها ودعاء الله بها والثناء عليه بجميعها ، ومنها أن ما كان يسوغ

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٣٩٠) ، وبتفصيل (١١/ ٢١٨) ط دار الريان .

(٢) حكاه الحافظ فى «الفتح» (١١/ ٢٦٤) عن أبي العباس بن معد .

الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم فيمرّن العبد نفسه على أن يصح لـه الاتصاف بها فيما يليق به . (١)

(١) **فقد قال ابن القيم** فى «مدارج السالكين» (١/ ٣٢٠) :
الله سُبْحَانُهُ يُحِبُّ مُوجَبَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.فَهُوَ عَلِيمٌ يُحِبُّ كُلَّ عَلِيمٍ، جَوَّادٌ يُحِبُّ كُلَّ جَوَّادٍ، وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَأَهْلَهُ، حَيِيٌّ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَأَهْلَهُ، بَرٌّ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ، شَكُورٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ، صَبُورٌ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، حَلِيمٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْحِلْمِ)) . اهـ

قلت «محمد» : هذا كلام مستقيم، إلا أن فى إثبات بعض الأسماء التى ذكرها نظر ، وكـون لله أسماء يحب الاقتداء بها في معانيها صحيح ، ويؤيده حديث «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» فأشار إلى اسمه سبحانه، ثم دعى الناس إلى ما ينبغي عليهم تجاه هذا الاسم وهو رحمة الناس .
والحديث أخرجه أبو داود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) وأحمد (٢/ ١٦٠) ، وغيرهم ، وصححه بعض أهل العلم .

وقال ابن القيم أيضاً فى «عدة الصابرين» (ص ٣٨٧) :
لما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر ، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدها .
وهذا شأن أسمائه الحسنى ، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها ، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها ، ولهذا يبغض الكفور والظالم والجاهل والقاسي القلب ، والبخيل ، والجبان ، والمهين، واللئيم .
وهو سبحانه جميل يحب الجمال ، عليم يحب العلماء ، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين ، شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، جواد يحب أهل الجود ،
=

وما كان يختص به نفسه تعالى كالجبار والعظيم والمتكبر فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها ، وعدم التحلي بصفة منها .

وما كان فيه معنى الوعد؛ كالغفور، والشكور، والعفو، والرءوف ، والحليم، والكريم؛ فليقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد كعزيز ذي انتقام، وشديد العقاب، وسريع الحساب؛ فليقف منه عند الخشية والرهبة .

ومنها (أي من المعاني التى فُسر بها الإحصاء) : شهود العبد إياها وإعطاؤها حقها معرفة وعبودية .

مثاله :

=

ستار يحب أهل الستر ، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف ، عفو يحب العفو ، وتر يحب الوتر .

وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته ، وموجبها ، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها.اهـ

قلت «**محمد**» : ظاهر كلام ابن القيم أن إحصاء الأسماء يكون بالتعبد لله تعالى بكل اسم بمقتضاه ، والتخلق بمعنى الاسم .

وقد استظهر القرطبي فى «الأسنى»ص ٣ أن جميع المعاني التى ذكرت للإحصاء فى الحديث قريبة ، إلا ما ذكر فى معناها من أنه العد والحفظ فقط ، ثم قال :

وكلها وعدٌ يختص بالمؤمن بلا إشكال، وأن المطلوب من معرفته التعبد بها والائتمام بما تقتضيه على سنن العبودية والتبرؤ من شاكلة الربوبية .

مَن شهد علو الله تعالى على خلقه ، وفوقيته عليهم ، واستواءه على عرشه بائناً من خلقه ، مع إحاطته بهم علماً ، وقدرة ، وغير ذلك ، وتعبد بمقتضى هذه الصفة ، بحيث يصير لقلبه صمداً يعرج إليه ، مناجيًا له ، مطرقًا ، واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز ، فيشعر بأن كلامه وعلمه معروض عليه ، فيستحي أن يصعد إليه ما يخزيه ويفضحه هناك .

ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة ، والإحياء ، والإعزاز ، والخفض، والرفع ، والعطاء، والمنع ، وكشف البلاء ، وإرساله، ومداولة الأيام بين الناس ، إلى غير ذلك من التصرفات فى المملكة التى لا يتصرف فيها سواه ، فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [السجدة:٥] .

فمن وفَّى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية فقد استغنى بربه وكفاه ، وكذلك من شهد علمه المحيط ، وسمعه ، وبصره ، وحياته ، وقيوميته ، وغيرها .

ولا يُرزق هذا المشهد إلا السابقون المقربون(١).

---

(١) قاله حافظ بن أحمد حكمي رحمه الله فى كتابه «٢٠٠ سؤال فى العقيدة» رقم (٧١) ، وراجع بأوجز من هذا ؛ كلام الحافظ فى «التلخيص الحبير» (٤/ ١٢٧) نقله هناك عن العلماء .

والحاصل: أن كمالَ العبد وسعادته فى التعبد بأسماء الله تعالى[1] والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور فى حقه ، ومن لم يكن له حظ من أسماء الله إلا سماع الألفاظ ، لم يفهم المعنى ، ولم يكن لـه حظ من العمل بمقتضاها فهو مبخوس الحظ ، نازل الدرجة ، ليس يَحسن به أن يتبجح بما ناله، فإن سماع اللفظ لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع التى بها تُدرِك الأصوات، هذه رتبة تشارك البهيمة فيها، وقد أشار إلى ذلك الغزالي رحمه الله.[2]

وهذا صحيح ، وإلا فالعابد يعبد المسميات التى لاحقائق لمسمياتها، أشبه بفعله مَن أطلقوا على الأصنام اللات من الإله ، والعزى من العزيز فعبدوها ، فأنكر الله تعالى عليهم فقال : ﴿ **مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ** ﴾ [يوسف:٤٠] .

وضرب ابن القيم رحمه الله مثلاً كما فى «البدائع» (٢٤/١) فقال :

(١) وقد وردت فى ثنايا كلام الإمام الغزالي رحمه الله عبارة : «التخلق بأخلاق الله تعالى» فتعقبها ابن القيم فى «البدائع» (١/ ١٧٢) وأراد استبدالها بعبارة «الدعاء بأسماء الله» ، قال : «وهذه العبارة أولى من عبارة مَن قال : يتخلق بأخلاق الله ، فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله قدر الطاقة ، وأحسن منها عبارة أبي الحكم ابن برهان وهي «التعبد» وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال ، فمراتبها أربعة ، أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبّه ، وأحسن منها عبارة مَن قال : التخلق ، وأحسن منها عبارة مَن قال : التعبد ، وأحسن من الجميع «الدعاء» وهي لفظ القرآن» . اهـ كلامه رحمه الله .

(٢) فى «المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى» (ص ٤٥)

هذا كمن سمى قشور البصل لحماً وأكلها ، فيقال : ما أكلت إلا اسمه لا مسماه ، وكمن سمى التراب خبزاً وأكله ، يقال له : ما أكلت إلا اسمه لا مسماه، فمن سمى التراب خبزاً فأكله يقال له: ما أكلت إلا اسم الخبز .

وحكى الصنعاني فى «السبل» (١٥٠/٤) عن ابن بطال أنه قال عن العمل بالأسماء الحسنى :

طريق العمل بها ما كان يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم فيمرِّن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص به نفسه كالجبار والعظيم ، فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها ، وعدم التحلي بصفة منها ، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة ، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة . اهـ

أما عن مراتبِ إحصاء أسماء الله فلها مراتب :

وأنبّه إلى أن تحقيقها هو قطب السعادة ومدار النجاح والفلاح، كما أشار ابن القيم عند ذكر مراتبها ، فقال :

المرتبة الأولى : إحصاء ألفاظها وعددها .

المرتبة الثانية : فهم معانيها ومدلولاتها .

المرتبة الثالثة : دعاؤه بها كما قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

وهما مرتبتان :

إحداهما : دعاء ثناء وعبادة . **الثاني :** دعاء طلب ومسألة [١].

فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يُقال : يا موجود أو يا شيء ، أو يا ذات اغفر لي وارحمني ، بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم ، ومَن تأمل أدعية الرسل ، ولاسيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا .[٢]

س: ما الحكمة فى القصرعلى العدد المخصوص فى الحديث «تسعة وتسعين»؟

---

(١)ودعاء الثناء هو: الثناء على الله، ودعاء الطلب: هو سؤال الله تعالى، وقد كلاهما جمعا في سورة الفاتحة، فقوله فيها:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ كل هذا دعاء ثناء، وقوله:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ هذا دعء طلب، وقوله ﷺ الذي رواه البخاري(٢٩٣٣) ومسلم (١٧٤٢):« اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ » هذا دعاء ثناء، وقوله:« اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ » هذا دعاء طلب.

(٢) قاله ابن القيم رحمه الله فى «بدائع الفوائد» (١/ ١٧١ - ١٧٢) .
ولذلك سنورد عدد هذه الأسماء قريباً إن شاء الله مقرونة بأدلتها اسماً اسماً مع ذكر معانيها ، ومدلولاتها ، ودعاء الله تعالى بها ، والأثر عند العبد من معرفتها ، مراعاة لهذه المراتب التى ذكرها العلماء رحمهم الله تعالى .

الجواب :

قد ذكر الفخر الرازي عن الأكثر أنه تعبّد لا يُعقَل معناه، كما قيل فى عدد الصلوات وغيرها ، ونُقل عن أبي خلف محمد بن عبد الملك الطبري السلمي قال : إنما خصّ هذا العدد إشارة إلى أن الأسماء لا تؤخذ قياساً . (١)

وقيل : الحكمة فيه أن معاني الأسماء لو كانت كثيرة جداً موجودة فى التسعة والتسعين المذكورة . إلى غير ذلك من الوجوه التى ذكرها الحافظ فى «الفتح». (٢)

والقلب أميل إلى ما ذكره الفخر الرازي أولاً من أنه تعبد لا يعقل معناه ، والله أعلم .

ولو كان معرفة ذلك ضرورية لبيَّنها ﷺ، فالظاهر أنه أمر تعبدي كأعداد الصلوات.

س : هل أسماء الله تعالى محصورة فى العدد التسعة والتسعين ، أم أن الأسماء الحسنى أكثر من التسعة والتسعين ؟

الجواب :

---

(١) يعني : أنه أوقف العدد عند تسعة وتسعين ، ولم يجعلهم تسعين أو مائة مثلاً ليُعلم أن الأسماء توقيفية ، لا مجال للقياس فيها .

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٥٨) .

تعيين العدد هنا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها ، وهذا كما تقول : لفلان مائة مملوك قد أعدَّهم للجهاد ، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم مُعَدّون لغير الجهاد وهذا لا خلاف فيه بين العلماء .(١)

والحاصل :

أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ، ولا تُحدّ بعدد ، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها فى علم الغيب عنده ، لا يعلمها ملك مقرَّب ولا نبي مرسل ، كما فى الحديث الصحيح الذى أخرجه أحمد وغيره بإسنادٍ صحيح من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا**» قَالَ : فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ : «**بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**»(٢)

---

(١) قاله ابن القيم فى «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٧) بتصرف يسير جداً .

(٢) وقد أُعِلَّ هذا الحديث بسبب بعض رواته ، ولكنه صحيح ، وراجع تنقيح العلامة الألباني فى «الصحيحة» (١٩٩) فى تسمية بعض رواته ، وقد صححه ابن حبان (٩٧٢) وغيره ، وراجع «علل الدارقطني» (٥/ ٢٠١) ، والحديث ثابت .

وقد قال ﷺ : «**لاَ أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[١].

ومن هذا قولـه ﷺ فى حديث الشفاعة[٢] : «**فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ ... الحديث**» ، وتلك المحامد تفي بأسمائه وصفاته .

وقد أشار ابن القيم فى «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٤ ، ١٧٦) إلى نحو ذلك فى بحث نفيس فراجعه إن شئت ، ولا التفات لقول مَن زعم أن الأسماء الحسنى محصورة.

قال الخطابي وغيره عقب قولـه ﷺ : «**أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**» :

فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها، وذلك يدل على أن قوله ﷺ : «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**» أن فى أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة ، كما يقول القائل : إن لي ألف درهم أعددتها للصدقة ، وإن كان ماله أكثر من ذلك ، والله فى القرآن قال : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠] فأمر أن يُدعى بأسمائه الحسنى مطلقاً، ولم يقل : ليست أسماؤه الحسنى إلا تسعة وتسعين اسماً[٣].

وبالحديث استدل صاحب «معارج القبول» فقال : «وَاعْلَمْ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ

(١) كما فى صحيح مسلم (٤٨٦) .
(٢) الذى أخرجه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣) .
(٣) حكاه عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٦) .

عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَتْ بِمُنْحَصِرَةٍ فِي التِّسْعَةِ وَالتِسْعِينَ الْمَذْكُورَةِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، وَلا فِيمَا اسْتَخْرَجَهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْقُرْآنِ ، بَلْ وَلا فِيمَا عَلِمَتْهُ الرُّسُلُ وَالْمَلائِكَةُ وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقِينَ(١) .

وقال الحافظ فى «الفتح» (٢٥٧/١١) :

قد اختلف فى هذا العدد هل المراد به حصر الأسماء الحسنى فى هذه العدة ، أو أنها أكثر من ذلك ، ولكن اختصت هذه بأن مَن أحصاها دخل الجنة .

فذهب الجمهور إلى الثاني ، وعزاه القرطبي فى «الأسنى» (ص ١٠) إلى أكثر أهل العلم ، وعلله بتعليل يؤيده النظر ، فقال :

لا يجوز أن تتناهى أسماؤه ، لأن مدائحه وفواضله غير متناهية ، كما قال فى كلماته : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [لقمان:٢٧] ، وقال جلَّ شأنه : ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً** ﴾ [الكهف:١٠٩] .

ونقل النووي فى «شرح مسلم» (٨/٩) اتفاق العلماء عليه فقال :

«اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه

(١) «معارج القبول» لحافظ بن أحمد حكمي ﷺ (١/ ١١٧) .

وتعالى، فليس معناه أنه ليس له غير هذه التسعة والتسعين» .

وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء مَن أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ... .

ونقل الحافظ أيضاً فى «الفتح» (٢٥٧/١١) :

«عن أبي بكر بن الطيب قال : ليس فى حديث : «**إن لله تسعة ...**» دليل على أنه ليس لله من الأسماء إلا العدة ، وإنما معنى الحديث أن مَن أحصاها دخل الجنة» .

وقال فى «التلخيص الحبير» (١٧٥/٤) :

«ظاهر كلام بعض أهل العلم حصر أسماء الله فى العدد المذكور ، وبه جزم ابن حزم ، ونُوزع ، ويدل على صحة ما خالفه حديث ابن مسعود فى الدعاء الذى فيه : «**أسألك بكل اسم هو لك** ... الحديث » فذكر بعضه، ثم قال : ويدل على عدم الحصر أيضاً اختلاف الأحاديث الواردة فى سردها ، وثبوت أسماء غير ما ذكرته الأحاديث الصحيحة. اهـ

قلت «محمد»:وسيأتي التنبيه على هذه الأسماء التي ليست موجودة ضمن الأسماء التى حصروها إن شاء الله .

وقال ابن كثير كذلك فى «تفسيره» (٢٦٩/٢) :

لِيُعْلَمَ أن الأسماء ليست منحصرة فى تسعة وتسعين.

ثم استدل بالحديث الذي ذكرناه[١].

س : مَن مِن العلماء الذى قال : «إن العلم بأسماء الله وأفعاله أجل العلوم» ؟

الجواب :

قاله الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فى «مفتاح دار السعادة» [٢] :

لَا ريب ان الْعلم بِهِ وباسمائه وَصِفَاته وافعاله أجل الْعُلُوم وافضلها ونسبته إِلَى سَائِر الْعُلُوم كنسبة مَعْلُومَة إِلَى سَائِر المعلومات وكما ان الْعلم بِهِ اجل الْعُلُوم واشرفها فَهُوَ اصلها كلهَا كَمَا ان كل مَوْجُود فَهُوَ مُسْتَند فِي وجوده إِلَى الْملك الْحق الْمُبين ومفتقر اليه فِي تحقق ذَاته وأينيته وكل علم فَهُوَ تَابع للْعلم بِهِ مفتقر فِي تحقق ذَاته اليه فالعلم بِهِ اصل كل علم كَمَا انه سُبْحَانَهُ رب كل شَيْء ومليكه وموجده.

وقال فى موضع آخر :

إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم.[٣]

وقال في موطن آخر في «بدائع الفوائد» (١٧١/١) :

«كما أن كل موجود سواه فبإيجاده فوجود من سواه تابعٌ لوجودِه تبع

(١) وفي كل هذا ردّ على ابن حزم في «المحلى»(١/ ١٠٥) حيث قال :«صح أنها تسعة وتسعين اسمًا فقط، ولا يحل لأحدٍ أن يجيز أن له اسماً زائداً ...» وهي منه– عفا الله عنه – غفلة عن حديث ابن مسعود المرفوع:«... أَوِ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ» وغيره مما ذكرنا.

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٢٤) وبأوجز فى (١/ ١١٣) ط مكتبة الإيمان .

(٣) «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠) .

المفعولِ المخلوقِ لخالقِه ، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه ، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصلٌ لسائرِ العلوم ، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم ، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم ؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها .

وقال فى موطن آخر عن العلم بمعرفة الأسماء والصفات :
هذا من أجلّ المعارف وأشرفها.(١)

قال الشيخ العثيمين :

لا يمكن لأحدٍ أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته ؛ ليعبده على بصيرة ، قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠].(٢)

وقال فى موطن آخر : الإيمان بالله تعالى وأسمائه، وصفاته ، وأفعاله هو أساس الدين، وخلاصة دعوة المرسلين، وهو أوجب وأفضل ما اكتسبته القلوب، وأدركته العقول.(٣)

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣١٨) .

(٢) قاله فى «القواعد المثلى» ص ١٠ ، وبنحوه قاله الشيخ السعدي فى «التوضيح» (ص٧١ - ٧٢)

(٣) «الصيد الثمين فى رسائل الشيخ العثيمين» (١/ ٧٧) ، وانظر «مجموع الفتاوى» (٥/ ٦وما بعدها) .

وعدَّ رَحِمَهُ اللهُ معرفة أسماء الله وصفاته من أسباب زيادة الإيمان(١).

وقد حكى أبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (١٠٧/١ ـ ١٠٨) **عن العلماء قالوا** :

أول فرض فرضه الله تعالى على خلقه معرفته ، فإذا عرفه الناس عبدوه قال الله تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ** ﴾ [محمد : ١٩] ، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته .

قال : ولو أراد رجلٌ أن يتزوج إلى رجل أو يزوجَه أو يعاملَه طَلَبَ أن يعرف اسمه وكنيته ، واسم أبيه وجدّه ، وسأل عن صغير أمره وكبيره ، فالله الذي خلقنا ورزقنا ونحن نرجوا رحمته ونخافُ من سخطِه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها .

ثم إن : حبَّ صفاتِ الله وأسمائه يجلبُ للعبد محبة الله تعالى له .

ففي صحيح البخاري (٧٣٧٥) ، ومسلم (٨١٣) : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِ فَيَخْتِمُ بِـ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : «**سَلُوهُ لأَىِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ**» ، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ : لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ**» .

وفي رواية عن أنس علقها البخاري وأخرجها أحمد وغيره ، أن رسول الله

---

(١) «شرح الواسطية» ص(٥٦٧) ط التوفقية .

ﷺ قال : «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**» وإسناده صحيح كما حررته في غير هذا الموطن .

س : ترجع جميع أنواع العبودية لله إلى مقتضى الأسماء والصفات ، والقصور فى قيام الإنسان بما عليه نحو الأسماء والصفات هو سبب الخلل ، فكل من عصى أو قصَّر فى عبودية ما لله تعالى فبسبب خلل فى هذا الجانب . بيّن كيف يكون ذلك ؟

الجواب : (١)

والأسماء الْحسنى وَالصِّفَات الْعلَا مقتضية لآثارها من الْعُبُودِيَّة

وَالْأَمر اقتضاءها لآثارها من الْخلق والتكوين فَلِكُل صفة عبودية خَاصَّة هِيَ من موجباتها ومقتضياتها أعنى من مُوجبَات الْعلم بهَا والتحقق بمعرفتها وَهَذَا مطرد فِي جَمِيع أَنْوَاع الْعُبُودِيَّة الَّتِي على الْقلب والجوارح فَعلم العَبْد بتفرد الرب تَعَالَى بالضر والنفع وَالعطَاء وَالْمَنْع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يُثمر لَهُ عبودية التَّوَكُّل عَلَيْهِ بَاطِنا ولوازم التَّوَكُّل وثمراته ظَاهرا وَعلمه بسمعه تَعَالَى وبصره وَعلمه وَأَنه لَا يخفى عَلَيْهِ مِثْقَال ذرة فِي السَّمَوَات وَلَا فِي الأَرْض وَأَنه يعلم السِّرّ وأخفى وَيعلم خَائِنَة الْأَعْين وَمَا تخفى الصُّدُور يُثمر لَهُ حفظ لِسَانه وجوارحه وخطرات قلبه عَن كل مَالا يرضى الله وَأَن يَجْعَل تعلق هَذِه الْأَعْضَاء بِمَا يُحِبهُ الله ويرضاه فيثمر لَهُ ذَلِك الْحيَاء بَاطِنا ويثمر لَهُ الْحيَاء اجْتِنَاب الْمُحرمَات والقبائح ومعرفته بغناه وجوده وَكَرمه

(١) من كلام ابن القيم فى «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٠٥) .

وبره وإحسانه وَرَحمته توجب لَهُ سَعَة الرَّجَاء وتثمر لَهُ ذَلِك من أَنْوَاع الْعُبُودِيَّة الظَّاهِرَة والباطنة بِحَسب مَعْرفَته وَعلمه وَكَذَلِكَ مَعْرفته بِجلَال الله وعظمته وعزه تثمر لَهُ الخضوع والاستكانة والمحبة وتثمر لَهُ تِلْكَ الْأَحْوَال الْبَاطِنَة أنواعا من الْعُبُودِيَّة الظَّاهِرَة هِيَ موجباتها وَكَذَلِكَ علمه بِكَمَالِهِ وجماله وَصِفَاته العلى يُوجب لَهُ محبَّة خَاصَّة بِمَنْزِلَة أَنْوَاع الْعُبُودِيَّة فَرَجَعت الْعُبُودِيَّة كلهَا إِلَى مُقْتَضى الْأَسْمَاء وَالصِّفَات وارتبطت بهَا ارتباط الْخلق بهَا.

س : ذكر أن الأحاديث التى فيها سرد الأسماء الحسنى لا يصح منها شيء فمَن من العلماء الذين جزموا بعدم ثبوتِ الأحاديث المتداولة المشهور التي فيهما سرد الأسماء الحسنى التسعة والتسعين ؟

الجواب :

ذكر ذلك عدد من الأئمة الكبار كشيخي الإسلام ابن حجر وابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ومن قبلهم ابن حزم، ومن بعدهم الصنعاني وغيرهم .

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

بكل حال تعيينها ـ يعني الأسماء الحسنى ـ ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه.(١)

وقال فى موطن آخر(٢) عن(التسعة والتسعين اسماً) :

لم يرد فى تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ ، وأشهر ما عند الناس فيها

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٨٢) .

(٢) فى «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٢) و«الفتاوى الكبرى»(٢/ ٣٨٠) بتصرف.

حديث الترمذي الذى رواه الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة ، وحفاظ أهل الحديث يقولون : هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث ، وفيها حديث ثان أضعف من هذا رواه ابن ماجة[1] .

قال الحافظ ابن حجر :

هذان الطريقان يرجعان إلى رواية الأعرج، وفيها اختلاف شديد فى سرد الأسماء والزيادة والنقص.[2]

قلت «محمد»: ثم إن فى الكتاب والسنة أسماء ليست فى ذلك الحديث مثل اسم «الرب» فإنه ليس فى حديث الترمذي ، وسيأتي دليله، وأكثر الدعاء المشروع عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إنما هو بهذا الاسم كقول آدم ﷺ : ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا** ﴾ [الأعراف:٢٣] .

وقول نوح ﷺ :﴿ **رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [هود:٤٧] .

وقول إبراهيم ﷺ : ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾ [ابراهيم:٤١] .

وقول موسى ﷺ : ﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [القصص:١٦].

---

(١) برقم (٣٨٦١) .

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٥١) .

وقول المسيح ﷺ : ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [المائدة:١١٤]

وكذلك اسم «المنَّان» فقد دعا الرجل به ، وأقره صلوات الله وسلامه عليه، وسمَّاه الاسم الأعظم ، كما سيأتي فى موطنه .

وكذلك «الوتر» وليس فى الأسماء المذكورة فى رواية الترمذي .

وكذلك اسم «الجميل» وسيأتي دليله .

وكذلك اسم الله «الطيب» وسيأتي دليله .

وكذلك اسم الله «السبوح» وسيأتي دليله ، وكل هذه الأسماء ثابتة لله تعالى .

وكذلك اسم الله «الشافي» وسيأتي دليله .[١]

ثم إن فى هذا الحديث أسماء ليست من أسمائه لعدم وجود الدليل الثابت المثبت لها ، بل أسماء إنما اشتقت من أفعال كاسم «الباقي» ، و«المنتقم» ، و«المعز» ، و«المذل» ولا يشتق من الأفعال أسماء ، كما ستأتي الإشارة إلى تخطئة مَن فعل ذلك.[٢]

وقال ابن القيم [٣] عند كلامه على الحديث الذى جُمع فيه أسماء الله

---

(١) وقد أشار إلى نحو ما ذكرت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٣) وما بعدها .

(٢) وإن كان قد فعله شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٢٧٦) وغيره.

(٣) في «مدارج السالكين» (٢/ ٥٣٣) .

الحسنى : الصحيح أنه ليس من كلام النبي ﷺ .[(١)]

وقال الحافظ ابن حجر فى موطن غير الذي سبق :

التحقيق أن سردها (أي الأسماء الحسنى) من إدراج الرواة.[(٢)]

وقال الصنعاني رحمه الله :

اتفق الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة.[(٣)]

ونقل عن ابن حزم أنه قال :

«جاءت أحاديث فى إحصاء التسعة والتسعين اسماً مضطربة لا يصح منها شيء أصلاً ، وإنما تؤخذ من نص القرآن وما صح عن النبي ﷺ».[(٤)]

وقال الحافظ ابن كثير :

الذى عوَّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء فى هذا الحديث مدرج فيه ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم ، وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك - أي أنهم جمعوها من القرآن -، ثم ليُعلم أن الأسماء ليست منحصرة فى تسعة

(١) وقد أشار إلى نحو ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٣).

(٢) «بلوغ المرام» حديث (١٢٨٤) وهو قول الداودي ، واستظهار ابن العربي. فيما حكاه عنهما الحافظ فى «الفتح» (١١/ ٢٥٣)

(٣) انظر «سبل السلام» (٤/ ١٤٨) .

(٤) وقد نقله عنه الحافظ فى «الفتح» (١١/ ٢٥٣) أيضاً .

وتسعين.[١]، وقد سلف أن أشرنا إلى ذلك .

قال الحافظ ابن حجر مشيراً إلى بعض ما ذكره شيخ الإسلام قبل ـ بخصوص ضعف رواية الترمذي التى فيها سرد الأسماء الحسنى ـ:

أما الرواية التى سردت فيها الأسماء ؛ فيدل على ضعفها عدم تناسبها لا فى السياق ، ولا فى التوقيف ، ولا فى الاشتقاق ، لأنه إن كان المراد الأسماء فقط فغالبها صفات ، وإن كان الصفات فالصفات غير متناهية.[٢]

قلت «محمد» : وقد استدل بعض العلماء على عدم ثبوت الرواية ، وأنها من تفسير الرواة ؛ بأن فيها تفسيراً بزيادة ونقصان واختلاف، وهذا لا يليق بالمرتبة العليا النبوية.[٣]

س : مَن مِن أهل العلم الذى جزم بأن أسماء الله توقيفية ؟ وما معنى هذا ؟ ولماذا كانت توقيفية ؟

الجواب :

معنى كون أسماء الله توقيفية ، أي لا مجال للعقل والرأي فى إثباتها، وإنما تؤخذ بالتوقيف من كتاب الله، أو من سُنَّة رسول الله ﷺ الثابتة بالسندِ الصحيح أو الحسن، فلا نثبت لله إلا ما أثبته له رسوله ﷺ أعلم الخلق به .

وقد نقل الحافظ عن أهل التفسير أنهم قالوا :

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٦٩) .

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٢٥٣) .

(٣) راجع «الأسنى» للقرطبي (ص ٥٥) وإن كان هذا يُتعقب ، وانظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ٩٦).

إن من الإلحاد فى أسمائه تسميته بما لم يرد فى الكتاب أو السنة الصحيحة.(١)

ونقل فى موطن آخر :

عن أبي الحسين القابسي(٢) أن أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، ولا يدخل فيها القياس. اهـ(٣)

وإذا كان لا يجوز لنا أن نسمي رسول الله ﷺ ولا كبيراً غيره من الخلق باسم غير اسمه الذى سماه به أبوه ، فكذلك فى حق الله جلَّ جلاله من باب أولى ، فله المثل الأعلى ، والعقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف فى ذلك على النص لقولـه تعالى : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء:٣٦] .

وقولـه تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى**

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢٥٧) وهو قول ابن حزم في «المحلى» (١/ ١٠٥) وغيره .

(٢) وهو الإمام الحافظ الفقيه أبو الحسين علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي المالكي صاحب كتاب «الملخص» : «كَانَ عَارِفاً بِالعِلل وَالرِّجَال ، وَالفِقْهِ وَالأُصُوْل وَالكَلاَم ، مُصَنِّفاً يَقِظاً دَيِّناً تَقِيّاً ، وَكَانَ ضَرِيْراً ، وَهُوَ مِنْ أَصحِّ العُلَمَاء كُتُباً ، كتب لَهُ ثِقَاتُ أَصْحَابِه» ولد عام ٣٢٤هـ وتوفي في ٤٠٣هـ وانظر«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٥٨) وقد نعته االذهبي بإمام الحافظ الفقيه العلامة عالم المغرب، ونقل عن حاتم الأطرابلسي: أنه كان زاهداً ورعاً يقظاً، لم أر بالقيروان إلا معترفاً بفضله.

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٢٥٣) .

اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

وإن تسمية الله بما لم يسمِّ به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه ، جناية فى حقه تعالى ، فوجب سلوك الأدب فى ذلك، وكون أسماء الله توقيفية هو الذى جزم به عدد من أهل العلم لايُحصون كثرة .(١)

وقد نقل الحافظ فى «الفتح» (٢٦٠/١١) عن أصحاب الفخر الرازي وأبي بكر والغزالي وغيرهم قالوا: الأسماء توقيفية دون الصفات ، قال : وهذا هو المختار ، واحتج الغزالي بالاتفاق على أنه لا يجوز لنا أن نسمي رسول الله ﷺ باسم لم يسمه به أبوه، ولا سمى به نفسه، وكذا كل كبير من الخلق، قال: فإن امتنع ذلك فى حق المخلوقين، فامتناعه فى حق الله أولى.

وقال القرطبي :

لا مدخل للقياس فى أسماء الله تعالى عند جمهور العلماء .

---

(١) فراجع أقوالهم إن أردت فى «فتح الباري» (١١/ ٢٦٠) وفى غير موطن ، وأيضاً : «شرح مسلم» للنووي ، و«عمدة القاري» للبدر العيني ، و«٢٠٠سؤال فى العقيدة» لحافظ بن أحمد حكمي(سؤال ٦٣) ، و«بدائع الفوائد» لابن القيم (١/ ١٧٠) ، و«العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و«كشف الخفا» للعجلوني (٢/ ٤١٧) ، والقرطبي فى «الأسنى»(ص٧)، و«القواعد المثلى» لابن عثيمين (ص٢٢) و«شرح أسماء الله الحسنى» لمحمود بن عبد الرازق (٤/ ٨)، وغيرها كثير .
و«شرح أسماء الله الحسنى» لأبي القاسم القشيري (ص٣٠٨،٢١٢) ، وهو إمام قد نعته القاضي عياض فى «الشفا» (ص٢٦٠) بالإمام ، ونعته الحافظ ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٤٧٣) حديث (٤٠٨٦) بأنه من المحققين .

وحكى نحوه عن ابن فورك وأبي الحسن القابسى وأبي جعفر النحاس وغيرهم كثير .

وقال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : [(١)]

الأدلة التى تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما .

قلت «محمد» : وإن كان بعض من قال هذا من العلماء جانبهم الصواب حينما أرادوا حصر الأسماء الحسنى ، فاشتقوا من أفعاله سبحانه أسماء ؛ كما سيأتي ، لكن العبرة بتلك القواعد .

ثم قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ :

وعلى هذا فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك فى الكتاب والسنة وجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه مع إثبات كمال ضده[(٢)]، ومالم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف فى لفظه، فلا يُثبَت ولا يُنفى لعدم ورود الإثبات والنفي فيه، وأما معناه فيفصَّل فيه، فإن أريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أريد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده [(٣)].

(١) «القواعد المثلى» (ص ٤٩) القاعدة الأولى .

(٢) ومما ورد نفيه عن الله سبحانه، وثبوت كمال ضده: النوم ، والموت، والسِّنَة، والعجز، والإعياء، والظلم، والغفلة، وكذلك المماثلة، والكفء، مما هو جار على العباد ونحو ذلك.

(٣) وذلك مثل إثبات الجهة وعدمها، وقولهم: ليس بجسم، ولا جوهر ونحو ذلك.

=

وهنا سؤال مهم:

يقول الله تعالى : « وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا » الأعراف:١٨٠ ، ويقول: « فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » الإسراء:١١٠وهذا يعني أن هناك أسماء معهودة معروفة (١) ،

=

وجوابه: على إثباته من عدمه أن يقال: إن أريد معنى يليق بالله على وفق الكتاب والسنة فالله كذلك من غير مماثلة، وإن أُريد معنى لا يليق بالله مثل: أن يقال: ليس بجسم ولا جوهر ولا مكان، ولا جهة، أريد نفي الصفات المثبتة في الكتاب والسنة فالله ليس كذلك.

والأئمة يقولون عن كل سؤال لم يسأل السلف عن مثله، السؤال عنه بدعة، كما ورد في كلام أحمد والنخعي بشأن السؤال عن الجهة، وعن مالك بشأن السؤال عن الاستواء.

والمقصود: الوقوف حيث وقف السلف، فالله سبحانه وتعالى لم يكلفنا بشيء وراء ما دل عليه الكتاب والسنة، فمن رجع في شيء من ذلك إلى قضاء غقل ، أو استحسان برأي أو إلهام، أو مكاشفة أو غير ذلك، فقد قال على الله تعالى بغير علم، وضل عن سواء السبيل.

(١) **قال ابن حزم في «المحلى» (١/ ١٠٥)** : «الأسماء الحسنى بالألف واللام لا تكون إلا معهودة» .

قال الحافظ فى «الفتح» (١١/ ٢٥٨) :

إن التعريف فى الأسماء للعهد، فلابد من المعهود فإنه أمر بالدعاء بها ، ونهى عن الدعاء بغيرها، فلابد من وجود المأمور به .

قلت «محمد»: لكن فى قوله «ونهى عن الدعاء بغيرها» فيه نظر ، لأن الله لم ينه عن الدعاء بصفاته ، وإنما أمر بالدعاء بأسمائه ، وفارق بين هذا وذاك ، والله أعلم .

وقد حكى القرطبي فى «الأسنى شرح أسماء الله الحسنى» (ص ٢) عن العلماء ـ رحمهم الله ـ أنه لما قال الله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠] والدعاء

=

وتقدم عن بعض العلماء، كابن حزم[(١)] وغيره الجزم بأن الأحاديث الواردة فى سرد الأسماء الحسنى ضعيفة لا يصح منها شيء أصلاً .

فما سبيل معرفة الأسماء االحسنى ليمكن إحصائها اقتضاءً لما سلف من قولـهﷺ : «مَن أحصاها دخل الجنة» ؟

الجواب :

=

بها قبل معرفتها بأعيانها مُحال ، وتحضيض الشرع على إحصائها وأمره بالدعاء بهـا وهـو لم يبينها ولم يحصـها مجتمعـة مـن تكليـف مـا لا يُطـاق ، ولم يـرد بـه الشـرع ، فوجـب تطلّبهـا والوقوف عليها حتى ندعو بها .

ثم قال : والأسماء الحسنى إن صح تعيينها فى الحديث لزم اتباعه ، وإن لم يصـح ، لـزم مـن أراد تعيينها إحصاؤها بما ورد فى الكتاب والسنة منها ليكون على يقين من إحصائها للـدعاء بها. أهـ

وقد عدَّ بعض العلماء من معاني «أحصـاها» فـى الحـديث حفظهـا ، وأن هـذا تـارة يكـون بالبحث والتفتيش عنها ، فيكون ثوابه على هذا الإحصاء الجنة ، لما انبعث منه من الاجتهـاد فى البحث عنها . ذكر هذا القرطبي فى «الأسنى» ص ٣.

وقال فى ص ٧١ : نرجو من الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أصـحاب الـيمين بالبحـث عنها ، والحفظ لها ، والاشتغال بها ، وقد تقدم أن من نـوع الإحصـاء اسـتخراجها بالبحـث عنها.أهـ

وقد حكى الحافظ فى «الفتح» (١١/ ٢٦٤) عن أبي الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْـدٍقال: يَحْتَمِـلُ الْإِحْصَـاءُ مَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمُرَادَ تَتَبُّعُهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَحْصُلَ عَلَيْهَا، وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُـرَادَ أَنْ يَحْفَظَهَا بَعْدَ أَنْ يَجِدَهَا مُحْصَاةً...

(١) وقد تقدم ، وحكاه أيضاً عنه الحافظ فى «الفتح» (١١/ ٢٥٣) .

ابتداءً ؛ نص عدد من العلماء على أن أسماء الله توقيفية ، وهو منهج السلف ، وقد نُقل عن الجمهور عليه كما تقدم.

فعلى هذا فثَمَّ شروط حتى يَثْبُتَ أن الاسم من أسمائه سبحانه ، فمتى تخلّفت تلك الشروط في اسم ؛ فلا يصح نسبته إليه سبحانه.

الشرط الأول : أن يرد الاسم نصاً في كتاب الله ، أو في سنة رسول الله ﷺ؛ لأنه لا مجال للعقل فيه .

ولذلك أخطأ مَن سمى الله تعالى بـ «الواجد» ، و«الماجد»، فإن هذا لم يثبت لا في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ﷺ ، وورد في ذلك خبر لا يثبت مثله ، وورد أيضا في الحديث المجموع فيه الأسماء التسعة والتسعين الذي في رواية الترمذي .

وكذلك أخطأ مَن سمى الله تعالى بـ «الرشيد» ، فلم يأت لا في كتاب الله، ولا سنة رسول الله ﷺ أن من أسمائه الرشيد .

نعم الله يرشد ويهدي الناسَ إلى رشدهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ **أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً** ﴾ [الجن:١٠] ، وقال : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء:٥١] لكن لا يُشتق من صفات الله أسماء ، كما سيأتي التنبيه عليه قريباً.

وكذلك «الدائم» فليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ﷺ أن الدائم من أسماء الله تعالى، وإنما في أسمائه «الآخر» فهو المنصوص عليه .

وكذلك اسم الله «السامع» أخذاً من قولـه تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ...** ﴾ [المجادلة:١] فهو فعل وليس اسم ، وإنما الاسم فى الكتاب والسنة «السميع» .

وكذلك «المنير» ، و«العاطي»، وقد تسمى بالتعبيد به الكثير ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وكذلك «التام» ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ ، وإنما أخذوه من قوله : ﴿ **وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾ [المائدة:٣] وهو هنا فعل .

وكذلك اسمه «القديم» فلم يرد فى الكتاب ولا فى السنة، إنما ورد وصفُ سلطانِه سبحانه بالقدم ، وإنما فى أسمائه «الأول» وهو أحسن.(١)

وكذلك اسم «الجليل» ليس من أسمائه ، فلم يوجد لا فى الكتاب ، ولا فى السنة ، وإنما الذي فى الكتاب : «ذو الجلال والإكرام» وهذا من الأسماء الخمسة ليس من الأسماء الحسنى ، كما سيأتي التنبيه عليه .

ومن الأسماء الغير صحيحة المشهور صحتها عند العامة وكثير من الخاصة: «الحيي ، والستير ، والمحسن ، والجواد ، والستار» .

فإن الأخبار التى تُثبت ذلك لا تصح، وإن صححها البعض، كما سيأتي التنبيه عليها قريباً.

---

(١) وقد استنكر اسم «القديم» شارح «الطحاوية» (ص٦٢) على المتكلمين حيث أثبتوه اسمًا .

وقد اشتهر اسم «النعيم» وسُمي كثير من الناس بـ «عبد النعيم»، ولا دليل عليه،لا من كتاب الله،ولا من سنة رسول الله ﷺ الصحيحة ولا الضعيفة .

وكذلك«المنعم» ليس من أسماء الله تعالى، وإن كان هو ﷻ يُنعم وهو كثير الإنعام .

وكذلك «رمضان» فقد ورد أنه من أسماء الله فى خبر لا يثبت .

وكذلك «المقصود» ليس من أسماء الله تعالى ، وإنما لله اسم «الصمد» أي: الذى يقصده الناس فى حوائجهم .

وكذلك «آمين» وقد ورد فيه خبر لا يثبت .

وكذلك اسم الله «الموجود» ، و«المعبود» ، وإن كان هو موجوداً ومعبوداً ، لكن فرق بين الصفة والاسم ، وراجع الشرط الثاني الذي سيأتي .

و«الفضيل» كذلك ليس من أسماء الله مع تسمية كثير من الناس بالتعبيد له، وإن كان هو سبحانه يتفضل على عباده .

وكذلك اسم «العال» وإن تسمى بالتعبيد لـه كثير من الناس ، فسمو أبناءهم بـ «عبد العال» ، وإنما الاسم الصحيح الوارد «المتعال» كما سيأتي .

الشرط الثاني[1]: وجود العلمية للاسم أي: يكون مشتملاً ويدل على أنه

(١) بتصرف وزيادة من كتاب الدكتور محمود عبد الرازق ، وفقه الله وسدَّده فى كتابه «أسماء الله الحسنى الثابتة فى الكتاب والسنة»(١/ ٢٩) وهو ظاهر كلام الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٥٥) ط دار الحديث – أعني اعتبار هذا الشرط – .

=

علَم، وهى المجموعة فى قول ابن مالك :

بالجرِ والتنوينِ والنِّدا وأل * ومسندٍ للاسمِ تمييزٌ حَصَــل**

وهذا الشرط مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ [الإسراء:١١٠] .

وقوله : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

وجه الدلالة أن الدعاء يستلزم أن تدخل عليه أدوات النداء سواء كانت ظاهرة أو مضمرة ، والنداء من علامات الاسمية ، فلابد أن تتحقق فى الأسماء علامات الاسم اللغوية ، فالله تعالى قال : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ** ﴾ ولم يقل: «ولله الأفعال» أو «ولله الأوصاف».

وعليه فإن كثيراً من الأسماء المشتهرة على ألسنة الناس هي فى الحقيقة صفات أفعال وليست أسماء ، ونحن قد علمنا أن أسماء الله الحسنى توقيفية ،

=

تنبيه مهم : ينبغي إمرار آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها ، فقد نقل الخطابي وأبو بكر الخطيب وغيرهما ، قالوا : مذهب السلف إجراء أحاديث الصفات وآيات الصفات على ظاهرها ، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها فلا نقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا أن معنى السمع العلم . حكاه عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ١٧٧) .
ثم قال : «وهما إمامان من أصحاب الشافعي متفق على علمهما بالنقل وعلم الخطابي بالمعاني أن مذهب السلف إجراؤها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها ، والله يعلم أني قد بالغت فى البحث عن مذاهب السلف فما علمت أحداً منهم خالف ذلك» . اهـ

فلابد من أدلة قرآنية ، أو ما صح عن رسول الله ﷺ فى السنة النبوية ، وليس إثبات الأسماء الحسنى لله مسألة عقلية اجتهادية يشتق منها الإنسان لربه من أوصافه وأفعاله ما يشاء من الأسماء .

كما أَخذ مَن أخذ تسمية الله بـ «المعز المذل» من قوله تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران:٢٦] ، فاشتقوا لله اسمين من فعلين ، فالمعز المذل أسماء أفعال، وكان يلزمهم أن يسموا الله تعالى بـ «المؤتي والمنزع» ما دام أن المرجعية فى علمية الاسم إلى الرأي والاشتقاق، لا إلى تسمية الله لنفسه أو تسمية نبيه ﷺ ، فتبين من ذلك أن الذين أثبتوا هذين الاسمين لا أدلة اتبعوا ، ولا اجتهادًا حتى أصابوا ، ذلك أنهم نظروا إلى «المؤتى المنزع» فوجدوا أنه ليس فيهما كمال ، ولو وُصف الإنسان أو سُمي بالمؤتى المنزع لم يكن ذلك كمال فيه ، فنفيُ هذا فى حق الله أولى ، فله المثل الأعلى ، فتبين أن مَن أثبت «المعز المذل» لم يتبع إلا محض الاجتهاد والرأي ، ولم يتبع القاعدة المتقدم ذكرها من أن أسماء الله تعالى توقيفية .

وكذلك : أخذ مَن أخذ تسمية الله بـ «الخافض الرافع» من قوله ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ**»(١) .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وكذلك تسمية الله بـ «المبدئ المعيد» استندوا فيها إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ** ﴾ [البروج:١٣] ، وقوله : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [العنكبوت:١٩] ، وهذه أفعال لله وليست أسماء، فكلمة «يبدئ» و «يعيد» فعلان مضارعان .

وكذلك اسم «الضار النافع» استندوا فيه إلى المفهوم من قوله تعالى : ﴿ **قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الأعراف:١٨٨] وقوله ﷺ : «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(١) .

ولم يذكر فى الآية أو الحديث النص على الاسم ، أو حتى الفعل ، مع أنه لا يكفي هذا وحده فى إثبات الاسم .

وكذلك تسميتهم الله بـ «العدل» استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ﴾ [النحل:٩٠].(٢)

---

(١) وهو حديث ثابت مشهور عند الترمذي والحاكم وغيرهما .

(٢) وللأسف قد أثبت ابن القيم فى «الفوائد» (ص ٣٤) هذا الاسم لله تعالى ، مع أنه ليس فيه، إلا أن الله يأمر الناس بأن يعدلوا . نعم لا شك أن الله سبحانه يعدل ويحب العدل ويأمر به ويعاقب على الجور ، لكن فرق بين أمره واسمه ، والأوصاف عمومًا أوسع من الأسماء .

وكذلك تسميتهم الله بـ «الجليل» مع أن الاسم لم يوجد لا فى الكتاب ولا فى السنة ، وإنما أخذوه اشتقاقاً من قوله تعالى : ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن:٢٧] ، وقوله : ﴿ **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن:٧٨] هذه لا تدل على إثبات اسم من الأسماء الحسنى المقصودة في الحديث، وإنما هذا اسم من الأسماء الخمسة .

وكذلك تسميتهم الله تعالى بـ «الباعث» اشتقاقاً من قوله تعالى : ﴿**وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ**﴾ [الأنعام:٣٦]، وقوله : ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [البقرة:٥٦] ولم يأت اسماً ، وكان يلزمهم أن يسموا الله بالـ«المنبئ» أخذاً من قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا**﴾ [المجادلة:٦] »» لأنه قد ورد فى القرآن فعلاً كما ورد «الباعث» فعلاً ولم يفعلوا »

وكذلك تسميتهم الله بـ «المحصي» اشتقاقاً من قولـه تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً** ﴾ [مريم:٩٤] .

وقولـه تعالى : ﴿ **أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ** ﴾ [المجادلة:٦] فلم يأت اسماً .

وكذلك تسميته سبحانه بـ «المميت» اشتقاقاً من الفعل الذى فى قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾

[غافر:٦٨].

وكذلك تسميتهم ربهم بـ «المقسط» ، ولم يستندوا فيه إلى وصف أو فعل، ولكن إلى أمره تعالى بالقسط ومحبته للمقسطين فى قولـه تعالى : ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي**

بِالْقِسْطِ ﴾ [الأعراف:٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة:٤٢] ، وقوله : ﴿ **وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الحجرات:٩] .

وكذلك تسميتهم الله تعالى بـ «المانع» اشتقاقاً من الفعل الذى فى قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(١) و«منعت» ليس اسماً، إنما هو فعل ماضي .

وكذلك تسميتهم الله تعالى بـ «المغني» اشتقاقاً من الفعل الذى فى قوله تعالى : ﴿ **حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ [النور:٣٣] ، و «يغنيهم» فعل وليس اسماً .

وكذلك تسميتهم له سبحانه بـ «الباقي» اشتقاقاً من قوله تعالى : ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن:٢٧] ، فـ «يبقى» ليس اسماً ، وإنما هي فعل .

وكذلك تسميتهم لله بـ «الدافع» استناداً إلى المصدر من الفعل «دفع» فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ** ﴾ [البقرة:٢٥١] ، وهذا لم يأت اسماً .

و«القاضي» اشتقاقاً من الفعل فى قولـه تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ** ﴾ [غافر:٢٠]و«يقضي» فعل وليس اسماً .

---

(١) وهو صحيح ضمن حديث أخرجه البخاري (٨٠٨) .

وكذلك تسميتهم الله بـ «الواقي» أخذاً من قوله تعالى : ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً** ﴾ [الإنسان:١١] .

فإن «وقاهم» فعلٌ، وليس اسماً، ولا يُشْتَقُّ من الأفعال أسماء .

وكذلك «المدبر» أخذاً من قولـه تعالى : ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾ [الرعد:٢] .

فقوله «يدبر» فعل وليس اسماً، ولا يُشتق من الأفعال أسماء.

فهذه كلها لم تأت فى القرآن أو السنة بصيغة الاسم فلا يُشتق الاسم من فعله سبحانه.

وقد استنكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ على مَن فعل ذلك واشتق من الأفعال أسماء ، فقال:«وَقَفْتُ فِي كِتَابِ «الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى» لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الزَّاهِدِ أَنَّهُ تَتَبَّعَ الْأَسْمَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فَتَأَمَّلْتُهُ فَوَجَدْتُهُ كَرَّرَ أَسْمَاءً وَذَكَرَ مِمَّا لَمْ أَرَهُ فِيهِ بِصِيغَةِ الِاسْمِ الصَّادِقَ وَالْكَاشِفَ وَالْعَلَّامَ وَذَكَرَ مِنَ الْمُضَافِ الفالق من قَوْله فالق الْحبّ والنوى وَكَانَ يَلْزَمُهُ أَنْ يَذْكُرَ الْقَابِلَ مِنْ قَوْلِهِ قَابل التوب (١)» .

والقصد : أننا لا نشتق الأسماء الحسنى من صفات الله وأفعاله(٢).

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢٥٤) .

(٢) **وقد أشار إلى ذلك الحافظ** فى «الفتح» (١١/ ٢٥٣) ، وكذلك الشيخ العثيمين فى «القواعد المثلي» (ص٣٤) القاعدة الثانية من قواعد فى صفات الله تعالى ، حيث ذكر عدة صفات ثم قال :

=

لأن دورنا حيال الأسماء الإحصاء وليس الإنشاء ، فإن أفعاله صادرة عن أسمائه وصفاته ، بعكس أسماء المخلوقين فهي صادرة عن أفعالهم ، فالله تعالى: أفعاله عن كماله ، والمخلوق : كماله عن أفعاله[1]، فاشتق له الأسماء بعد أن كمل بالفعل ، فالرب لم يزل كاملاً ، فحصلت أفعاله عن كماله؛ لأنه كامل بذاته وصفاته ، فأفعاله صادرة عن كماله ، كمُل ففعل ،

=

«فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا نسميه بها ، فلا نقول : إن من أسمائه: الجائي ، والآتي ، والآخذ ، والممسك ، والباطش ، والمريد ، والنازل ، ونحو ذلك ، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به » .

وأما قول ابن القيم في «شفاء العليل»ص(٢٧١) :«والرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء ».

فمقصوده: أن متصف بأوصاف اشتق له منها معاني الأسماء، فالأسماء مشتقة من مصادرها، فما سمى حكيماً إلا لحكمته البالغة، ولا رزَّاقاً إلا لكونه يرزق، ولا خبيراً إلا لخبرته، ولا معطياً إلا لكثرة عطائه... وهكذا، بخلاف المخلوق، فقد يكون متصفاً بضد اسمه، هذا مراد ابن القيم

كما يدل عليه تتمة كلامه: «...ولا يشتق له من مخلوقاته، وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل يسمى متكونًا ومتحركًا وساكنًا وطويلاً وأبيض وغير ذلك....لأنه خالق هذه الصفات، فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك مع أنه خالقه، عُلم إنما يشتق أسماؤه من أفعاله وأوصافه القائمة به...أ.هـ . ولابد من هذا الفهم ليتفق مع كلامه الآخر وكلام غيره .

(١) أي: لا يحكم للعبد بالكمال إلا إذا كملت صفات أفعاله ، أما الله تعالى فهو متصف بصفات الكمال قبل أن يفعل ما يدل على كماله.

والمخلوق فعل فكمُل الكمال اللائق به.[١]

وقد جزم ابن القيم بعدم جواز اشتقاق اسم لله تعالى من أفعاله التى أتت مقيدة ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ :

لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيَّداً أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسماء الله الحسنى المضل، والفاتن، والماكر، تعالى الله عن قولـه، فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يُسمَّى بأسمائها.[٢]

وقال فى موطن آخر :

الْفِعْلَ أَوْسَعُ مِنَ الِاسْمِ، وَلِهَذَا أَطْلَقَ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ أَفْعَالًا لَمْ يَتَسَمَّ مِنْهَا بِأَسْمَاءِ الْفَاعِلِ، كَأَرَادَ، وَشَاءَ، وَأَحْدَثَ، وَلَمْ يُسَمَّ بِالْمُرِيدِ وَالشَّائِي وَالْمُحَدِثِ، كَمَا لَمْ يُسَمِّ نَفْسَهُ بِالصَّانِعِ وَالْفَاعِلِ وَالْمُتْقِنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي أَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ، فَبَابُ الْأَفْعَالِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ الْأَسْمَاءِ.

وَقَدْ أَخْطَأَ- أَقْبَحَ خَطَأٍ- مَنِ اشْتَقَّ لَهُ مِنْ كُلِّ فِعْلٍ اسْمًا، وَبَلَغَ بِأَسْمَائِهِ زِيَادَةً عَلَى الْأَلْفِ، فَسَمَّاهُ الْمَاكِرُ، وَالْمُخَادِعُ، وَالْفَاتِنُ[٣]، وَالْكَائِدُ وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ

(١) من كلام ابن القيم فى «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠) .

(٢) «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩ – ١٧٠) .

(٣) ويأتي في ذكر اسم الله الهادي قول عبد الله بن الزبيرت في خطبته «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْهَادِي وَالْفَاتِنُ» أخرج مالك ص ٩٠٠ بسندٍ صحيح عنه وأن عبد الله بن الزبير لم يقصده اسماً، وإنما =

بَابُ الْإِخْبَارِ عَنْهُ بِالِاسْمِ أَوْسَعُ مِنْ تَسْمِيَتِهِ بِهِ، فَإِنَّهُ يُخْبَرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ شَيْءٌ، وَمَوْجُودٌ، وَمَذْكُورٌ، وَمَعْلُومٌ، وَمُرَادٌ، وَلَا يُسَمَّى بِذَلِكَ.[١]

قال الحافظ في «الفتح» (٢٦٠/١١) :

«وقد اختلف في الأسماء الحسنى هل هي توقيفية، بمعنى أنه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله أسماءٌ، إلا إذا ورد نصٌّ إما في الكتاب أو السنة».[٢]

فقال الفخر الرازي : «المشهور عن أصحابنا أنها توقيفية .

=

ذكره فعلاً، فالله تعالى من يرد فتنته فلن تملك له من الله شيئاً، منه قوله تعالى لموسى ﷺ: ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ ﴿٤٠﴾ ﴾ وقوله: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾فالهادي ثابت اسماً لله تعالى كما سيأتي دليله إن شاء الله، أما الفاتن فلم أقف على أحد م العلماء أثبته لله اسماً، وقد أنكر ابن القيم رحمه الله إثباته اسماً كما رأيت.هذا نظي قول أبي هريرة رضي الله عنه :« وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ » كما في صحيح البخاري(٢٣٥٠) ومسلم(٢٤٩٢). فمراده ميعادنا بين يدي الله لا أن الموعد من أسماء الله تعالى.كما يقال «القاضي الميعاد» .
وكقول عثمان رضي الله عنه :« اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ » كما في صحيح البخاري(٦٢١٦) ومسلم (٢٤٠٣) فمراده بالله أستعين، لا أنه يثبت ذلك إسماً لله تعالى.

(١) «مداج السالكين» (٢/ ٥٣٣) .
(٢) وتقدَّم النقل عن الجمهور أنها توقيفية.

وقالت المعتزلة والكرَّامية(١) : إذا دلَّ العقل على أن معنى اللفظ ثابتٌ في حقِّ الله جاز إطلاقه على الله .

واحتج الغزالي بالاتفاق على أنه لا يجوزُ لنا أن نسمي رسول الله ﷺ باسم لم يسمه به أبوه ولا سَمَّى به نفسه، وكذا كلُّ كبيرٍ من الخلق .

قال : فإذا امتنع ذلك في حقِّ المخلوقين فامتناعه في حق الله من باب أولى أ.هـ .

قلت «محمد»: وقد أغرب الحافظ في «الفتح» (٤٥٨/١٣) فاستنبط من قوله ﷺ : «لاَ وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ» الذي أخرجه البخاري في الصحيح (٧٣٩١) وغيره جواز اشتقاق الاسم له تعالى من الفعل الثابت .

وأشار في بقية كلامه إلى الموضع السابق في«الدعوات» مما نقلناه عنه آنفًا، ولا أدرى من أين استنبط هذا من ذاك؟» فإنه بعيدٌ ، فإن مقلب القلوب اسمٌ مقيدٌ أو صفةٌ، وأسماءُ الله الحسنى المقصودة في الحديث، لابد أن تكون مطلقةً كما سيأتي التنبيه عليها .

مع أن الحافظ هو نفسَه الذي استنكر في«الفتح»(١١/ ٢٥٣) ذكر أسماء ليست بصيغة الاسم، والله الموفق .

وقد حكى هو في «بدائع الفوائد» (٢٦/١) قال :

---

(١) الكرَّامية فرقة من فرق المبتدعة أتباع محمد بن كرَّام .

زعم أبو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادةً يشتقُّ منها، واسمه تعالى قديمٌ، والقديمُ لا مادة له فيستحيلُ الاشتقاق.اهـ

ولا ريب أنه إن أريد بالإشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر، فهو باطل، والذين قالوا بالاشتقاق لم يردوا هذا المعنى ولا ألَمَّ بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دالٌّ على صفة له تعالى كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريبٍ وهي قديمة.

ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله

ثم رأيت ابن حزم في «المحلى» (١٠٥/١) **يقول :**

لا يحل لأحد أن يشتق لله تعالى اسمًا لم يسم به نفسه ، برهان ذلك أنه تعالى قال : ﴿ **وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا** ﴾ [الشمس : ٥] ، وقال: ﴿ **وَأَكِيدُ كَيْدًا** ﴾ [الطارق : ١٦] وقال تعالى: ﴿**خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، ولا يحل لأحدٍ أن يسميه البناء ، ولا الكياد ، ولا الماكر ، ولا المتجبر ، ولا المستكبر ، لا على أنه المجازي بذلك ، ولا على وجه أصلاً ، ومن ادعى غير هذا فقد ألحد في أسمائه تعالى وتناقض، وقال على الله تعالى الكذب وما لا برهان له به .

الشرط الثالث ـ من شروط إحصاء الأسماء الحسنى ـ :[١]

أن يرد الاسم على سبيل الإطلاق دون تقييد ظاهر أو إضافة مقترنة، وذلك بأن يفيد الثناء بنفسه؛ لأن الإضافة والتقييد يحدَّان – فى كثير من الأحيان– من إطلاق الحسن والكمال على قدر المضاف وشأنه ، والله ﷻ ذكر أسمائه باللانهائية فى الحسن والكمال، كما قال : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠] ، فـ «الحسنى» أي: البالغة مطلق الحسن بلا قيد.[٢]

وإذا كانت الأسماء الحسنى لا تخلو فى أغلبها من تصور التقييد العقلي بالممكنات وارتباط آثارها بالمخلوقات كالخالق والخلاق والرزاق والرازق ، أو لا تخلو من تخصيص ما يتعلَّق ببعض المخلوقات دون بعض كالأسماء الدالة على صفات الرحمة والمغفرة مثل الرحيم والرءوف والغفور والغفار ، فإن ذلك التقييد لا يدخل تحت الشرط المذكور .

وإنما المقصود هو التقييد بالإضافة الظاهرة فى النص كالغافر والقابل والشديد فى قوله : ﴿ **غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ** ﴾ [غافر:٣] ، وكذلك الفاطر والجاعل فى قولـه : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً** ﴾ [فاطر:١] .

فهذه أسماء وردت مقيَّدة ، فـ «الغافر» مقيَّد بمغفرة الذنوب، و«القابل»

---

(١) وانظر «أسماء الله الحسنى» (١/ ٣٤) للدكتور محمود بن عبد الرازق الرضواني، بتصرف.
(٢) وسيأتي مزيد بيان لهذا الشرط قريباً .

مقيَّد بالتوبة، و«الشديد» مقيَّد بالعقوبة، و«الفاطر» مقيَّد بالسموات، و«الجاعل» مقيَّد بجعل الملائكة رسلاً .

و«المنزل والسريع» فى الحديث الذى رواه البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا يوم الأحزاب على المشركين فقال فى دعائه : «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»(١) .

فـ «المنـزل» قُيِّد بالكتاب ، و«السريع» قُيِّد بالحساب .

وكذلك «البالغ» فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ** ﴾ [الطلاق:٣] ، فقد قيَّد «البالغ» هنا بأمره .

و«المحيي» ورد مقيداً فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [فصلت:٣٩] ، ثم إن «أحياها» فعل ، وليس اسمًا.

و«الرفيع» فى قوله : ﴿ **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ** ﴾ [غافر:١٥]، فـ«الرفيع» ورد مقيَّداً بالدرجات .

و«المخزي» فى قوله سبحانه : ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ** ﴾ [التوبة:٢]، فورد تقييد «المخزي» بالكافرين.

و«المتم» فى قولـه تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [الصف:٨].

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٢٤) ، ومسلم (١٧٤٢) واللفظ له .

و«المستعان» في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف:١٨] ، وقول عثمان رضي الله عنه المتقدم ذكره «الله المستعان» يُفهم منه التقييد الظاهر كما في سياق حديثه .

و«الفالق ، والمخرج» في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام:٩٥]

و«الحفي» في قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ [مريم:٤٧] قيد بإبراهيم ﷺ .

وكذلك «الكافي» في قوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر:٣٦] .

ومن ذلك أيضاً : «الوالي» في قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد:١١] .

و«النور» في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور:٣٥] (١).

و«البديع» في قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [البقرة:١١٧].

---

(١) وقد أثبته ابن مندة في كتابه «التوحيد »(١٠٢) اسمـًا، وكذا ابن القيم في«الصواعق المرسلة» استدلالاً بالحديث الضعيف الذي تقدَّم وفيه تعداد الأسماء الحسنى، ولكن أغرب الموصلي في«مختصر الصواعق» ص ٣٤٥ فادَّعى أنه لم ينكره أحد من السلف، ولا أحد من السلف ولا أحد من أئمة أهل السنة، ولو أثبتنا هذا الإسم مع أنه لم يأت إلا مقيَّداً لأثبتنا جميع الأسماء المقيَّدة وهذا عين ما أنكره ابن القيم نفسه وغيره كما بيَّنا في هذا الشرط.

و«الجامع» فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران:٩].

و«العلام» فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [سبأ:٤٨].

و«الكاشف» فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام:١٧] .

و«الخادع» فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢] .

و«الصاحب والخليفة» فيما ورد عند الإمام مسلم من حديث ابن عمر فى دعاء السفر أن رسول الله ﷺ قال : «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِى السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِى الأَهْلِ ...الحديث**»[١].

و«مقلب القلوب» ورد مقيداً فى قول ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري[٢] قال: كان يمين النبي ﷺ : «**لاَ وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»،فالإسم هنا مقيَّدٌ بالقلوب فقط.

و«الفاطر» من قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [فاطر:١] ورد مقيداً لا مطلقاً ، كما سلفت الإشارة إليه.

---

(١) صحيح مسلم (١٣٤٢) .

(٢) برقم (٦٦٢٨) .

و«القائم» ورد مقيداً فى قوله تعالى : ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [الرعد:٣٣] .

وكذلك «الصادق» فى قوله ﷻ : ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ [الأنعام:١٤٦] فورد الاسم هنا مقيداً فى مقابل تكذيب اليهود وافترائهم ودعواهم الباطلة ، فالاسم جاء مقيداً بأنه صادقٌ فيما ذُكر فى الآية وليس مطلقاً.

وقد أخرج ابن أبي شيبة وأبو نعيم[1] بسدٍ صحيح عن مَسْرُوق، قَالَ: كُنَّا مَعَ أَبِي مُوسَى، فَجِئْنَا اللَّيْلَ إِلَى بُسْتَانٍ خَرِبٍ، قَالَ: فَقَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً حَسَنَةً، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ مُؤْمِنٌ تُحِبُّ الْمُؤْمِنَ، وَمُهَيْمِنٌ تُحِبُّ الْمُهَيْمِنَ، سَلَامٌ تُحِبُّ السَّلَامَ، صَادِقٌ تُحِبُّ الصَّادِقَ ».

والصحابة ﭫ من أحرز الناس عن الكلام في الغيبيات كأسماء الله أو صفاته بغير توقيف، أو بما لا يليق، ففي الأث إثبات لثلاثة أساء هي ثلبته في القرآن صريحة: السلام ، والمؤمن، والمهيمن، فكأن أبا موسى ﭬ أثبت الصادق اسماً لا صفة، كما أثبت ابن مسعود ﭬ «الأعز» اسماً فمن أثبتهما لم يكن أبعد إن شاء الله، والله أعلم .

(١) مصنف ابن أبي شيبة(٦/ ١٤١،٤٣) و«الحلية» (١/ ١٥٨)

ويدخل فى المقيَّد أيضاً المقيد بقرينة ظاهرة فى سياق النص :[1] كـ «الزارع» فى قول الله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾ [الواقعة:٦٣ -٦٤] ، حيث قُيِّد اسم الزارع فيها بما يحرثون .

---

(١) وأنبّه إلى أن الاشتراط فى الاسم أن يكون مطلقاً غير مقيد ، إنما ذلك لأن التقييد والإضافة أحياناً يحدّان من إضافة الحسن والكمال المطلق للاسم .

وأما اسم الله «الحافظ» ﷻ الذى دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً** ﴾ [يوسف:٦٤] فليس فيه تحديد من إطلاق الحسن والكمال عليه .

وكذلك اسم «الهادي» الذى ورد فى قوله تعالى : ﴿ **وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً** ﴾ [الفرقان: ٣١] لاسيما مع اقترانه باسم «النصير» الذي اجتمعت فيه شروط الإحصاء .

و«الكفيل» الذي ورد فى قوله ﷺ بشأن الرجل من بني إسرائيل الذي استسلف أخاه: «**كَفَى بِاللَّهِ كفِيلاً**» ، وسيأتي حديثه فى موطنه إن شاء الله .

وأما اسم «العالم» فى قوله تعالى : ﴿ **وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء:٨١] .

و«المحيط» فى قوله: ﴿ **أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ** ﴾ [فصلت:٥٤] .

فأنا مترددٌ فى إثباتهما، والذي أجزم به الآن أنهما من الأسماء الحسنى المطلقة الداخلة في التسعة والتسعين، وقد أثبته بعض إخواننا الذين تعرَّضوا لإحصاء الأسماء الحسنى ، وأعرض عن إثباتهما البعض، وأثبت بعضهم «العالم» مثل الشيخ علوي السقاف فى كتابه «صفات الله ﷻ» ثم تراجع عنه فى الطبعة الثانية، وأثبت «المحيط»، ولكن بأدلة ورد فيها الاسم مقيداً واضح التقييد كما فى كتابه (ص٢٧٣)ونفاه عبد المحسن العباد فى كتابه «قطف الجنى» (ص٧٢) واستظهرعدم الموافقة لابن أبي يزيد القيرواني .

وأثبته شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه القيم «شرح العقيدة الأصفهانية»(ص٧، ٢٠١) مع أنه هو الذي قال فى المصدر نفسه (ص٨) :

=

=

الأسماء الحسنى المعروفة هي التى يُدعى الله بها، وهي التى جاءت فى الكتاب والسنة ، وهي التى تقتضي المدح والثناء بنفسها . اهـ

قال هذا فى نفس الورقة التى أثبت فيها اسمَ «العالم» لله تعالى .

وقد أثبت الشيخ العثيمين رحمه الله فى«القواعد المثلى» (ص٢٥، ٢٦) «العالم والمحيط» من أسماء الله تعالى.

وقد تعقب شيخنا الدكتور محمود عبد الرازق فى كتابه «أسماء الله الحسنى» (١/ ٤٠) عبد الله بن صالح الغصن فى كتابه «أسماء الله الحسنى» فى إثباته لاسم «الهادي»، و«العالم» بأن ضابط الإطلاق والتقييد عنده فيه نظر »

ولكن إثبات «المحيط» ليس بمستبعد ، فكما أن «القاهر» جل جلاله قيد فى دليله بالفوقية ، وكان التقييد فيه لا ينافي إطلاق الكمال والحسن عليه؛ فكذلك «المحيط» قيِّد بكل شيء ، والتقييد هنا لا ينافي الكمال والحسن ، وقد أثبته الشيخ العثيمين ضمن الأسماء الحسنى كما فى «القواعد المثلى» (ص٢٦) .

وحصلت بيني وبين الدكتور مناقشة حول إثبات بعض الأسماء ، وقد ناقشت كثيراً من إخواننا طلبة العلم ومشايخنا حول إثبات «المحيط» ، و«الحافظ» ، و«العالم» ، و«الهادي» ، و«الكفيل» وهذا ما انتهى إليه بحثي ، وجهد المقل ، سدَّ اللهُ الخلل ، وغفر الذلل .

وأنبّه إلى أن : مَن ظنَّ أن كون الباحث ينتهي فى ختام بحثه إلى إثبات ٩٩ اسمًا ، كما فهمه البعض ؛ أن ذلك دليل على صحة بحثه لتنصيص النبي ﷺ على ٩٩ اسمًا فظنه لا عبرة به ، لأن من المعروف الذي قُرر فى موطنه أن الأسماء أكثرمن ٩٩ اسماً ، إلا أن الأسماء إذا كانت أقل من ٩٩ فهذا الإشكال ، لأن قول النبي ﷺ : «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمَا مِئَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» . مع قوله تعالى : ﴿ **فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ (الأعراف:١٨٠) يستلزم أن تكون هناك أسماءٌ معهودةٌ ومعروفةٌ لدى العباد ليتم لهم الامتثالُ للأمر بالدعاء بها ، لكن كون البعض أثبت أنهم أكثر من ٩٩ اسماً ، فلا إشكال إذ من المتفق عليه أن ثمَّ

=

وكذلك «الموسع» فى قوله تعالى : ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ [الذريات:٤٧] ، فـ «الموسع» مقيَّد ببنيان السماء .

و«الماهد» فى قوله تعالى : ﴿ **وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ** ﴾ [الذريات:٤٨] ،فـ «الماهد» هنا مقيَّد بفرش الأرض وتمهيدها .

و«الفاعل» فى قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ [الأنبياء:١٠٤] ، فالفاعل هنا مقيَّد بطي السماء وإعادة الخلق .

وكذلك «الطبيب» فيما أخرجه أبو داود(١) وأحمد(٢) وغيرهما بإسنادٍ صحيح عَنْ أَبِى رِمْثَةَ فِى هَذَا الْخَبَرِ قَالَ : فَقَالَ لَهُ أَبِى : أَرِنِى هَذَا الَّذِى بِظَهْرِكَ(٣) فَإِنِّى رَجُلٌ طَبِيبٌ ، قال ﷺ : «**اللَّهُ الطَّبِيبُ بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ طَبِيبُهَا الَّذِى خَلَقَهَا**».

فالاسم هنا مقيد بما أصاب النبي ﷺ، وكأنه ﷺ قال: «**الله طبيب ما**

=

أسماء استأثر اللهُ بها فى علم الغيب عنده كما فى حديث رسول الله ﷺ ، وهذا مما يصحح الجزم بأن الأسماء أكثر من تسعة وتسعين قطعاً ، فليتنبَّه إلى هذا ...

(١) برقم (٤٢٠٩) .

(٢) فى «المسند» (٢/٢٢٨) .

(٣) أي: خاتم النبوة كما ذكر ذلك الحسيني فى «البيان والتعريف» رقم (٣٥٦) وقد ظنه الطبيب سلعة .

أصابني»، ولم يقصد تسمية الله بالطبيب بدليل قوله ﷺ بعدها : «**طبيبها الذى خلقها**»، وفى رواية: «**طبيبها الذي وضعها**»، وفى أخرى : «**خلقها**».

وفى رواية : «**طبيبها الله**» ، فلا يصح إطلاق الاسم على الله تعالى.[(١)]

---

(١) **وقد قال المناوي فى «الفيض»** (٤/ ٢٨٩) : « ليس الطبيب بموجود فى أسماء الله ، فإن قيل يجوز إطلاقه عليه تعالى ، فيُقال : يا طبيب ، عملاً بهذا الخبر ، قلنا : لا ؛ لأنه حديث ضعيف ، وقد شرطوا لجواز الإطلاق صحة الحديث كما مرَّ .

وبفرض صحته فهو ممنوع ؛ لأنه وقع ـ كما قال الطيبي رحمه الله ـ مقابلاً لقوله : «أنا طبيب» مشاكلة وطباقاً للجواب على السؤال كقوله تعالى عن عيسى ﷺ : ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾ [المائدة:١١٦] .

وأقول «محمد» : لا يوافق المناوي رحمه الله على تضعيفه للحديث لأن الحديث صحيح لا إشكال فيه سنداً.

وقال المناوي فى موطن آخر من «الفيض» (٢/ ٩٩) : تسمية اللهِ بالطبيبِ إذا ذكر فى حالة الاستثناء نحو: أنت المداوي ، أنت الطبيب ؛ سائغ ، ولا يُقال : يا طبيب ، كما يُقال : يا حكيم؛ لأن إطلاقه عليه متوقف على توقيف .

وقال البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» (١/ ٢١٧) :

«فأما الطبيب فهو العالم بحقيقة الداء والدواء ... ، فأما أن يقال : يا طبيب كما يقال يارحيم أو يا حليم أو يا كريم ، فإن ذلك مفارقة لآداب الدعاء والله أعلم» أ.هـ .

وقال البغوي في «شرح السنة» (١٠/ ١٨٢) :

«... تسمية الله سبحانه وتعالى به – أي بالطبيب– أن يُذكر في حال الاستشفاء ، مثل أن يقول : اللهم أنت، المصح والممرض، والمداوي ، والطبيب، ونحو ذلك ، فأما أن نقول : يا طبيب افعل كذا كما تقول : يا حليم ، يا رحيم فإن ذلك مفارق لآداب الدعاء .

=

=

وأقول «محمد»: يعكر على هذا ما أخرجه أحمد (٦/ ١٠٨)، والنسائي فى«الكبرى» (٧٥٣١ ، ١٠٨٥٤)وابن سعد فى «طبقاته»(٢/ ١٦٣) من طرق عن نافع بن عمر الجمحي ، عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها كانت تمسح صدر رسول الله ﷺ ، وتقول : اكْشِفِ الْبَأْسَ ، رَبَّ النَّاسِ ، أَنْتَ الطَّبِيبُ ، وَأَنْتَ الشَّافِي ، فيقول النبي ﷺ :«**أَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ ، أَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**» وهذا إسنادٌ ظاهره الحُسن، رجاله مُعَدَّلون، فاقترن اسم «الطبيب» بـ«الشافي» فى نصٍ واحدٍ وهو يدل على ثبوته اسماً، إلا أن أصل الحديث من حديث عائشة من رواية مسروق وعروة عنها فى «الصحيحين» ليس فيه ذكر اسم «الطبيب» ، وكذلك رواية الأسود عنها ليس فيه ذكر «**الله الطبيب**» أخرجها ابن حبان (٦٠٩٩) وغيره .

وكذلك رواية أبي الضحى عنها أخرجها أحمد (٦/ ١١٤) ليس فيها ذكر «الله الطبيب» .

وكذلك رواية أبي الجوزاء عنها أخرجها ابن سعد فى «طبقاته» (٢/ ١٦٣)، و إسحاق بن راهوية فى «مسنده» (١٣٣٢) إلا أنه لم يسمع منها، كما قال ابن معين فى «تاريخه» (٤/ ٢١٤) وغيره، ولم يذكر في الرواية «**الله الطبيب**» .

ورواه محمد بن حاطب الكوفي وهو صحابي صغير، عن أمه أم جميل بنت المجلل عن النبي ﷺ به ، ولم يذكر فى الحديث «**الله الطبيب**» أخرجه ابن أبي شيبة، والنسائي فى «الكبرى» (١٠٠١٥) ، وابن حبان (٢٩٧٦) ، وإسناده ثابت صحيح .

وروته ميمونة عن النبي ﷺ عند أحمد (٦/ ٣٣٢)، وابن حبان (٦٠٩٥)، والطحاوي ، وأبي يعلى وغيرهم ، ولم تذكر فيه «الله الطبيب».

ورواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ عند النسائي فى«الكبرى» (١٠٨٦١)، والترمذي (٩٧٦) من رواية عبد العزيز بن صهيب، وثابت البناني كلاهما عن أنس مرفوعاً، ولم يذكر فيه «**الله الطبيب**» .

ورواه عنه حماد وحميد عن أنس عند النسائي فى «الكبرى» (١٠٨٨١) ولم يذكر فيه:«**الله الطبيب**» .

=

=

ورواه ابن مسعود مرفوعاً ولم يذكر «الله الطبيب» أخرجه أبـو داود (٣٨٨٣) وغـيره. وفـى إسناده نظر.

وروي من وجه آخر عنه ، وليس فيه أيضاً : «الله الطبيب» .

ورواه سعد بن أبي وقاص بنحوٍ من معناه كما فى «المدونة الكبرى» (١٥/ ٤) ، وليس فيه : «**الله الطبيب**».

ورواه علي بن أبي طالب عند أحمد (١/ ٧٦) ، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٠٥) ، وعبد بن حميـد (٦٦) وغيرهم، وليس فيه ذكر «**الله الطبيب**» إلا أنه لا يصح سنده .

ورواه عمار بن ياسر عند البزار (١٤١٤) وليس فيه كذلك ذكر «**الله الطبيب**» .

ولم يُرو إلا فى رواية من رواية عائشة رضي الله عنها المذكورة فى صدر الكلام التي من طريق نافع بن عمر الجمحي الذي قال العلماء إنه يخطىء، فنحن من ريب من تقوية روايته مع هذه المخالفة، ومن هذا الانفراد من جهة أخرى، ومن جهة أخرى أن مغلطاي فى«إكماله» (٨/ ٤٨) نقل عن ابن حزم أنه قال: عن ابن أبي مليكة: «لم يسمع من عائشة رضي الله عنها» فعلى هذا يكون الإسناد منقطعاً.

إلا أن رواية ابن أبي مليكة عن عائشة فى «الصحيحين»، ولولا أنه سمع من عائشة ما روى له صاحب «الصحيح»، وقد روى عنها فى عدة مواطن في الصحيح ذكرتها فى كتابي «الجامع فى ذكر رواة المراسيل»، وقد يتعقب هذا بأن رواية أصحاب«الصحيح» له عنها انتقاء وما عدا المروي عنها فى «الصحيح» يُضَعَّف .

وعلى كلٍّ أيضاً يمكن أن يكون «الطبيب»ورد صفة، و«الشافي» ورد اسماً ؛ لأنه لم يرد اسم «الطبيب» فى نص على سبيل الإطلاق، إلا في هذا الموطن- فيما نعلم- وإنما ورد مقيداً .

وقد أخرج ابن أبي شيبة (٧/ ١٦٣) بسندٍ حسن عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، قَالَ: مَرِضَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَعَادُوهُ فَقَالُوا لَهُ: نَدْعُو لَكَ الطَّبِيبَ، فَقَالَ:«هُوَ أَضْجَعَنِي».علمنا العليم، والمقام يحتاج إلى مزيد بحث، نسأل المبين سبحانه أن يُبين لنا، إنه شكور كريم، والله أعلم.

=

وكثير من الذين توسعوا فى جمع الأسماء ولم يلتزموا شرط الإطلاق وقعوا عند إحصاء الأسماء فى اضطراب شديد حتى بدا جمعهم مبنياً على الاجتهادات الشخصية دون القواعد العلمية أو الأصول المنهجية ، فأدخل بعضهم ما استحسنه من الأسماء واستبعد منها ما شاء .

وعلى ذلك فالأسماء المقيدة بالإضافة لا تدخل فى الأسماء الحسنى، وإنما هي من قبيل الصفات الاسمية التى يجوز الدعاء بها على الوضع الذى قُيِّدت به ، ومعلوم أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء ، وباب الأفعال أوسع من باب الصفات ، وباب الإخبار أوسع من باب الأفعال .

وهذا المعنى قد قرره الإمام ابن القيم رحمه الله فقال :

عليك بمراعاة ما أطلقه سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات ، والوقوف معها وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقاً لمعنى أسمائه وصفاته [(١)].

وحينئذٍ فينطلق المعنى لمطابقته لـه دون اللفظ ولاسيما إذا كان مجملاً أو

=

(١) يعني أن ما ورد مطلقـاً نثبته مطلقـاً وندعو به مطلقـاً، وما ورد مقيَّداً نثبته مقيَّداً وندعو به مقيَّداً،، هذا معنى قوله« والوقوف معها وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه » الله أعلم .كما أن ما أورده الله لنفسه صفة أثبتناه صفة على ما يليق به سبحانه.

منقسماً إلى ما يمدح به وغيره[١]، فإنه لا يجوز إطلاقه إلا مقيداً ، وهذا كلفظ الفاعل والصانع ، فإنه لا يطلق عليه فى أسمائه الحسنى إلا إطلاقاً مقيداً أطلقه على نفسه كقولـه تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج:١٦] ، و﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج:١٨] ، وقوله : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل:٨٨] .

فإن اسم الله الفاعل والصانع منقسم المعنى إلى ما يمدح عليه ويذم ، ولهذا المعنى ـ والله أعلم ـ لم يجيء فى الأسماء الحسنى «المريد» كما جاء فيها السميع والبصير ولا «المتكلم» ، و«الآمر الناهي» لانقسام مسمى هذه الأسماء ، بل وصف نفسه بكمالاتها وأشرف أنواعها ، ومن هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلقه الفاحش فى اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسماً مطلقاً فأدخله فى أسمائه الحسنى » فاشتق لـه اسم الماكر ، والخادع ، والفاتن ، والمضل، والكاتب ، ونحوها من قولـه تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ [الأنفال:٣٠] ، ومن قوله : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢] ، ومن قولـه : ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [طه:١٣١] ،ومن قوله: ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الرعد:٢٧] ، وقولـه : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة:٢١] .

وهذا خطأ من وجوه ستة:

الأول : أن الله سبحانه لم يطلق على نفسه هذه الأسماء، فإطلاقها عليه لا

(١) ويأتي تعليق على تلك الجزئية الصغيرة قريباً إن شاء الله .

يجوز .

الثاني : أنه أخبر عن نفسه بأفعال مختصة مقيدة، فلا يجوز أن ينسب إليه مسمى الاسم عند الإطلاق .

الثالث : أن مبنى هذه الأسماء منقسم إلى ما يمدح عليه المسمى به، وإلى ما يذم فيَحسُن فى مَوضع ويَقبُح فى مَوضع[١]، فيمتنع إطلاقه عليه سبحانه من غير تفصيل.

الرابع : أن هذه ليست من الأسماء الحسنى التى يسمى بها سبحانه، فلا يجوز أن يسمى بها، فإن أسماء الرب سبحانه كلها حسنى كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] ،وهي التى يحب سبحانه أن يثنى عليه ويحمد ويمجد بها دون غيرها.

الخامس : أن هذا القائل لو سُمِّي بهذه الأسماء وقيل لـه : هذه مدحتك وثناء عليك ، فأنت الماكر الفاتن المخادع المضل اللاعن الفاعل الصانع ونحوها، لما كان يرضى بإطلاق هذه الأسماء عليه ، ويعدها مدحة، ولله المثل

---

(١) كما فى اسم «الماكر»، و«الفاتن»، و«المستهزئ» ، و«الخادع» ، و«المضل» ، و«الكاتب» فهذه الأسماء إطلاقها على الله تعالى نقصٌ ، بل لا يرضى المرء أن يُسمى هو بها، لاشتمالها عند الإطلاق على نقصٍ ، وهذا النقص لا يليق بالله تعالى ، وهذا الذى حدا بالعلماء أن لا يجوِّزوا إطلاقها على الله تعالى .

وهل يصلح أن يدعى الله تعالى فيُقال : أسألك بأنك الماكر أن تمكر لي ؟»

إنما يصح أن يُقال : يا مَن تمكر لأهل الحق ، وتمكر على الكافرين ردّ كيد الكائدين، هذا يصح، أما الصورة الأولى؛ ففيها قبح أو نقص لا يليق بمن لأسمائه كمال الحسن .

الأعلى سبحانه وتعالى عما يقول الجاهلون علواً كبيراً .

السادس : أن هذا القائل يلزمه أن يجعل من أسمائه اللاعن ، والجائي والآتي ، والذاهب ، والتارك ، والمقاتل ، والصادق ، والمنزل ، والنازل ، والمدمدم ، والمدمر ، وأضعاف أضعاف ذلك ، فيشتق لـه اسم من كل فعل أخبر به عن نفسه ، وإلا تناقض تناقضاً بيناً ، ولا أحد من العقلاء طرد ذلك، فعُلم بطلان قوله والحمد لله رب العالمين.(١)

هذا و قد تردد الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فى إدخال اسم الله «الحفي» وعلل ذلك فقال: لأنه إنما ورد مقيداً فى قوله تعالى عن إبراهيم : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً** ﴾ [مريم:٤٧].(٢)

وقد رأيت اعتراض الحافظ ابن حجر رحمه الله على من أخذ اسماً من الأسماء التى وردت مضافة فقال :

وقفت فى كتاب«المقصد الأسنى»لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزاهد أنه تتبع الأسماء من القرآن فتأملته فوجدته... وذكر المضاف«الفالق»من قولـه:﴿ **فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى** ﴾ [الأنعام:٩٥]، وكان يلزمه أن يذكر«القابل» من قولـه: ﴿ **وَقَابِلِ التَّوْب** ﴾ [غافر:٣].(٣)

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٤٠٤ – ٤٠٥) .

(٢) انظر«القواعد المثلى»(ص٢٧) ولكنه حشد اسم الحفي ضمن الأسماء الحسنى فجانبه الصواب.

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٢٥٤) .

ثم تتبع الحافظ نفسه الأسماء حتى أوصلها تسعة وتسعين، لكنه استشكل أيضاً كون بعضها أتى مقيداً، فقال: «لكن بعضها بإضافة كـ «الشديد» من : ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر:٣]، و«الرفيع» من: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ [غافر:١٥] ، و«القائم» من قوله: ﴿ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد:٣٣] ، و«الفاطر» من قوله: ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [فاطر :١] ، و«القاهر» من قوله : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فوق عباده ﴾ [الأنعام:١٨] ...[١]

ولذلك لم يوافق شيخ الإسلام ابن تيمية على اعتبار «المنتقم» من أسماء الله أخذاً من قوله ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [آل عمران:٤] ، وقوله: ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢] ؛ لأنه إنما ورد مقيّداً فقال : «اسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي ﷺ ، وإنما جاء في القرآن مقيداً».[٢]

فمن يُنكر هذا الشرط لم يفهم كلام هؤلاء العلماء، أو أنه لم يطَّلع عليه .

الشرط الرابع ـ من شروط الإحصاء ـ :

أن الأسماء لله تعالى تدل على أوصاف، فالأسماء كلها عَلم على الله[٣]،

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢٥٥) .

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ٩٦ ، ١٧/ ٩٥) .

(٣) ولذلك فإن جميع الأسماء إنما تُضاف إلى الله ، فهو الاسم الجامع للأسماء الحسنى وكلها تنسب إليه.

=

=

ولذا قال ابن القيم رحمه الله فى «طريق الهجرتين» (ص ٥٤)، وبنحوه صاحب «معارج القبول» (١/ ١٢٧) – وكأنه أخذه منه– :

«مشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء ، وهو مشهد جامع للأسماء والصفات ، وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات ، ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى هو اسم «الله ﷻ» ، فإن هذا الاسم هو الجامع ، ولهذا تُضاف الأسماء الحسنى كلها إليه ، فيُقال : «الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار» من أسماء الله ، ولا يُقال : «الله» من أسماء «الرحمن» قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف:١٨٠]. اهـ

وقد رُوي أن «الله» هو اسمه الأعظم ، **وحكى النووي فى «شرح مسلم»** (٩/ ٨) عن أبي القاسم الطبري قال : «إليه يُنسب كل اسم له فيُقال : الرءوف والكريم من أسماء الله تعالى ، ولا يُقال: من أسماء الرءوف أو الكريم الله» .

وقد نقل الحافظ فى «الفتح» (٢٥٨/١١) **عن بعض العلماء قال** :

ليس الاسم الذى يكمل المائة مخفياً ، بل هو الجلالة ، وممن جزم بذلك السهيلي ، فقال : الأسماء الحسنى مائة على عدد درجات الجنة ، والذي يكمل المائة الله ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠] ، فالتسعة والتسعين لله هي زائدة عليه ، وبه تكمل المائة. اهـ

قد أثبته اسماً جلّ من كتبوا فى هذا الباب كالشيخ العثيمين ﵀ فى «القواعد المثلى» (ص ٢٧) والشيخ عبد المحسن العباد فى«قطف الجني الداني»(ص ٨٥) وغيرهم من المعاصرين المؤلفين الذين لا يُحصون كثرة ، قد عدّوا اسم«الله» من الأسماء الحسنى التسعة والتسعين ، وليس كذلك كما بيّنا .

و أثبتوه تبعاً لبعض العلماء المتقدمين كالبيهقي فى «الأسماء والصفات»(ص ٣٤)، ومن بعده القرطبي فى «الأسنى شرح أسماء الله الحسنى»(ص ٢٧٣) وغيرهم كثير، وهو الاسم
=

ويدل على ما يقتضيه الاسم من الصفة .

فـ «السميع» من أسمائه تعالى ، ويدل على أن الله تعالى يسمع بسمعٍ يسعُ الأصوات، وهو مع ذلك ليس كمثله شيء، وكذلك «البصير» ، و«الخبير» ، و«الجبار» ، و«المتكبر»... إلخ .

ولا يليق غير هذا فى حق الله، بل لا يرضى إنسان لنفسه أن يسمى عليّ، ثم يُقال عنه ليس بعليّ ، فكيف فى حق الملك الذى قال عن نفسه :﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [النحل:٦٠] .

=

الجامع المحيط بجميع الأسماء وبمعانيها كلها كما قال المناوي فى«فيض القدير» (٢/ ٤٩٤)، والحافظ فى «الفتح» (١٣/ ٦٥٦) وغيرهما ممن تقدم ذكرهم.

وقد قال القرطبي عن هذا الاسم:«هو أكبر الأسماء ، والجامع لمعانيها ، وإليه تضاف جميع الأسماء» وقد نقل أبو القاسم الأصبهاني في كتاب «الحجة» (١/ ١٠٩) هذا عن العلماء.

ويؤيِّده : قوله ﷺ : «**إن الله هو السلام**»وسيأتي .

وقوله ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ**» وسيأتي .

وقوله تعالى : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ [الحشر:٢٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فالتسعة والتسعون كلها منسوبة إليه، كما في «فتح الباري»(١١/ ٢٥٨): فقد حكى الحافظ عن السهيلي قال: «الأسماء الحسنى مائة على عدد درجات الجنة، والذي يكمل المائة الله، ويؤيده قوله تعالى : «ولله الأسماء الحسنى»، فالتسعة والتسعون كما قلنا زائدة على الله وبه يكمل المائة» .

وقوله ﷺ : «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا...**» الحديث .

ففي هذه النصوص يتضح جلياً أن الأسماء فيها أضيفت إلى لفظ الجلالة «الله»، والله أعلم .

وإذا كان الاسم لا يدل على صفة، ويدل على ذات فقط ، فلما عُدِّد فى أسمائه سبحانه ؟» فهي إذاً حشو لا فائدة من تعددها، ولو كان كذلك لم تكن حُسنى ، فإنها تكون جامدة ، والجامد لا مدح فيه، فكيف يمدح الله نفسه بها بقوله عنها : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

أسماؤه عز وجل الحسنى هي أعلام وأوصاف ، والوصف بها لا ينافي العلمية ، بخلاف أوصاف العباد ، فإنها قد تنافي علميتهم ، لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى ... وذكر أن أسماءه الحسنى لها اعتباران : اعتبار من حيث الذات ، واعتبار من حيث الصفات ، فهي بالاعتبار الأول مترادفة (١)، وبالاعتبار الثاني متباينة . (٢)

وقال فى موطن آخر:(٣)

أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين الوصفية والعلمية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافي بين اسميته ووصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله، ومن حيث

---

(١) أي تدل على ذات واحدة وهو الله تعالى .

(٢) فى «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠) .

(٣) «بدائع الفوائد» (١/ ٢٨) .

هو اسم ورد فى القرآن غير تابع، بل ورد الاسم العَلم.(١)

ولهذا لا يصح تسمية الله تعالى بالدهر؛ لأنه اسم جامد لا يفيد الثناء بنفسه، كما تفيده بقية أسماء الله التى نُعتت بأنها حُسنى.

وإن كان الدهر قد ورد فى قولـه ﷺ :

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(٢).

وقوله ﷺ : **«لاَ تَقُولُوا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»** (٣).

فإن معنى **«أنا الدهر»** هنا: أي أنا صاحب الدهر، ومدبر الأمور التى ينسبونها إلى الدهر ، فمن سبَّ الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبّه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جُعل ظرفاً لمواقع الأمور.(٤)

قال العثيمين رَحِمَهُ اللهُ :الدهر ليس من أسماء الله تعالى؛ لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يُلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال تعالى عن منكري البعث: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا**

---

(١) أي تدل على صفات مختلفة ، فاسم «الرحيم» يحمل صفة الرحمة ، بينما اسم «القهار» يحمل صفة القهر والغلبة .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٢٦) ، ومسلم (٢٢٤٦) واللفظ له .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦١٨٢) .

(٤) حكاه الحافظ فى «الفتح» (٨/ ٧٠٦) عن الإمام الخطابي .

إِلاَّ الدَّهْرُ(١) **وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾** [الجاثية:٢٤] يريدون مرور الأيام والليالي، وذكر الحديث وقال:

لا يدل على أنه من أسماء الله تعالى، وذلك أن الذين يسبّون الدهر إنما يريدون الزمان الذى هو محل الحوادث لا يريدون الله تعالى فيكون معنى قوله: «**وأنا الدهر**» ما فسره بقوله : «**بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**».

فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه ، وقد بين أنه يقلِّب الليل والنهار وهما الدهر ، ولا يمكن أن يكون المقلِّب هو المقلَّب، وبهذا يتبين أنه يمتنع أن يكون الدهر فى هذا الحديث مراداً به الله تعالى.(٢)

ولا يعني القول باشتراط دلالة الاسم على الوصف أن نشتق لله من صفاته وأفعاله أسماءه؛لأن ذلك مرجعه إلى النص الشرعي دون القياس اللغوي(٣).

فالاسم إذا أُطلق على الله جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً نحو : السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة.(٤)

واسم «الدهر» هذا أثبته القرطبي فى «الأسنى» ، وحكى أن فيه خلافاً ، وقال: «مَن لم يجعله من أسمائه، قال : لم يرد فى اللغة الدهر إلا اسماً للزمان؛

---

(١) وقد قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٢/ ٢٩٤): «أصبح المسلمون – وهو مما عُلم بالعقل الصريح أن الله سبحانه ليس هو الدهر الذي هو الزمان ، فإن الناس متفقون على أن الزمان الذي هو الليل والنهار» .

(٢) «القواعد المثلى» (ص١٦) ط دارالحرمين .

(٣) «أسماء الله الحسنى» للدكتور محمود عبد الرازق (١/ ٤١) .

(٤) «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠) .

فكيف نجعله من الأسماء المشتركة والمنقولة دون دليل».اهـ [١]

قلت «محمد» : لكن لا يفوتنا التنبيه على خطأه عفا الله عنه فى إثبات أسماء لله تعالى هي في حقيقة أمرها أفعالٌ، ولا دليل عليها لا من كتاب الله ولا من صحيح سنة رسول الله ﷺ ، ومن ذلك أيضًا أنه أثبت لله تعالى أسماء جامدة كالدهر كما تقدم، وكالأبد، وذكر أن معناه الدهر ، مع أنه نقل أن كثيراً من العلماء لم يذكروا هذا الاسم ، فهل يُقال فى قوله ﷺ : «**لاَ صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ**»[٢].

أن معناها لا صام مَن صام الله ؟»» ذلك أن الله – على تفسيرهم – مرادف الأبد،وهل هذا فيه مدح بحال ؟»

الأعجب أنه نقل عن أبي نعيم صاحب ابن المبارك فى كتاب «العصمة» : أن الدهر من أسماء الله ـ تعالى ـ لم يختلفوا فيه .

وكيف يصلح هذا الاتفاق المزعوم مع أنه نفسُه نقل قول مَن خالف وأدلته على ذلك ؟»»

وقد حكى الحافظ عن القاضي عياض أنه قال :

زعم بعض من لا تحقيق له أن الدهر من أسماء الله ، وهو غلط ، فإن الدهر مدة زمان الدنيا ، وعرَّفه بعضهم بأنه أمد مفعولات الله فى الدنيا ، أو

(١) «الأسنى شرح أسماء الله الحسنى» (ص ١١٠) .
(٢) وهو حديث صحيح أخرجه البخاري (١٩٧٧) ، ومسلم (١١٥٩) .

فعله لما قبل الموت ، وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث، واحتجوا به على مَن لا رسوخ لـه فى العلم، لأن الدهر عندهم حركات الفلك ، وأمد العالم ، ولا شيء عندهم ولا صانع سواه ، وكفى فى الرد عليهم قولـه فى بقية الحديث : «**أنا الدهر أقلب ليله ونهاره**» فكيف يُقلِّب الشيء نفسه ؟»» تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.اهـ [(١)]

وقد جزم شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الأسماء إذا كانت أعلاماً وجامدات فلا تدل على معنى . [(٢)]

وقال فى موطن آخر :

الله له الأسماء الحسنى دون السوأى ، وإنما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيء بمعناه ، فلو كانت كلها بمنزلة الأعلام الجامدات التى لا تدل على معنى لم تنقسم إلى حسنى وسوأى. [(٣)]

الشرط الخامس :

أن يكون الوصف الذى دلَّ عليه الاسم فى غاية الجمال والكمال المطلق ، فلا يكون المعنى عند تجرد اللفظ منقسماً إلى كمال أو نقص أو يحتمل شيئاً يحدّ

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٦٨٢) .

(٢) انظر «شرح العقيدة الأصفهانية» لشيخ الإسلام (ص ٢٠٠) .

(٣) «شرح العقيدة الأصفهانية» ص ٢٠١ ، وقد نبَّه أخونا عبد المحسن بن حمد العباد فى كتابه «قطف الجني الداني» (ص ٥٧ ، ٨٢) على أنه ليس فى أسماء الله تعالى اسمٌ جامدٌ، وأنكر على مَن سمَّى الله تعالى بالدهر، فجزاه الله خيرًا .

من إطلاق الكمال والحسن لقوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ [الأعراف:١٨٠] ، وقوله : ﴿ **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن:٧٨].

فإذا كان الوصف عند تجرده عن الإضافة فى موضع احتمال فكان كمالاً فى حال ونقصاً فى حال ، فهذا لا يصح فيه إطلاق الاسم أو الوصف ، وينبغي للمسلم ألا يثبته لله إثباتاً مطلقاً ولا ينفيه عنه نفياً مطلقاً ، بل لابد من البيان والتفصيل والتقييد بما ورد فى التنزيل ، وهذا منهج السلف فى الألفاظ التى تحتمل وجهين عند التجرد عن الإضافة، كالمكر والخداع والنسيان والاستهزاء والكيد والخذلان وغير ذلك من الأوصاف كالتردد والاستخلاف[1].

فالمكر مثلاً : هو التدبير فى الخفاء بقصد الإساءة أو الإيذاء، وهذا قبيح مذموم ، أو بقصد الابتلاء والجزاء وهذا ممدوح محمود ، ولهذا لا يصح إطلاق «الماكر» اسماً ووصفاً فى حق الله دون تخصيص ، لأن الإطلاق فيه احتمال اتصافه بالنقص أو الكمال ، والله نسب إلى نفسه المكر مقيداً، فقال : ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [آل عمران:٥٤] ، وقال : ﴿ **وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [النمل:٥٠] .

وما يُقال فى المكر ، يُقال أيضاً فى الاستهزاء ، والخداع ، والسخرية ،

---

(١) «أسماء الله الحسنى» للدكتور محمود عبد الرازق ، وهو مذهب ابن القيم وغيره من أهل العلم.

والكيد ، فليس من أسمائه الماكر والمخادع والفاتن والمضل والفاعل والكاتب ونحوها ؛ لأن ذلك يكون كمالاً فى موضع ، ونقصاً فى موضع آخر ، فلا يتصف به إلا فى موضع الكمال فقط.[(١)]

قال ابن القيم رحمه الله فى «البدائع» :

الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها فى أسمائه ، بل يطلق عليه منها كمالها ، وهذا كالمريد ، والفاعل، والصانع ، فإن هذه الألفاظ لا تدخل فى أسمائه ، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق ، بل هو الفعال لما يريد ، فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة ، ولهذا إنما أَطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً.[(٢)]

س: كيف يتم دعاء الله تعالى بالأسماء الحسنى تنفيذاً لإرشاد الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ؟

الجواب :

يتم الدعاء بذلك على ما فى معنى قولـه تعالى : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً** [(٣)] **إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا**

(١) «أسماء الله الحسنى» لشيخنا الدكتور محمود عبد الرازق (١/ ٤٢) .

(٢) «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩) .

(٣) **وقد عقد ابن القيم مبحثاً فى «بدائع الفوائد» (٣/٥١٨) ذكر فيه فوائد عديدة لإخفاء الدعاء بلغت عشرة فوائد** :

فعدَّ منها ما حاصله :

=

=

أنه أعظم إيماناً ؛ لأن صاحبه يعلم أن الله تعالى يسمع دعاءه الخفي ، وليس كالذى قال : إن الله يسمع إن جهرنا ، ولا يسمع إن أخفينا كما حصل من الكفار كما في الصحيحين.

ومنها : أنه أعظم فى الأدب والتعظيم ، ولهذا لا تخاطب الملوك ، ولا تسألهم برفع الأصوات ، وإنما تخفض عندهم الأصوات ، ويخفض عندهم الكلام بمقدار ما يسمعونه ، ومن رفع صوته لديهم مقتوه ، ولله المثل الأعلى ، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي ، فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به .

ومنها : أنه أبلغ فى التضرع والخشوع الذى هو روح العبادة ولُبّه ومقصوده ، فإن كان الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه ، وذلت جوارحه، وخشع صوته ، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته وكسره وضراعته إلى أن ينكسر لسانه ، فلا يطاوله بالنطق ، فقلبه سائل طالب مبتهل ، ولسانه لشدة ذله وضراعته ومسكنته ساكت ، وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت بالدعاء أصلاً .

ومنها : أنه أبلغ فى الإخلاص ، فكلما أظهرت العمل صعب عليك الإخلاص ، وقد لا يتحقق»»

ومنها : أنه دال على قرب صاحبه من الله ، وأنه لاقترابه منه ، وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه ، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب ، لا مسألة نداء البعيد للبعيد .

ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله : ﴿ **إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً** ﴾ [مريم:٣] ، وإن من خاطب جليساً له يسمع خفي كلامه، فبالغ فى رفع الصوت؛ استهجن ذلك منه،ولهذا أرشد النبي ﷺ إلى المناجاة لقربه ، وقال لما رآهم رفعوا أصواتهم بالتكبير وهم معه فى السفر : «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**» وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم (٢٧٠٤).

=

وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥ -٥٦].

فإن هاتين الآيتين اشتملتا على آداب نوعي الدعاء ؛ دعاء العبادة ، ودعاء المسألة . كما أشار ابن القيم فى «بدائع الفوائد» (٣/ ٥١٣) وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٥) .

ودعاء العبادة : هو الثناء على الله تعالى بجميع معانيه .

والدعاء بدعاء المسألة : هو طلب كشف الضر ، والنفع من الله ، وكل منهما ـ دعاء العبادة ودعاء المسألة ـ متلازم للآخر .

فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء

=

ومنها : أنه أدعى لدوام طلب السؤال ، فإن اللسان لا يملّ والجوارح لا تتعب ، بخلاف ما إذا رفع صوته ، فإنه قد يكلّ لسانه ، وتضعف بعض قواه ، وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعاً صوته، فإنه لا يطول له ذلك ، بخلاف من يخفض صوته .

ومنها : أن إخفاء الدعاء أبعد من القواطع والمشوشات والمضعفات ، فإن المرأة أو الرجل إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد ، فلا يحصل هناك تشويش ولا غيره كالوسوسة ، ودخول الرياء عليه، ومدح الناس له ... ونحو ذلك من انتباه الحاسدين لهذه النعمة التى هي أعظم النعم على العبد ألا وهي الإقبال على الله تعالى .

وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد ، وأن لا يَقصد إظهارَها له ، ولهذا قال يعقوب ﷺ ليوسف ﷺ : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [يوسف:٥] فحفظ السر مع الله مهم جداً، لاسيما السرّ الذى ربما حُسدتَ عليه ، فقلّت عبادتكَ وبعدتَ عن دعاء الله والتضرع إليه والإقبال عليه.

العبادة ، وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] يتناول نوعي الدعاء ؛ دعاء المسألة ، ودعاء العبادة ، إلا أنه فى دعاء العبادة أظهر، ولهذا عقبه بقولـه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠] .

وقولـه تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً ﴾ يتناول نوعي الدعاء ، لكنه ظاهر فى دعاء المسألة متضمن دعاء العبادة ، ولهذا أمر بإخفائه وإسراره .

ومن تأمل كثيرًا من أدعية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى القرآن والسنة وجدها تشتمل على هذين النوعين .

كقول زكريا عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴾ [مريم:٤] فهذا دعاء عبادة يثني فيه على الله تعالى .

وكذلك قولـه تعالى : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ [الأعراف:٥٦] فهي تشتمل على نوعي الدعاء: دعاء المسألة ، ودعاء العبادة، وهي فيه أظهر .

وقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [ابراهيم:٣٩] فالدعاء ؛ دعاء ثناء ، ودعاء طلب ، فكأنه قال : اسمع اللهـم لدعائي وأجبـه ، وهذا دعاء عبادة ، والثناء فى الآية واضح .

قال ابن القيم :

«الدعاء فى القرآن يراد به هذا تارة ، وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما» ، أي دعاء المسألة ودعاء العبادة.(١)

وقال فى موطن آخر :

طريقة الكُمَّل السائرين إلى الله طريقة مشتقة من قلب القرآن ، قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ، ودعاء الثناء ، ودعاء التعبد ، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها ، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها.اهـ (٢)

س : وكيف يدعو العبد بدعاء المسألة ودعاء العبادة ؟

الجواب : (٣)

أولاً : دعاء المسألة :

ويكون بلسان المقال ، وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب منفعة ، أو دفع مضرَّة ، فيسأل العبدُ اللهَ تعالى بأسمائه الحسنى التى تناسب حاجته وحاله ومطلبه ، ويتوسل إلى الله بذكره وذكر ما تضمنته من كمال الأوصاف

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٥١٣) ، وهو قول الشيخ العثيمين فى «القواعد المثلى» (ص ١٠) .

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٢٠) ، ويبدو أنه أحياناً يجمع بين دعاء العبادة ودعاء الثناء فى أن أحدهما ثناء على الله تعالى بالقول ، والآخر ثناء على الله تعالى يظهر فى الطلب والذكر بالدعاء.

(٣) «أسماء الله الحسنى» للدكتور محمود عبد الرازق «دعاء المسألة» (٤/ ١٥) بتصرف .

وجلالها، فيُردِّد فى دعائه من أسماء الله ما يناسبها عند تقلب الأحوال ، ويظهر فى دعائه وأقواله إيمانه بالتوحيد وأوصاف الكمال .

ففي حالة فقره : يدعو ويستعين ويثني ويستغيث بالمعطي الواسع الغني الكريم .

وفى حالة ضعفه : يبتهل إلى القادر القدير المقتدر المهيمن القوي .

وفى حالة الذلة وقلة الحيلة : يناسبه أن يلتجئ فى دعائه وابتهاله إلى ربه بذكر أسمائه العزيز الجبار المتكبر الأعلى المتعال العلي .

وعند الندم بعد الخطأ واقتراف الذنب : يناسبه الدعاء باسمه الرحمن الرحيم اللطيف التواب الغفور الغفار .

وفى حالة السعي والكسب : يدعو الرزاق الرازق المنان السميع البصير .

وفى حالة الجهل والبحث عن أسباب العلم والفهم : يناسبه الدعاء باسمه الحسيب الرقيب العليم الحكيم الخبير .

وفى حالة الحرب وقتال العدو : فنعم المولى ونعم النصير .

وهكذا يدعو العبد ويتوسل ويبتهل ويتضرَّع إلى ربه بذكر ما يناسب مقامه وموضعه وحاله ، وما ينفعه من أسماء الله الحسنى .

أو بعبارة أخرى :

يقدم بين يدي سؤاله الثناء على الله بأسمائه وأوصافه وأفعاله فى مناجاته

وسؤاله ودعائه [١]، وغير ذلك .

أما كيفية دعاء العبادة :

فيكون بلسان الحال ، وهو تعبُّد لله ، يُظهِر العبدُ التوحيدَ فى كل اسم من أسمائه، وكل وصف من أوصافه ، بحيث تنطق أفعال العبد بأنه لا معبود بحق سواه، وتسبق أقواله وأفعاله شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنه سبحانه المتوحد فى أسمائه وأوصافه لا سمي له فى علاه . [٢]

فمثلاً: إذا كان العبد فى ذروة غناه مُبتلىً بالمال فيما استخلفه الله واسترعاه ، فيظهر بمظهر الفقر والتواضع لعلمه أن الله هو الغني المتوحد فى غناه ، وأن المال ماله ، وهو مستخلَف عليه مخوَّل فيه مُبتلىً به فى هذه الحياة ، فيلين العبد لإخوانه ، ولا يُعرف بينهم بالغنى من شدَّة توحيده وإيمانه .

وإذا كان الموحِّد ذا شرف وحسب ونسب وعلو بدا عليه بدعاء العبادة

---

(١) وإن لم يقدِّم هذا بين يدي الدعاء ، فقد فاته الفضل وصح دعائه، فإن هذا هو غالب طريقة دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإن كان النبي ﷺ علَّم بعض الصحابة دعاء القنوت فلم يذكر ذلك.

(٢) وهذا هو الذى يعنيه ابن القيم فى «طريق الهجرتين» (ص٥٤) بقوله : حظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات .

وقال فى «المدارج» (١/ ٣٢٠) : «كل اسم له تعبد مختص به علماً ومعرفة وحالاً ، وأكمل الناس عبودية : المتعبد بجميع الأسماء والصفات التى يطلع عليها البشر ...» وراجع تتمة كلامه لنفاسته .

نظائر الذل والافتقار ، وخضع بجنانه وبُنْيَانِه وكيانه إلى الحسيب الكافي الجبار القهار المتعال ، لعلمه أن المتوحد فى الحسَب والكبرياء وما تضمنته هذه الأسماء هو الله ﷻ ، وأن الحسيب لا يكون حسيباً إذا عبد هواه أو تكبَّر أو استعلى على خلق الله ، فسلُوكه سلوك المخلصين من العبيد ، وأفعاله بدعاء العبادة تنطق بشهادة التوحيد .

وقد أوضح ذلك كله الإمام السعدي بألفاظ أوضح وأيسر ، فقال :

قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة .

أما دعاء المسألة : فإنه يسأل الله تعالى في كل مطلوب باسم يناسب ذلك المطلوب ويقتضيه فمن سأل رحمة الله ومغفرته ، دعاه باسم الغفور الرحيم ، ومَن سأل الرزق سأله باسمه الرزاق ، وهكذا .

وأما دعاء العبادة : فهو التعبد لله تعالى بأسمائه الحسنى .

فيفهم أولاً معنى ذلك الاسم الكريم ، ثم يُديم استحضار قلبه حتى يمتلئ قلبه منه.

فالأسماءُ الدالة على العظمة والجلال والكبرياء ، تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله تعالى .

والأسماء الدالة على الرحمة والفضل والإحسان ، تملأ القلب طمعاً فى فضل الله ورجاء لروحه ورحمته .

والأسماء الدالة على الودِّ والحب والكمال ، تملأ القلب محبة ووداً وتألهاً وإنابة لله تعالى .

والأسماء الدالة على سعة علمه ولطيف خبره ، توجب للعبد مراقبة الله تعالى والحياء منه .

وهذه الأحوال التى تتصف بها القلوب هي أكمل الأحوال ، وأجلُّ وصف يتصف به القلب وينصبغ به ، ولا يزال العبد يمرِّن نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقادة راغبة ، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية .[١]

ومن تأمل أدعية الأنبياء وأهل الإيمان وجدها فى كثير من الأحيان تشتمل على دعاء العبادة بالثناء على الله بأسمائه وصفاته ، ودعاء المسألة بطلب ما يريدون من ربهم »

كما فى قول موسى عليه السلام : ﴿ **فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ** ﴾ [الأعراف:١٥٥] .

وقوله : ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [الأعراف:١٥١] .

وقول عيسى عليه السلام : ﴿ **اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [المائدة:١١٤] .

---

(١) «القواعد الحسان فى تفسير القرآن» (١٠٧) ، وبنحوه فى «تفسيره» (ص٣١٤) .

وقول يعقوب عليه السلام: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يوسف:٩٨] .

وقول سليمان عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص:٣٥] .

وقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١١٨] .

وقول أهل الإيمان : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨] .

وقولهم : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون:١٠٩].

وقول النبي ﷺ : «**أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**» ... وهكذا .

فدعاؤهم كان بالاسم المناسب للسؤال .

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾:

أي اطلبوا منه بأسمائه ، فيُطْلَبُ بكل اسم ما يليق به ، تقول : يا رحيم ارحمني ، يا حكيم احكم لي ، يا رزاق ارزقني ، يا هادي اهدني ، يا فتاح افتح لي ، يا تواب تُب علي ... هكذا.(١)

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٣١١) .

وقال ابن القيم فى معرض كلامٍ له :

مَن علم عبوديات الأسماء الحسنى ، والدعاء بها ، وسرَّ ارتباطها بالخلق والأمر ، وبمطالب العبد وحاجاته ؛ عرف ذلك وتحققه ، فإن كل مطلوب يُسأل بالمناسب لـه ، فتأمل أدعية القرآن والأحاديث النبوية تجدها كذلك.(١)

وقال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

دعاء المسألة : أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسباً مثل أن تقول : يا غفور اغفر لي ، ويا رحيم ارحمني ، ويا حفيظ احفظني ، ونحو ذلك .

ودعاء العبادة : أن تتعبَّد إلى الله تعالى بمقتضى هذه الأسماء ، فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب ، وتذكره بلسانك لأنه السميع ، وتتعبَّد لـه بجوارحك لأنه البصير ، وتخشاه فى السر لأنه اللطيف الخبير .. وهكذا .(٢)

س : اذكر الآداب المتعلقة بالدعاء بالأسماء الحسنى وغيرها من الأدعية ؟

الجواب :

أول هذه الآداب :

الإخلاصُ لله والصدق ، لقوله تعالى : ﴿ **فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ**

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٤١) .

(٢) «القواعد المثلى» (ص ١٠) .

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر:٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:٢٢ – ٢٣].

ولذلك لما أخلص السائل لربه الشهادة بصدق ؛ بلَّغه الله إياها ، رغم أنه مات على فراشه كما فى صحيح مسلم [(١)].

الثاني : استحضار القلب بالخشوع والرغبة فى المدعو به والضراعة .

كما قال تعالى عن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٤٣] ، وقال : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦] .

الثالث : عزم المسألة فى الدعاء : لقوله ﷺ فيما أخرجه البخاري من

---

(١) أي قوله ﷺ : «**مَن سأل الله الشهادة بصدقٍ بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**» . أخرجه مسلم (١٩٠٩) .

حديث أنس : «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ ، وَلاَ يَقُولَنَّ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ**»[١].

ومعنى « لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ » أي لا مكره لله تعالى على أمر لم يرده، فيستحيل أن يكرهه أحد على شيء، فإن الأسباب إنما تكون بمشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء، ويطلب ما يريد، وعلى أي حال.

فيكون على رجاء الإجابة ولا يقنط من الرحمة ، فإنه يدعو كريماً سميعًا مجيبًا .

قال سفيان بن عيينة :

لا يمنعنَّ أحداً الدعاء ما يعلم فى نفسه ـ يعني من التقصير ـ فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال : ﴿ **أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [الأعراف:١٤].

قال الداودي رَحِمَهُ اللَّهُ **:**

معنى : (ليعزم المسألة) أن يجتهد ويلح ، ولا يقل : إن شئت ، كالمستثني ، ولكن دعاء البائس الفقير.[٢]

---

(١) وهذا فى صحيح البخاري (٦٣٣٨) .

(٢) «فتح الباري» (١١/ ١٦٥) .

الرابع : استقبال القبلة عند الدعاء ، لاسيما فى الدعاء فى الأمور المهمة ، ورفع اليد ، والإلحاح .

لفعله ﷺ فى غزوة بدر ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فَاسْتَقْبَلَ نَبِىُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِى مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِى الأَرْضِ**». فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ[(١)] .

وفى صحيح مسلم حديث جابر فى بيان حجة النبي ﷺ قال: «**... حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ...**»[(٢)] .

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد أن النبي ﷺ خرج إلى المصلى لصلاة الاستسقاء، فاستسقى واستقبل القبلة.[(٣)]

وكذلك يُستحب تكرير الدعاء، والإلحاح، لما تقدم .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٧٦٣) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٢١٨) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٠١١) ، ومسلم (٨٩٤)

فإن النبي ﷺ كان إذا دعا؛ دعا ثلاثاً، وإذا سأل؛ سأل ثلاثاً .[١]

وقال ﷺ فى موطن آخر : «**أَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِى الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»[٢] .

وتحري أوقات الإجابة التى منها السجود ، وفى الأوقات التى دعا فيها النبي ﷺ ، ومنها ما أخرجه أبو داود بإسنادٍ ظاهره الحسن عن جابر مرفوعاً : «**يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ** - يُرِيدُ سَاعَةً - **لاَ يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ شَيْئًا إِلاَّ آتَاهُ اللَّهُ ﷻ فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ**»[٣] .

فهذه هي الساعة على أي حال بصرف النظر عن صحة الرواية من عدمها، وهو رأي عبد الله بن سلام[٤] وغيره من أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) وهذا فى حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٧٩٤) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٤٧٩) .

(٣) وقد حسَّنه الشيخ مقبل فى «الجامع مما ليس فى الصحيحين» (٥/ ٣٦٠)، وقد ثبَّته غير واحد من أهل العلم منهم ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٤٢٠) فقد حسن إسناده، لولا أن له علة، فإن راويه الجلاح بن عبد العزيز خالفه جمع وروه على وجه آخر.
وفي الصحيح(٩٣٥) ومسلم(٨٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «**فِيهِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا** .

(٤) كما في مصنف عبد الرزاق (٥٥٧٩).

وقد أخرج ابن المنذر(١) بسندٍ ثابت عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، «أَنَّ نَاسًا، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ اجْتَمَعُوا، فَتَذَاكَرُوا السَّاعَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَتَفَرَّقُوا وَلَمْ يَخْتَلِفُوا أَنَّهَا آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»

وينبغي للعبد المسلم أن يكون على التوحيد، ولا يدعو بإثم ، ولا قطيعة رحم ، وأن يطيِّب مطعمه ومشربه .

ويكون على طاعة الله ، ممتنع من الحرام ونحو ذلك ، مما قد يكون مانعاً من إجابة الدعاء ، ولا يتعجَّل استجابة الدعاء ، ولا يجهر بالدعاء لما تقدم ، ولا يدعو بالموت إلا عند خوف الفتنة ، ولا يعتدي فى الدعاء.(٢) ولهذا كله أدلته .

س : يقول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠] فاذكر معنى الإلحاد فى أسماء الله وبين صوره وأنواعه ؟

الجواب :

الإلحاد فى أسماء الله: هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

وأما ذكر صوره وأنواعه :

فأحدها : أن يسمى الأصنام بها ، كتسميتهم اللات من الله ، والعزى من العزيز ، وتسميتهم الصنم إلهاً ، وهذا إلحاد حقيقة ، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى

(١) في «الأوسط»(٤/ ١٣).

(٢) وراجع «الجواب الكافي» لابن القيم فى ذكر موانع استجابة الدعاء فى صدر الكتاب .

أوثانهم وآلهتهم الباطلة .

الثاني : تسميته بما لا يليق بجلاله ، كتسمية النصارى له أباً ، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته ، أو علة فاعلة بالطبع .. ونحو ذلك .

الثالث : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص ، كقول أخبث اليهود : إنه فقير ، وقولهم : إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] ، وأمثال ذلك مما هو إلحاد فى أسمائه وصفاته .

الرابع : تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم : إنها ألفاظ مجردة لا تتضمَّن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلِّم والمريد، ويقولون: لا حياة لـه ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إراده تقوم به .

وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقـلاً وشرعـاً ولغـة وفطـرة، وهو يقابل إلحـاد المشركين ، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم ، وهؤلاء سلبوه صفات كماله ، وجحـدوها وعطَّلوهـا ، فكلاهما ملحـد فى أسمائـه، ثم الجهميـة، وفروخهم متفاوتون فى هذا الإلحاد .

فمنهم الغالي، ومنهم المتوسط، والمنكوب .

وكل مَن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فقد ألحد فى ذلك فليستقل أو ليستكثر.

الخامس : تشبيه صفاته سبحانه وتعالى بصفات خلقه تعالى الله عما يقول

المشبهون علواً كبيراً ، فهذا الإلحاد فى مقابلة إلحاد المعطِّلة ، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها ، وهؤلاء شبَّهوها بصفات خلقه ، فجمعهم الإلحاد ، وتفرقت بهم طرقه .

وبرَّأ الله أتباع رسوله ﷺ وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله ، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ، ولم يجحدوا صفاته ، ولم يشبهوها بصفات خلقه ، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً أو معنى ، بل أثبتوا لـه الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات ، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه ، وتنزيههم خالياً من التعطيل ، لا كمن شبَّه كأنما يعبد صنماً ، أو عطَّل حتى كأنما لا يعبد إلا عدماً ، وأهل السُّنَّة وسط فى النِّحل ، كما أن أهل الإسلام وسط فى الملل[١].

(١) قاله ابن القيم فى «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٩ – ١٨٠)، وبنحوه ذكره حافظ بن أحمد حكمي فى «٢٠٠سؤال وجواب فى العقيدة» سؤال رقم (٧٢) ، وكذلك القرطبي فى «الأسنى» (ص ٥١ ـ ٥٢).

الفهرس